دراسات تطبيقية
في
تحليل الخطاب

تأليف

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم

كلية دار العلوم، جامعة المنيا

الطبعة الأولى

2020

مكتبة الدراسات اللغوية

دراسات تطبيقية في تحليل الخطاب

تأليف
د. أشرف عبد البديع عبد الكريم
كلية دار العلوم، جامعة المنيا

الطبعة الأولى
دار المعرفة للطباعة والنشر، المنيا
2020

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واله إلى يوم الدين ثم أما بعد ...

هذا الكتاب مجموعة من الدراسات اللسانية في تحليل الخطاب، وعلى الرغم من أنها كتبت في فترات زمنية متباينة إلا أنها تقع في إطار تحليل الخطاب، وهي عبارة عن مجموعة من الدراسات اللسانية المتنوعة، ويجمعها رابطان:

الأول: وقوعها في إطار الدراسات اللسانية.

الثاني: وقوعها في تحليل الخطاب.

وعلى الرغم من أنها تقع في تحليل الخطاب إلا أن تنوعها واضح وظاهر؛ بحيث جاء الفصل الأول بعنوان: الأبنية الحجاجية للاستدلال في المناظرات المذهبية ابن فارس وابن جني في نظرية نشأة اللغة أنموذجا، في حين جاء الفصل الثاني بعنوان: نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمكافئ: (الأفعال اللغوية)، وأما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان: من أشكال الربط في المساجلات الشعرية الإلكترونية من مساهمة حماسة ومصلوح.

ويلاحظ على هذه الدراسات أنها تقع مواقع عدة؛ فإذا كان الفصل الأول، يعالج قضية حجاجية تراثية من منظور حديث. والحجاج جانب مهم من جوانب الدرس التداولي. كما يتناول الفصل عددا من القضايا، كما يبدو ذلك جليا في الفهرس التفصيلي الخاص به.

أما الفصل الثاني فيتناول قضية مصطلحية تتعلق باختيار مكافئ عربي دقيق؛ حين تعددت المقترحات العربية وكثرة البلبلة وتفرقت السبل، على الرغم من مضي أكثر من ثلاثة عقود أو يزيد على هذه الاختيارات. غير أن هذه المدة الزمنية لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار؛ خاصة أن المكافئات العربية قد استقرت في هذه الفترة، وعلى هذا تعطي صورة كاملة عن اقتراحات الباحثين العرب لهذا الاختيار فيما يزيد على ثلاثة عقود. ومن ثم كانت هذه الفترة كافية لغربلة هذه المكافئات العربية لهذا المصطلح الغربي؛ معنى هذه أن طول الفترة الزمنية أفرزت عددا من الدراسات التي أدت الى إنتاج الكثير من المقترحات العربية.

غير أن هذه المقترحات تعددت وتداخلت. مع بعضها حتى بلغت حد التناقض، كما أن اللافت للنظر أني لم أجد أحدًا من الباحثين قد أولى هذه القضية المصطلحية عناية، على الرغم من أن الاقتراح الأول بدأ منذ ما يزيد على ثلاثة عقود. وهو ما حدا بي أن أتعرض لهذه القضية في هذا البحث، الذي أرجو أن يحقق الهدف المرجو منه.

وأما الفصل الثالث فيتناول قضية متعددة الجوانب؛ تتعلق بالشعر وتحديدا بشعر المساجلات وكذلك باللسانيات الإلكترونية، وكذا. وبناء على هذا التصور فإن البحث يتناول قضايا عدة، تتعلق بالشعر الاكتروني، وبعضها يتعلق بالفروق بين الكتابة التقليدية والكتابة الإلكترونية، ثم الفروق بين مصطلحات البحث، كما حدد البحث المادة الشعرية من جملة مواد أكثر من أن تحصى في هذا البحث. ومن ثم نبهت إلى أن هذه المادة اللغوية تحتاج الى دراسات موسعة وإلى تكاتف جهود الباحثين في مجالات العلوم العربية مجتمعة. ومن ثم فهذا البحث مقدمة لبحوث ودراسات عدة، تتعلق

بمجالات شعر المساجلات وكذلك الشعر الإلكتروني وهكذا. أرجو أن يتوجه إليه الباحثون لدراسته من جوانب عدة.

ولا بد أن جمع هذه الأبحاث في صعيد واحد فيه تيسير على الباحثين، كما أرجو أن يجد فيها الباحثون شيئا مفيدا ونافعا. ولا يفوتني كذلك في النهاية أن أسدي شكرا خالصا إلى كل من يجد شيئا يحتاج إلى تعديل أو تصويب ويزودني به فأكون له من الشاكرين.

هذا، فإن كنت قد وفقت فمن الله، وإن كانت الأخرى فكفاني شرف المحاولة. أرجو أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه الولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم

المنيا: مصر: 2020/11/22

الفصل الأول

الأبنية الحجاجية للاستدلال في المناظرات المذهبية

ابن فارس و ابن جني في نظرية نشأة اللغة أنموذجا

1 / 1 : فاتحة البحث:

النظر في نشأة اللغات الإنسانية والخلاف بين العلماء لن يؤدي إلى نتائج معقولة وملموسة؛ خاصة أنها قضية موغلة في القدم؛ ولهذا يرى الباحثون أن معالجتها تقع خارج إطار الدراسة اللغوية الخالصة. ولهذا سأولي وجهتي شطر النقاش الذي دار بين العلماء حول فرضياتها. ومن ثم سأتوجه إلى معالجة آراء العلماء من منظور حجاجي، خاصة نظريتي الوحي والاصطلاح. مقتصرا على ما دار بين ابن فارس و ابن جني.

ولا بد من الإشارة إلى أن بناء الحجة والاستدلال لا يمكن عزلهما عن عوامل أخرى مثل: الاعتقاد والعقيدة والأحداث السياسية والثقافية والملل والنحل والاضطرابات في المجتمع ... إلخ لأنها وغيرها تؤثر في صياغة وبناء الحجة والاستدلال، والحجة قد تكون مادية أو عقلية خلافا للاستدلال الذي هو عقلي محض. وبناء عليه فالاستدلال عقلي ينبني عليه حجج متنوعة على ما سيرد بفضل بيان في مطالبه من البحث.

فبناء الحجة والاستدلال عملية منطقية تحركها وتزكيها عوامل أخرى كثيرة غير ظاهرة. ولهذا فمن المفيد أن نخصص مطلبا تاريخيا موجزا لهذه الفكرة؛ لأن الاستدلال جانب باطني تعكسه اللغة، واللغة تعكس كل الأحداث التي يعيشها المجتمع وتصوره، فالاستدلال يعكس واللغة تظهر. ثم كان من الواجب أن أعود لمؤلفات الشيخين أصحاب مادة الدراسة، غير أني أعرضت عن ذلك، واعتمدت على مزهر السيوطي، وبالنظر فيه لم أستطع أن أغفل أشياء مهمة لا بد أن تقال في هذا السياق. وبناء عليه وضعت عنوانا (قراءة في الخلفية التاريخية ومدونة الدراسة للمسألة) عالج مطلبين؛ الأول: قراءة في الخلفية التاريخية للمسألة، والثاني: قراءة المسألة في مزهر السيوطي. وهذان المطالبان كاشفان عن جوانب لا يمكن فهمها في الفكر الحجاجي والبناء الاستدلالي عند الشيخين، وإن لم يقعا بشكل مباشر في الأبنية الحجاجية الاستدلالية لدى الشيخين. فإذا كان العنوان الأبنية الحجاجية للاستدلال في المناظرات المذهبية، فإن هذا عنوانا عاما، غير أنه يشير إلى ملاحظ كما يلي:

- أن العنوان الرئيس يعني كيف ينبي كل فريق حججه واستدلاله؟
- أن الحجاج يعني محاولة إقناع الخصم بما يتبناه الطرف الآخر والعدول عن رأيه السابق.
- أن بناء الحجة خلافا للاستدلال، فبناء الحجة عملية عقلية ترجع إلى مكون المتحاور، بينما الاستدلال

يرى حمادي صمّود: أن الخطابة عند أرسطو صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش؛ بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا1.

1 د. حمادي صمّود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح،ص12.

وإذا طبقنا هذا على مسألة (الوحي والاصطلاح) وجدناها تتناول مسائل خلافية موغلة في القدم، تتأسس أولا وأخيرا على اللغة؛ بدأت عند علماء الكلام - وكان منهم معتزلة - الذين كانت مهمتهم الدفاع عن الدين بأدلة عقلية، وهذا حدا بهم إلى الاطلاع على الفلسفة اليونانية.

وإذا كان الخطاب دائما عبارة عن عملية تفاعلية وتواصلية وتداولية تحضر فيها أطراف ثلاثة: المرسل والمرسل إليه والخطاب. ومن ثم يعبر المرسل عن مجموعة من النوايا والرغبات والمقصديات المباشرة وغير المباشرة لإيصالها إلى السامع المفترض، ومن ثم الكلام (يغي) تبادل الإرساليات، وكل قول هو فعل، خاصة إذا كانت الإرساليات عبارة عن جملة إنشائية وحوارات استلزامية أو أفعال كلامية، كما نجد في الحوارات العادية أو غير العادية (النصوص المسرحية والحوارات السينمائية والمناظرات)1.

وإذا كان الحجاج حاصلا في الكلام، فإن حصوله في النصوص الفنية لا ريب فيه؛ إذ اللغة مقصودة. ولما كان حمداوي أورد النصوص غير العادية، وأورد منها نص المناظرة، فإني أتعامل مع نص يقع ضمن إطارها، فضلا عن أنه نص فلسفي ولغوي. نشأت فكرة الجدل والمناظرة في بيئة المتكلمين ثم انتقلت إلى الأصوليين واللغويين، فضلا عن أنه نص مكتوب. ويترتب على السمة الأخيرة(نص مكتوب)؛ أن استراتيجيات الإقناع لن تعتمد الآليات غير اللغوية سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا ... أو ما يصاحب التلفظ من تنغيم وإشارات جسدية وهيئة معينة، كما يقول عبد الهادي بن ظافر الشهري2. وإذا كان الباحثون يرون أن وسائل الإقناع تتأسس على وسائل إقناعية لغوية وأخرى غير لغوية، خاصة إذا كانت ترتبط بالكلام المنطوق3، فإن مدونة الدراسة لغوية خالصة. وعلى هذا تخرج الأبنية الاستدلالية التي ترتبط بالسمات شبه اللغوية.

توصلت بعد إدامة نظر إلى أن: الحجاج والبرهان والإقناع ليسوا بواحد4؛ فإذا كان الحجاج عند الشيخين ليس هدفا بل وسيلة، فإن البرهان دليل ووسيلة للإقناع. ومن ثم تتعدد صور الإقناع تبعا لثقافة المناظر وملابسات الموقف؛ ولهذا فإنه يمثل شكلا لا هدفا، أما البرهان (الاستدلال) فهو

---

1 د. جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة،ص44.

2 د. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ص 454.

3 السابق،ص 13.

4 لا يتسع المقام لذكر تفصيلات كثيرة حول الفروق بين هذه المصطلحات، ومن شاء فليرجع إليها:

عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم،ص ص 10 :16 ففيها تفصيلات كثيرة.

- عبد الكريم بليل: البرهان والبيان والحجة والسلطان في القرآن، على الرابط الآتي:

http://midad.com/article/195895

- مقال بعنوان: الفرق بين الدليل والبرهان والعهد والميثاق، على الرباط الآتي:

https://majles.alukah.net/t157550

.تفسير الشيخ بسام جرار: الفرق بين البرهان والحجة والسلطان والدليل في القرآن الكريم،على الرابط الآتي:

https://www.youtube.com/watch?vGOwMBiSmzbY.

.الاستدلال والبرهان (مقال)، على الرابط الآتي:

https://bohouti.blogspot.com/2016/10/blog-post_296.html

الدليل وهو متنوع، و يتفق مع الحجاج في أنهما ليسا هدفا في ذاتهما، بل وسيلة لغاية إقناعية أكبر؛ وهو إقصاء الخصم عما يعتقده ويذهب إليه.

وحدُّ الحجاج، كما قال طه عبد الرحمن: أنه فعالية تداولية جدلية؛ فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة؛ ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، كأن تبنى الانتقالات فيه، لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوي في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج، وأن يُفهِم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب إلى مجال تداولي بين مشترك مع المتكلم، وكأن يعتمد فيها على صور استدلالية تأخذ بمبدأ التفاضل و"التراتب" وتجنح أحيانا إلى التناقض الذي لا تحس فيه خروجا عن حد المعقول[1]. يستيقظ النص أمرين يتعلقان بالمسألة:

. الأول: الحجاج في استعماله أبنية استدلالية إقناعية، له هدفان أساسيان، الأول: إقناع المخاطب بفساد ما يذهب إليه، والثاني: إقناع الجمهور(القراء) هنا في مدونة الدراسة من الطائفتين بجدوى ما يذهب إليه وفساد الرأي الآخر؛ فإذا لم يفلح في إقناع الأول، فإن هدفه الأكبر إقناع الثاني. وظني أن هدف المناظرة مدونة البحث الاثنان معا؛ فإذا كان الهدف الأول (كل من الشيخين للآخر) هدفا أساسيا، فإن الهدف الآخر لا يقل أهمية عن الهدف الأول.

. الآخر: إن قراءة المسألة في معالجة الشيخين، لن تكون مفيدة ما لم تؤخذ بعين الاعتبار الخلفية التاريخية لها، خاصة أنهما لم يعلنا صراحة عن غرضهما منها، وبناء عليه، يجب استكناه ما لم يقولاه صراحة، خاصة:

- أنهما ينتميان إلى طائفتين متنازعتين. والصراع بينهما كان لا يزال وغير خاف.
- الفكر الاعتزالي في تلك الفترة مزدهر خارج بغداد في بعض الدويلات الإسلامية.
- الشيخان يعيشان في فترة واحد

<u>2 / 0 : قراءة في الخلفية التاريخية ومدونة الدراسة للمسألة:</u>

<u>2 / 1 : قراءة في الخلفية التاريخية للمسألة:</u>

حين شرعت في البحث في نشأة اللغات (الوحي والاصطلاح خاصة) وجدتها في الفكر الإسلامي مسألة كلامية، تعكس تاريخا طويلا من الصراع بين طائفتين متباينتين في التفكير؛ طائفة أهل السنة (أهل النقل) وطائفة المعتزلة(أهل العقل)؛ فقد كان ابن فارس (ت 395 هـ) أشعريا، وكان ابن جني●

---

1 د. طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،ص65. طال النص بعض الشيء؛ لأنه يمثل وحدة واحدة، ينظر: شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة،ص360.

● رأيت أكثر من ثلاثمائة بحث عن ابن جني في علوم العربية والإسلامية على موقع دار المنظومة، خلافا لما لم تقع عليه عيني، ومنها النذر اليسير ما تناول أصل اللغات، وسأتعرض لما يثري البحث منها.

(393 هـ) معتزليا. وتجلى الصراع في أشد صوره في خلافة المأمون والمتوكل والو اثق، لكنه لم ينته كلية بعدهم؛ وبناء عليه، توسع حتى وصل إلى المؤلفات الكلامية والأصولية واللغوية. وكان لهذا الصراع تاريخ طويل نستعرض بعضا منه فيما يلقي الضوء على المسألة فيما يستقبل من حديث تال.

عزا أحمد أمين نشأة علم الكلام إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية؛ فأما الداخلية فثلاثة عوامل: القرآن الكريم، استقرار المسلمين و اتساع أرزاقهم عقب الفتوحات، المسائل السياسية، خاصة فيما يتعلق بخلافة أبي بكر والخلاف بين المهاجرين والأنصار يوم السقيفة ومبايعة عمر لأبي بكر، خاصة أن الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير، والطريقة ذاتها اتبعها عمر. وإذا نظرنا إلى المسألة وجدناها مسألة سياسية بحتة، خاصة أن الدين لم يقيدها1.

ومن ذلك أيضا مسألة حكم مرتكب الكبيرة؛ إذ هي ليست مسألة دينية عقدية صرفة، بل سياسية منشؤها الأحزاب السياسية الإسلامية؛ فالخوارج أثاروا المسألة من ناحية من اتبع عليا أكافر أم مؤمن؟ ولكن طبيعة الزمن صبغت هذه المسألة بالصبغة الدينية، ثم تنوسي أصلها مع الزمن، وصارت على أنها مسألة إيمانية مجردة من السياسة2.

وأما الخارجية فمنها أن: الأمم التي فتح الإسلام بلادها كانت لها عقائدها من اليهودية والمسيحية وغيرها، وكان لها من الجدل والنقاش، كما أن المعتزلة مهمتهم الدفاع عن الدين، فكان لا بد من الإحاطة بتلك الحجج، كما أن المتكلمين كانوا في حاجة للدفاع عن الدين بالأدلة العقلية فاضطروا إلى قراءة الفلسفة اليونانية3. وهذا الذي أحدث الفارق بين الطائفتين، فالأولى تقف عند مجمل ظاهر النص، ولا يتأولون ما خارج العقل، فقد روي عن الصحابة والتابعين ما يفيد التوقف عند المعنى الإجمالي، وأن العالم يأخذ ما يكفيه دون أن يعرضه على العامة4. بينما تعتمد الطائفة الثانية في البراهين على العقليات والتأويل، وهذا ما نراه من ابن جني باعتباره معتزليا في اعتماده على براهين عقلية ومنطقية، كما سنعرض لها.

وبناء على هذا، تكوّنت في الفكر الإسلامي طائفتان:

- طائفة أهل النقل: الذين رأوا أن الوقوف على ما جاء به الدين من غير تفسير، لأحد أمرين: إما أن هذه البحوث لا تصلح للعامة، أو لأن ما يتعلق بصفات الله شيء وراء العقل، ولا يمكن للعقل أن يصل إليه إلا بأن يقيس على الله، وهذا خطأ، وقد استمرت هذه المدرسة أيام الدولة العباسية، وعلى رأسهم أحمد بن حنبل؛ حتى يوم الناس هذا.
- طائفة المتكلمين من المعتزلة: الذين آمنوا كما آمنت المدرسة الأولى، فنقلوا الإيمان بالفطرة، الذي كان عند الرعيل الأول، إلى النظر والعقل. فلم يقتنعوا، كما اعتنق غيرهم بالإيمان بالمتشابهات جملة من غير تفصيل، فجمعوا الآيات التي قد يبدو بينها اختلاف كآيات الجبر

1 ينظر تفصيلا موسعا حول هذه العوامل الثلاثة، أحمد أمين: ضحى الإسلام 3 / 687: 691.

2 ينظر السابق 3 / 690.

3 ينظر السابق 3 / 691، 792.

4 ينظر تفصيلا موسعا: السابق 3 / 696.

والاختيار، وكالآيات التي فيها تجسيم لله تعالى وغيرها فأولوها، فكان التأويل من أهم مظاهر المتكلمين1.

فإذا كانت الطائفة الأولى تنكر الجدل والخصومة والمناظرة فيما يتناظر في أهل الجدل، فهم يقفون على النص ولا يسمحون لأنفسهم بتأويله، ولذلك كانوا يرون أن صفات الله فوق العقل البشري، فتحاشوا أن يسألوا بما وكيف في ذات الله وصفاته ... إلخ، وأما الطائفة الأخرى فترى أن العقل منح السلطة والسعة ما يمكنه من إقامة البراهين، فلا حدود للعقل إلا براهينه، ولا زلل ولا خطأ متى صلح البرهان2.

ويبدو أن الطائفتين تمثلان المجتمع الإسلامي في مرحلتين مختلفتين؛ فإذا كانت طائفة أهل النقل تعتمد على النقل والأخبار والتسليم بها دون نظر وتمحيص3، فإن هذا كان امتدادا لما كان عليه الصحابة الذين لم يدخلوا في جدال فكري في بعض الآيات، كما أن هذه الطائفة كانت تعتمد على الأخبار الصحيحة الموثوق بها، غير أنهم كانوا لا يفسحون مجالا للعقل في ظل وجود النصوص، أما ما تفضل به الباحث، فيحتاج إلى إعادة نظر. خاصة أنه كان مدركا أن بعض الآراء كان يعتمد على المنطق المجرد من فهم طبيعة المجتمع وتشعب حاجاته وازديادها المؤدي إلى نشوء الألفاظ الجديدة والمسميات الأخرى4. ويبدو من سياق كلامه أنه يعني أهل النقل وأهل العقل، غير أن الأمر كان يحتاج إلى ربطه بعوامل أخرى، كاشفة، ولهذا قال: والتسليم بهما دون نظر وتمحيص.

وعليه فاستراتيجيات الإقناع نشأت عند علماء الكلام من المعتزلة، فيما يتعلق بالدفاع عن العقيدة بالأدلة العقلية؛ لأن المنهج النقلي الذي كان سائدا لم يعد قادرا على مسايرة الأحداث، خاصة بعد اتساع الدولة الإسلامية؛ فقد التقت المعارف والعلوم الإسلامية بمعارف أمم أخرى، كانت لديهم علوم وفلسفات عقلية، ومن ثم كان لا بد من البحث عن منهج يجاري علوم هذه الأمم، فكان منهج (أهل النظر)، الذين غلبوا العقل على ما سواه، وإن تعارض مع النقل قدموا العقل5. كان هذا هو جوهر الخلاف بين الطائفتين في التفكير، انعكس في استراتيجيات الإقناع لديهما.

اشتد الصراع بين الطائفتين حين برزت المعتزلة كفرقة إسلامية في عهد المأمون والمتوكل والواثق؛ الذين اعتنقوا أفكارها من خلال بشر المريسي وثمامة بن أشرس وأحمد بن أبي دؤود ... وأما أهل النقل ممثلين في أحمد بن حنبل فقد رفض الرضوخ لأمر المأمون، فضرب وسجن وعذب، ثم أعيد إلى منزله في خلافة المتوكل، غير أنه أجبر على ملازمة بيته. ولما تولى المعتصم الخلافة 232 هـ، انتصر لأهل النقل وأكرم الإمام أحمد، وأنهى سيطرة المعتزلة على الحكم. ثم عاد المعتزلة نزلة أخرى أيام دولة بني بويه 334هـ في بلاد فارس، وتوطدت العلاقة بين الشيعة والمعتزلة، وارتفع شأن الاعتزال، فعُين

---

1 ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام 3 / 696، 697.

2 ينظر السابق 3 / 715، 716.

3 ينظر د. محمد حسين آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب، ص 9.

4 السابق: الموضع ذاته.

5 سنرى مدى تحقق هذا التصور في أبنية الاستدلال عند المعتزلة. وقد نقل أحمد أمين نصوصا تشير إلى أهمية هذا المبدأ لديهم: ضحى الإسلام 3 / 757.

القاضي عبد الجبار قاضيا لقضاء الري 360 هجرية بأمر الصاحب بن عباد وزير الدولة البويهية، وكان شيعيا معتزليا[1].

استغل المتكلمون من المعتزلة المسألة استغلالا مذهبيا، وصارت بحكم طبيعة عملهم جزأ من مصنفات الأصوليين واللغويين من الطائفتين[2]، على الرغم من تبرئهما منها؛ فقديما قيل: ذكرها في الأصول فضول[3]. وحديثا قال أحد الباحثين: إنها مسألة موغلة في القدم[4]. وعلى الرغم من ذلك ظلت لصيقة بالبحث اللغوي والبحث الأصولي حتى يوم الناس هذا.

على الرغم مما أورده السيوطي عن الشيخين في هذه المسألة، وأن المعالجة عندهما لم تشغل إلا 35 % مما عرض له، كما سيتضح في المطلب القادم، إلا أنها تعكس ثقافة وعقائد ومللا ونحلا في المجتمع في تلك الحقبة، التي لعبت فيها عوامل كثيرة لتزكيتها، منها: العنصر الثقافي متمثلا في الترجمة من الفلسفة اليونانية، وكذلك كان للسياسة دور؛ حين اعتنق المأمون والمتوكل والو اثق هذا الفكر المذهبي، والعنصر الديني الذي لا يمكن إغفاله. كما أن علماء الكلام الذين تأثروا بالجدل في الفلسفة اليونانية وانتقل إلى علماء أصول الفقه بحكم العلاقة بين الطائفتين، وكان علماء الكلام منهم معتزلة[5]. فانتقل إلى علماء الأصول الذين منهم لغويون أيضا. وقد أفرزت طبيعة العلاقة بين علماء الكلام وعلماء الأصول ما يلي:

- عولجت المسألة عند اللغويين على طريقة علماء الكلام.
- انتقل الجدل من علماء الكلام إلى علماء الأصول وعلماء اللغة.
- تأثر الفكر الأصولي كاملا بالجدل. وهذا يحتاج إلى دراسات موسعة تكشف النقاب عنه.

قراءة هذه المسألة لا تعني النظر السطحي إليها فيما كتبه الشيخان أو ما كُتب في علم الأصول، بل ما تعكسه من خلفيات تاريخية كانت سائدة يومئذ؛ وهذا يعني أنها مسألة مركبة لتداخل عناصر كثيرة فيها، لا يمكن أن تفصل عنها؛ خاصة أنها كانت إما سببا مباشر أو غير مباشر في إنضاجها.

ذهب السيوطي . في هذه المسألة . إلى أن الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين من المفسرين: إنها كلها توقيف من الله تعالى[6]. فهل معنى هذا أنها كانت مسألة دينية (تفسيرية) قبل ذلك؟

---

1 ذكر د. حمادي صمّود سردا للأحداث السياسية في الدولة الإسلامية عقب وفاة النبي مرورا بالدولة الأموية وقتل الحسين، والدولة العباسية، و أثرالصراع السياسي في نشأة الحجاج، ينظر: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح،ص 24 :30. وقد سبقه أحمد أمين الذي لم ينف أن يكون سبب النشأة سياسيا، ضحى الإسلام 3 / 690.

2 يقصد باللغويين أصحاب كتب فقه اللغة المباشرة وغير المباشر، ينظر: الدرس الدلالي عند أصحاب كتب فقه اللغة،ص1336، كما يلاحظ العلاقة بين العلوم العربية والإسلامية في المصطلحات في كتب فقه التي استعملت في أصول الفقه واستعمالا لغويا في مصنفات فقه اللغة، وقبل ذلك فطن ميشال كارتر إلى العلاقة بين المصطلح النحوى والمصطلح الفقهي، ينظر: د. عبد المنعم السيد أحمد: فرضية المستشرق مايكل كارتر في: أصالة النحو العربي،ص 129 : 137.

3 السيوطي: المزهر 1 / 26.

4 د.عادل خلف: البحث اللغوي عند الأصوليين،ص 57.

5 ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام 3 / 693.

6 السيوطي: المزهر 1 / 27.

خاصة أن أحد الباحثين قال تعقيبا على كلام السيوطي: ثم أصبحت مسألة فكرية، بدأت في بيئة المتكلمين، ودارت بين مباحث اللغة والأصول، حيث لا نعثر إلا على أسماء المتكلمين وأسماء من لهم بهم ماتة من اللغويين والأصوليين1. ويبدو أنه استنتج هذا التحول بناء على عاملين:

الأول: العامل الزمني، بناء على ما أورد السيوطي عن الصحابة والتابعين، كما لم تكن المعتزلة تبلورت أفكارها كفرقة إسلامية، ولهذا قال قبل نصه السابق: وكان العرب في بداية عهدهم بالتفكير العلمي يلتزمون فيها وجها واحدا، يناسب طبيعة المرحلة2.

الثاني: بناء على الأول، فإن أقدم من تسميه المصادر من المتكلمين: أبو هاشم الجبائي (321 هـ) و أبو الحسن الأشعري (ت 330 هـ)3، وهما من المتكلمين المعتزلة، إلا أن الأشعري تحول إلى أهل النقل في مرحلة لاحقة، وأشهر من عرف بها من اللغويين ابن جني و ابن فارس.

وقد بحثت عن مصادر أبي هاشم الجبائي و أبي الحسن الأشعري فوجدتها مفقودة. وهذا يفسر توقف المصادر التي عالجت المسألة عند ابن فارس و ابن جني. ولم تشر إلى الجبائي والأشعري بتوسع إلا إشارات خاطفة أوردتها المصادر التاريخية الإسلامية، كما نراها عند أحمد أمين في (ضحى الإسلام)، وهما اللذان بدأ معالجة المسألة معالجة كلامية، وتحديدا عند أبي هاشم الجبائي، مما جعل الأشعري يرد عليه، خاصة أنهما تلميذان لأبي علي الجبائي ومتعاصرين.

استنتج الباحث أن المسألة كانت معالجة عند المتكلمين ومن لهم بهم ماتة من الأصوليين واللغويين، وعليه فليست هذه المسألة من التراث الأصولي الخالص، ويؤكد هذا . من ناحية أخرى . ما يقوله تاج الدين السبكي (ت771 هـ) تأسيسا على مقولة للغزالي: الصحيح عندي أنه لا فائدة لهذه المسألة ... ولهذا قال السيوطي في رفعه الحاجب: والصحيح عندي أنه لا فائدة لهذه المسألة ... ولهذا قيل: ذكرها في الأصول فضول4. ومن ثم، فالبداية تفسيرية، ثم كلامية، ثم لغوية أصولية، ولما كانت هذه المسألة تنظر في قضية موغلة في القدم، فإن تحديد الاستدلال معها بدقة غير ميسور 5. وهذه الرؤية التي ختم بها الفصل الأول (طبيعة اللغة) تتسق مع ما توصل إليه في نهاية الفصل الثاني (أصل اللغة) وذكر رأيين على قدر من الأهمية كما يلي:

الأول: الطائفتان اعتمدتا على العقل والنقل، وكلاهما لم يقو على بعث اليقين،ولا يفيد قضايا اللغة6.

والثاني: في ختام الفصل الثاني قال: وننتقل مع الأصوليين من بحثهم عن هذا الأصل الموغل في القدم للغة الإنسانية إلى الو اقع الحي لهذه اللغة ...1.

---

1 د.عادل خلف: البحث اللغوي عند الأصوليين،ص 49. غير أنه عاد في موضع آخر وقال: إن هذه المسألة بدأت في التراث العربي (كلامية). السابق،ص 56. وهذا يتناقض مع كلامه في المتن ومع هذا الاستنتاج!

2 السابق: الموضع ذاته.

3 ينظر رؤية الأشعري في المسألة، أحمد أمين: ضحى الإسلام 3 / 717 وما بعدها. ولم أنقل رؤيته لطولها، كما أنها لا تقدم جديدا، فمن شاء فليرجع إليها.

4 السيوطي: المزهر1 / 26، كلام السيوطي ليس كما أورده الباحث؛ إذ فيه فحوى الكلام وليس نصه.

5 ينظر د.عادل خلف: البحث اللغوي عند الأصوليين،ص 48.

6 السابق،ص 56.

وهذا يعني أن الباحث توصل إلى أن البحث في هذه المسألة لا فائدة منه. وعليه سأتوجه وجهة أخرى للإفادة من هذا الزخم الحاصل حولها فيما يتعلق بالجدل الذي انشغل به الشيخان، خاصة أنهما اعتمدا على استدلالات عقلية ومنطقية ولغوية. وهذا سيعكس الأهداف المرجوة من البحث، وهي كما يلي:

أولا: العلاقة بين اللغة والفكر (المعتقد).

ثانيا: العلاقة بين الاستدلال والفكر المذهبي.

ثالثا: إلقاء الضوء على تاريخ الصراع الفكري في الحضارة العربية.

رابعا: تلقي الضوء على تطور التفكير الحجاجي في التراث العربي.

خامسا: أثر الدين في تطور الفكر الحجاجي في التراث العربي.

سادسا: الصراع السياسي أزكى الصراع المذهبي.

على أية حال، فهذا البحث يتعرض لمسألة كلامية فكرية مذهبية عقدية، تعكس صورة ناصعة عن النواحي الثقافية والدينية والسياسية ليس في الدولة العباسية فحسب، بل ابتداء من نزول الوحي حتى القرن التاسع الهجري. ولا أكون مغاليا إن قلت: حتى يوم الناس هذا، على الأقل في الدرس اللغوي.

****

<u>2 / 2 : قراءة المسألة في مزهر السيوطي:</u>

وقع اختياري على مزهر السيوطي لما يلي:

أولا: الأمانة والدقة والعزو في النقل.

ثانيا: ذَكَرَ آراء الأصوليين إجمالا.

ثالثا: تكشف معالجة السيوطي للمسألة عن الجدل حولها في مصنفات الأصوليين.

رابعا: عالج المسألة معالجة شاملة ومركزة. لم أرلها مثيلا في مصنفات الطائفتين.

خامسا: أضاف حججا تدعيما للرأيين2. وإن لم تخرج عما ذهب إليه الشيخان3.

سادسا: لم يتدخل بذكر آرائه لأي مذهب من مذاهب نشأة اللغة في المزهر4، خلافا لاقتراحه الذي رجَّح فيه رؤية التوقيف، وذكر رأيه صراحة.

ويبدو أن السيوطي في مزهره لم يكن معنيا بالتحليل والاستنباط، بقدر ما كان مشغولا بالنقل والعزو خلافا لما في الاقتراح. وقد قال جورج زيدان حين تعرض لنشأة اللغة بالاصطلاح: قال به في

---

1 د.عادل خلف: البحث اللغوي عند الأصوليين،ص 57.

2 السيوطي: المزهر 1 / 17، 18. ولهذا قلت في موضع لاحق: إن السيوطي لم يرجِّح رأيا على رأي في مزهره، خلافا لاقتراحه.

3 ينظر تفصيلا لنقد الحجج الإضافية التي ذكرها السيوطي، د. محمد حسين آل ياسين:نظريات نشأة اللغة عند العرب،12 ومابعدها.

4 ينظر د. محمد حسن آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص12.

العصور الوسطى بعض أئمة فقه العربية منهم أبو إسحاق الإسفراني والسيوطي و ابن خلدون1، غير أن باحثا حديثا قال: ولا أميل إلى القول بأن السيوطي قال بهذه النظرية و إنما عرض لكل النظريات دون أن يبدي رأيا 2.

ومن يمعن النظر في معالجة السيوطي في المصنفين لا يجدها واحدة؛ فالمزهر يتسم بالدقة في النقل والعزو والجمع، بينما الاقتراح في الفكر، حيث كان أكثر تحررا و أقرب إلى التحليل منه إلى النقل، ولهذا كانت حريته أكثر وضوحا في بيان رأيه، خلافا لمزهره الذي نقل فيه الآراء واحتج فيه للقائلين بالتوقيف، كما احتج للقائلين بالاصطلاح، وهذا دليل له. على الرغم مما أُخِذ عليه3.

وتحتاج رؤية جورج زيدان الذي ذكر (الإسفراييني، السيوطي، ابن خلدون●) من فقهاء اللغة إلى بيان كاسح؛ وما يعنينا منها رؤية الإسفراييني والسيوطي، اللذين يقعان ضمن إطار المصنفات اللغوية والأصولية؛ أما رؤية الإسفراييني فلم أر لها ذكرا عند السيوطي في اقتراحه، بينما في مزهره أخذ بالرأيين4، خلافا لما أورده جورج زيدان، فضلا عن أنه لم يوثق كلامه بالإحالة إلى إحدى مصنفات السيوطي. ولهذا فإن ما ذكره الباحث حول رؤية زيدان أصاب فيها كبد الحقيقة.

ومن جهة أخرى، ذكر الباحث أن السيوطي نقل لنا آراء العلماء في ذلك نقلا مجردا من الحكم بصواب واحد وخطأ آخر، وكأنه لم يرد أن يزج بنفسه في هذه المعمعة، وأراد أن يسجل بموضوعية حجج كل فريق على الآخر دون أن يطرح فيها رأيا له5.

وكلام الباحث صحيح في مجمله، غير أن من يمعن النظر فيما نقله، يجده ينقل عن المزهر والاقتراح في نصوصه ويسوي بينهما، وهذا مكمن الخطأ، فلم تكن آلية تحليل السيوطي في السفرين واحدة؛ أما المزهر فقد نقل كما أورده الباحث، غير أنه ذكر أن السيوطي ذكر حجج كل فريق، إلا أنها لم تكن تلك التي ذكرها الشيخان، وبناء عليه، كانت من إضافته، ويحسب له أنه صاغها، وكان كما وصفه الباحث، أنه سجل بموضوعية آراء الفريقين، وفي هذا لم يتحيز لفريق على آخر.

غير أن اللافت للنظر أن الباحث حين نقل رؤيته السابقة عن السيوطي، لم ينقلها كرؤية توصل إليها من خلال مطالعته للمزهر، بل نقل نصا طويلا ناهز الصفحة من الاقتراح، وهذا يحتاج إلى إعادة نظر في ضوء ما ورد في الاقتراح،

---

1 جورج زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية،ص142: الحاشية.

2 د. محمد حسن آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص 12، 13.

3 ينظر تفصيلا لهذا النقد، د. محمد حسن آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص12، 13.

● أورد أن الثلاثة من أئمة فقه العربية، و ابن خلدون وإن صنف على أنه فقيه، فكان أقرب إلى الموسوعي، إذ في الاقتصاد والفلسفة والاجتماع والتربية وعلم الأحياء والنحو واللغة، وكان السيوطي موسوعيا كذلك، أما الاسفراييني فقد كان من الأصوليين. وبناء على هذا، يمكن القول إنهم جميعا عالجوا قضايا أصولية وغيرها ويشتركون في معالجة نشأة اللغة. ولم يقل أحد أنهم من فقهاء اللغة بالمعنى الموجود لدى الخليل.

4 ينظر السيوطي: المزهر 1 / 20.

5 د. محمد حسن آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص12.

صحيح، عرْض السيوطي في اقتراحه مغايرا لمزهره؛ فقد جاءت رؤيته في الاقتراح موجزة ومحددة، إذ عرض للرأي الأول والثاني والثالث بإيجاز1. وعرض لأصل اللغات أنها من الأصوات المسموعات2، في إطار نظرية الاصطلاح؛ وهذا يعني أن السيوطي لا يعدها نظرية قائمة بذاتها، بقدر ما تقع في إطار النظرية الثانية.

إلا أنه عاد وقال: والصواب هو رأي أبي الحسن الأخفش، سواء قلنا بالتوفيق أم بالاصطلاح؛ أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحد، بل وقعت متلاحقة متتابعة3. وهذه الرؤية تفارق طريقته في المزهر، كما أن هذا الرأي يشير إلى أن السيوطي يرتضي رؤية القائلين بالاصطلاح، وهذا يتعارض مع ما أورده الباحث الفاضل؛ أن السيوطي عرض لكل النظريات دون أن يرى رأيا4. ويؤكد هذه التعارض لدى الباحث أنه لم يشر إلى أن السيوطي على الرغم من ذلك، قال في نهاية معالجته للمسألة: والقول عندي هو الأول؛ لأنه أدل على حكمتها، وأشهد لها بعلمها بمصاير أمرها5. ويؤكد هذا أن السيوطي عندما افتتح المعالجة وذكر الآراء الثلاثة، وذكر الرأي الأول (التوقيف)، قال على ثلاثة آراء، أرجحها الأول6. وهذا يعني أن رأي الباحث يحتاج إلى إعادة نظر، كما أن رأي جورج زيدان أيضا يحتاج إلى إعادة نظر في ضوء ما أوردته.

وما أخذ على زيدان أنه لم يوثق ما قال به، أما رؤية الباحث، فإن اللبس حصل نتيجة أنه وصف المزهر ونقل عن الاقتراح، فجانبه الصواب. كما أن شيئا آخر؛ أن محقق كتاب الاقتراح ص 26، قال ابن جني في الخصائص: الصواب . وهو رأي أبي الحسن الأخفش، سواء أقلنا بالتوقيف أم بالاصطلاح، وأشار المحقق إلى أن هذا الرأي في الخصائص 2 / 7428. وأشار إليه د. محمد حسين آل ياسين أنه في الخصائص 1 / 427 8.

والعجب العاجب أني تتبعت الطبعة التي أشار إليها محقق الاقتراح التي اعتمد عليها، فلم أجد شيئا من هذا القبيل فيها، كما أن د. محمد حسين أشار إلى الموضع ذاته تقريبا، إلا أنه في الجزء الأول، والجزء الأول ليس نهايته الصفحة 400 دون الفهرس، فضلا عن أنه تباين الأجزاء، كما راجعت الصفحات قبل وبعد الصفحات المذكورة لدى الباحثيَن، فلم أجد منها شيئا مذكورا. وهذا أمر يستدعي إعادة النظر.

كما أن اختيار المزهر أتاح ما يلي:

أولا: الخلفية التاريخية للمسألة، التي مثلت عنصرا كاشفا للأبنية الاستدلالية لدى الشيخين.

---

1 ينظر: الاقتراح، ص 25 وما بعدها.

2 السابق، ص 25 وما بعدها.

3 السابق، ص 26.

4 د. محمد حسن آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب، ص 13.

5 السيوطي: الاقتراح، ص 27.

6 السابق، ص 25.

7 السابق، ص 26.

8 د. محمد حسن آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب، ص 14.

ثانيا: تقديم صورة تاريخية للمسألة، وهذا لا يتسنى إذا عولجت من خلال مصنفي الشيخين.

ثالثا: تقديم قراءة لرؤية السيوطي العامة، وهذا لا يتاح إذا اعتمدنا مصنفي الشيخين.

رابعا: بناء على ما سبق، يكون أكثر إقناعا للقارئ فيما يقدم من استدلالات الشيخين.

فضلا عما سيذكر في موضع لاحق من هذا المطلب.

وجدير بالذكر أن هنالك أسبابا وراء اختيار رؤية الشيخين في هذه المسألة:

أولا: غرضهما مذهبي، خلافا للسيوطي.

ثانيا: الاستدلالات عند الشيخين تعكس فكرا مذهبيا.

ثالثا: ذهبت مصنفات الأصوليين بالمسألة مذاهب شتى من المماحكة اللفظية.

رابعا: ربما لم تقدم مصنفات الأصوليين جديدا إلا طرائق الجدل.

خامسا: معالجة الشيخين الوحيدة في التراث اللغوي.

سادسا: تحتاج المسألة في مصنفات الأصوليين إلى بحث مطول.

سابعا:الشيخان لغويان ينتميان إلى طائفتين متصارعتين، يعيشان في فترة واحدة، تعكس فكر المرحلة.

ولهذا لن أتعرض من المسألة إلا لما عرض له السيوطي من رؤية الشيخين،؛ إذ هما عمدة، فضلا عن أن حجج السيوطي التي أضافها للرأيين، لا تصمد كثيرا أمام النقاش العلمي، أما رؤية الأصوليين فسأبقي عليها إلى بحث قادم، إن شاء الله تعالى. إذ فيها تفصيلات كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

استغرقت معالجة المسألة ثلاثة وعشرين صفحة من المزهر (ج1)؛ من الصحة الثامنة حتى الصفحة الثلاثين، ويمكن تقسيمها على النحو الآتي:

الأول: أهل النقل (ابن فارس) من ص 8 : ص10: ثلاث صفحات.

الثاني: أهل العقل (ابن جني) من ص10 : ص16: سبع صفحات.

الثالث: رؤية الأصوليين: من ص16 : ص30: خمس عشرة صفحة.

بلغ مجموع الصفحات، حسب الإحصاء، خمسا وعشرين صفحة، مع الأخذ في الاعتبار أن صفحة (10) مشتركة بين معالجة الشيخين، وأن صفحة (16) مشتركة بين معالجة ابن جني ورؤية الرازي في المحصول، وبهذا يكون المجموع ثلاثة وعشرين صفحة؛ هي مجموع إجمالي الصفحات عند السيوطي.

عرض السيوطي لرؤية الرازي في المحصول، ثم أوجز رؤية الطائفتين ثم ردهما معا، ثم عاد وعرض لرؤية الأصوليين لمناقشة رؤية المعتزلة وردها1. وعرض لرؤية أبي إسحاق الإسفرايني وإمام الحرمين، ورؤية الأصوليين قائمة على جواز الرأيين2. وهي رؤية الغزالي في المحصول التي تمثل رؤية الأصوليين، على أساس أن الغزالي يمثل قمة التأليف الأصولي، وإن كان في (المستصفى) لا في (المنخول)؛ فقد اعترضوا على قوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ومن ضمن اعتراضاتهم، على ما أورده السيوطي نقلا عنهم ما يلي:

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 20 وما بعدها.

2 السابق 1 / 23 .

أولا: لا يمتنع أن تكون اللغات لم يعلمها؛ فعلمه الله تعالى إياها، ولا يمتنع أن الله تعالى أثبتها ابتداء، وعلمه إياها1.

ثانيا: إن قول الله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) لا حجة فيه من جهة القطع، فإنه عموم، والعموم ظاهر في الاستغراق، وليس بنص2.

ثالثا: أن الاصطلاح يفتقر إلى اصطلاح آخر يتقدمه وهكذا، فيتسلسل إلى ما لا نهاية له3.

وجد السيوطي تراثا ضخما في المسألة، فتنبه إلى هذا الملحظ الذي جعله يعرض لآراء علماء الأصول الذي أخذت المسألة عندهم نقاشا تجاوز نقاش الشيخين بكثير، ويبدو كذلك أن نقاش الأصوليين لم يخرج عما قدمه الشيخان، وإن اتسم بالجدل والمماحكات اللفظية أكثر بكثير، وإن أخذ السمة الجوهرية عند ابن جني في الاستدلال العام. إلا أنهم على الرغم من ذلك ردوا رؤيته في إطارها العام، وكذلك ردوا رؤية القائلين بالتوقيف في جدل فلسفي مجهد، باستثناء بعض الآراء التي رجحت رؤية التوقيف، على الرغم من اعترافهم بأن: ذكرها في الأصول فضول4. إذن ما الفائدة من ذكرها؟ النظر في جواز قلب اللغة5.

شغل عرض آراء الأصوليين من صفحة 16 : 30؛ ومعالجة ابن فارس و ابن جني لم تتجاوز تسع صفحات حسب عرض السيوطي لها، وعليه فمعالجة الأصوليين الذين عرض لهم السيوطي بلغت خمس عشرة صفحة؛ تمثل 65 % مقابل 35 % لدى الشيخين. وهذه النتيجة تظهر أن الجدل في هذه المسألة بلغ مداه على مر القرون في مصنفات الأصوليين. ويبدو أن هذا ما جعل السيوطي لا يغض الطرف عن عرض رؤيتهم.

تفرعت الاستدلالات لدى الأصوليين إلى استدلالات: نصية وعقلية ولغوية، وإن اتفقوا غالبا حول جواز الرأيين في المسألة، إلا أنهم لم يكونوا على قلب رجل واحد. وقد توسعوا في المسألة فيما لا فائدة منه، فقد حكى السيوطي عن ابن الحاجب وغيره حول توقيفية اللغات، أن لها مذاهب؛ أحدها بالوحي إلى بعض الأنبياء، والثاني: بخلق الأصوات في بعض الأجسام، والثالث: بعلم ضروري خلقه في بعضهم حصل به إفادة اللفظ للمعنى6.. ثم تعليق بعضهم حول ترجيح إحدى الرؤى الثلاث7. الثالث: لمَ لا يجوز أن تكون هذه الألفاظ وضعها قوم آخرون قبل آدم8؟ وأجاز بعضهم تواضع الملائكة المخلوقة قبله، فقد كانوا قبله يتخاطبون ويفهمون9. وهذه رؤية ابن جني10، غير أن رؤية ابن جني

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 22.

2 السابق: الموضع ذاته.

3 السابق: الموضع ذاته.

4 السابق 1 / 26.

5 السابق: الموضع ذاته. كما ذكرلها في سياق آخر فائدتين؛ أصولية ولغوية، الاقتراح، ص 26.

6 السابق 1 / 25.

7 السابق: الموضع ذاته.

8 السابق: الموضع ذاته.

9 السابق: الموضع ذاته.

10 ينظر السابق 1 / 16 .

موجزة. والسيوطي حين يناقش آراء الفريقين تارة ينقد الرأي الأول وأخرى يفند الرأي الآخر دون أن يصرح أنه يرجح أحد الر أيين، وهي رؤية عامة المحققين من الأصوليين.

تمحورت رؤية الأصوليين، عند السيوطي، لهذه المسألة فيما يلي:

- فسر جماعة (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى.
- نقدوا رؤية الشيخين وردها، وهم الأغلب.
- رجَّح بعضهم رأيا، كما عند ابن حزم و ابن الحاجب، وهم الأقل.
- اتسمت معالجتهم بالمماحكات اللفظية والجدلية.

عرضتُ للأصوليين ليكون القارئ على بينة من مدونة الدراسة وليكون ملما بها، وأرجو أن تكون فكرتها صارت واضحة لا لبس فيها.

اقتصرتْ معالجة المسألة على مصنفات الأصوليين واللغويين•، غير أن هنالك فارقا بين المعالجتين؛ فإذا كانت مصنفات فقه اللغة تناولت المسألة كما هي الحال عند ابن فارس و ابن جني، فلم نرلها معالجة أخرى إلا عند السيوطي، وعلى هذا يمكننا استنتاج ما يلي:

أولا: مصنفات فقه اللغة هي التي عالجت المسألة.

ثانيا: ندرة المعالجة عند اللغويين مقارنة بما عند الأصوليين.

ثالثا جاءت: معالجة الشيخين واسعة؛ فقد استغرقت، حسب ما أورده السيوطي، تسع صفحات تقريبا؛ ركزا فيها على الأبنية الاستدلالية مما يعكس فكرا مذهبيا عندهما، خلافا لمعالجة السيوطي التي تميزت بما يلي:

أولا: المعالجة الفردية للأصوليين جاءت موجزة مقارنة بما أورده الشيخان.

ثانيا: اهتمام الأصوليين بالمسألة في الإطار العام مقارنة باهتمام اللغويين الذين لم نر منهم إلا ثلاثة: ابن فارس و ابن جني والسيوطي، على ما بينهما من فروق مع السيوطي.

ثالثا: تشير معالجة السيوطي للمسألة وعرضه للأصوليين إلى أن القضية نالت عنايتهم على مر القرون، خلافا للغويين.

رابعا: عدم اهتمام اللغويين بالمسألة بعد الشيخين، يؤكد أن غرضها كان مذهبيا.

خامسا: اقتصار معالجة السيوطي على المصنفات الأصولية واللغوية، يؤكد اهتمام الطائفتين بها، ليس لذاتها بل لأسباب متباينة.

سادسا: تشير معالجة السيوطي للمسألة في مصنفات الأصوليين على مر العصور إلى أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا منها؛ نتيجة العلاقة بين علم الكلام وعلم الأصول.

سابعا: تشير معالجة المسألة في المؤلفات الأصولية إلى:

- تأثرهم بعلماء الكلام في الجدل، خاصة أن كثيرا من علماء الكلام من المعتزلة.
- تأثرهم بعلماء الكلام في الجدل في معالجة كل قضاياهم، حتى صار سمة جوهرية لديهم.

• عدَّ السيوطي المسألة فقهية لغوية؛ ولهذا ذُكرتْ في مصنفاتهم، ينظر: الاقتراح،ص 26.

وعلى هذا، إذا قارنا معالجة الطائفتين؛ فإنها لدى الأصوليين ترجح ليس لإضافتها جديدا بل لغزارتها على مر العصور بمعالجة اللغويين، وعلى الرغم من ذلك فإن معالجة اللغويين بلغت نسبتها عند السيوطي 30 %، رغم ندرتها، على ما أوردته، وهذا يشير إلى أنها تنماز بالتركيز، وأن اللاحقين من اللغويين لم يولياها عناية؛ لأنها مسألة كلامية عقدية مذهبية. لكن سؤالا يتعلق بمعالجة اللغويين للمسألة؛ إذ في التراث العربي لم نجد مصنفات تحمل فقه اللغة إلا مصنفي ابن فارس والثعالبي، كما أن مصنفي الخصائص والمزهر في فقه اللغة وأن ضنَّ صاحباهما بالاسم، فهما من مصنفات فقه اللغة غير المباشرة.

والمصنفات في فقه اللغة سواء المباشرة أم غير المباشرة نادرة، وعلى هذا يمكننا استنتاج أن هذا ما حدا بالسيوطي أن يعرض لهذا الكم الهائل من معالجتهم؛ التي بلغت نسبتها عنده لهم 65%. وهذا يفسر غزارة معالجة الأصوليين وندرتها عند اللغويين. ومن جهة أخرى نستنتج أن معالجة اللغويين مركزة، وإن اتسمت باللجاج اللفظي، خاصة عند ابن جني، على ما سيرد، بينما اتسعت الهوة في معالجة الأصوليين الذين زادت المسألة عندهم في اللجاج اللفظي.

رأينا معالجة اللغويين والأصوليين للمسألة. غير أن مزهر السيوطي يقع ضمن مصنفات فقه اللغة لا ضمن مصنفات الأصوليين، وعلى الرغم من ذلك عرض للنوعين أفضل ما يكون العرض، كما يلاحظ أن مصنفات الأصوليين عنايتها بالمسألة تاريخيا أكثر واهتمامها بها لا يحتاج إلى دليل. وهنا ينبثق سؤال: لماذا عالج السيوطي المسألة في مصنفات الطائفتين؟ يبدو أنه كان مدركا لما توصلنا إليه؛ لم يعرض من اللغويين إلا لابن فارس و ابن جني، وهذا يرجح ما توصلت إليه، أن المسألة لم تعالج في مصنفات فقه اللغة إلا في هذين المصنفين، ولهذا جاءت معالجتهم أقل من معالجة الأصوليين الذين نالوا حظا موفورا من اللغويين الذين عرض لهم السيوطي.

جمع السيوطي في مزهره معالجة الطائفتين في صعيد واحد، ولم نر لها معالجة عند اللغويين إلا ما ذكر، وحظيت بنقاش واسع عند الأصوليين، وعلى هذا رَأَى أن معالجتها عند اللغويين وحدهم ستكون موجزة، ولا تضيف جديدا، ولهذا فإن عرضها تاريخيا لدى الطائفتين مفيد من نواح:

- تشير ضمنا إلى ندرة معالجة اللغويين؛ إذ هي مسألة مذهبية وموغلة في القدم.
- معالجته لهذه القضية ليست موجودة إلا في هذين المصنفين، اللذين ينتميان إلى مصنفات فقه اللغة.
- اهتمام الأصوليين بالمسألة أكبر بكثير من اهتمام اللغويين، ويبدو أن هذا كان من تأثير علماء الكلام على علماء الأصول، على ما أوردت.
- اهتمام الأصوليين بالمسألة على مر القرون، خلافا للغويين الذي كان في فترة الصراع بين الطائفتين.
- لم يتعرض اللغويون بعد الشيخين للمسألة؛ بسبب اندثار فكر المعتزلة، خاصة أنهم يدركون أنها مسألة غرضها مذهبي.
- جمع معالجة الطائفتين للمسألة، كان الأول من نوعه والأخير، ولهذا اكتسبت أهمية كبرى.

وبناء على هذا، لم نر مصنفا يعرض لها كما عرض السيوطي، من الدقة في النقل والأمانة في العزو والجمع والعرض. وكأنه أراد:

- المسألة عولجت في مصنفات الطائفتين فقط.
- اهتمام الأصوليين بالمسألة أكبر بكثير من اهتمام اللغويين.
- المسألة مذهبية عقدية، وإن غلفت بطابع لغوي.

كان السيوطي مدركا لكل هذا وغيره، ولهذا وقع اختياري على مزهره، فضلا عما أوردته في صدر هذا المطلب. وعلى هذا يمكن القول إن المسألة:

- لغوية شكلا لا مضمونا.
- عقدية مذهبية، غلفت بطابع لغوي.

وجدير بالذكر أن الاستدلالات لدى الطائفتين ليست واحدة من حيث الأهمية؛ فإذا كان المنطلق اللغوي للمسالة ستارا، وهذا ما حدا باللغويين بعد الشيخين إلى العزوف عنها، خاصة بعد انحصار الفكر الاعتزالي، فإن الاستدلالات الأخرى لدى ابن فارس و ابن جني تعكس الفكر المذهبي لهما، على ما سنرى.

استقر الأمر لأهل النقل، ولم يعد للطائفة الأخرى وجود، ولهذا اختفت معالجة المسألة عند اللغويين، ولم يعد منها إلا هذا الطلل الباقي من رؤية الشيخين التي تبقى شاهدة على الصراع الفكري والثقافي والديني والسياسي، الذي عكس صورة للمجتمع في الدولة العربية بشكل واضح لا ريب فيه.

ولا بد من القول إن قراءة هذه المسألة لا يمكن أن يتم بمعزل عن:

- الصراع الديني (المذهبي) والثقافي والسياسي في الدولة الإسلامية منذ نزول الوحي.
- عرض السيوطي للمسألة في صعيد واحد، يمكن أن نستنتج منه ما لم يقله صراحة.

لكن السيوطي والأصوليين واللغويين لم يقولوا كل هذا، واكتفوا بعرض القضية عرضا موجزا أو مسهبا، ولهذا قلت: إن هذه المسألة لا يمكن النظر إليها بمعزل عن ذلك كله. وعلى القارئ لها أن يربطها بما كان دائرا يومئذ؛ لأن هذا لا تذكره مصنفات اللغويين والأصوليين؛ إذ له مصنفات تؤرخ له وتفصِّل القول فيه.

<u>2 / 0 : من ملامح التفكير الإقناعي، مع تقويم لساني للموازين بين الحجاج الكتابي والحجاج الكلامي:</u>

<u>2 / 1 : من ملامح التفكير الحجاجي في المناظرات المذهبية:</u>

هذا المطلب محاولة لتقديم تصور حول استراتيجيات الإقناع عند أهل النقل وأهل العقل، وأسوق توضيحا لها فيما يرد أدناه:

2 / 1 / 1 : في التفكير الحجاجي يتصور الكاتب مناظرا افتراضيا يحاول إقناعه، ويتصور أنه يعترض عليه، فيرد هذه الاعتراضات، وهذه سمة جوهرية تتسم بها الطائفتان، وإن كانت عند أهل النظر أوسع.

2 / 1 / 2 : تحاول الطائفتان أن تقدما استدلالات إقناعية تناسب فكرهما المذهبي؛ فأهل النقل يعملون العقل ما لم يتعارض مع النقل فإذا تعارض قدموا النقل، خلافا لأهل النظر الذين يفسحون المجال أمام العقل، مما أثر على الاستنتاجات لديهم بشكل واضح1.

2 / 1 / 3 : تتنوع استراتيجيات الاستدلال عند أهل النقل بين الأدلة النقلية والعقلية واللغوية، خلافا لما هو عند أهل النظر الذين تنصب استدلالاتهم على العقلية منها بشكل كبير، مع عدم إغفال الاستدلال النقلي واللغوي، اللذين جاءا على استحياء.

2 / 1 / 4 : استدلالات أهل النقل في الاعتماد على العقل أخذ منحى شكليا، وقد بدا هذا واضحا في الاعتماد على الاستراتيجية النقلية جعلهم ينوعون بين النقلي الذي تنوعت مصادره، وبين العقلي، وإن جاءا بدرجات متفاوتة، بينما الاستدلالات العقلية لها الغلبة على غيرها من الاستدلالات، كما سنرى.

2 / 1 / 5 : يتسم النص الإقناعي لكلتا الطائفتين بسمة التفصيل والبيان، على أساس تأكيد الفكرة وترسيخها لدى المتلقي/ القارئ.

2 / 1 / 6 : إذا كانت الطائفتان تعتمدان البيان والإيضاح لطبيعة النص الإقناعي، فإن الاستراتيجيات الاستدلالية متباينة؛ فإذا كان أهل النقل نوعوا في الاستراتيجيات، غير أن أغلبها نقلية، في حين وسع أهل النظر الاستراتاجيات العقلية. وهذا الخلاف بين الطائفتين يعكس خلافا فكريا.

2 / 1 / 7 : الاستراتيجيات التي اعتمدها أهل النقل في الاستدلال لا تقبل النقد، على الأقل بالنسبة لهم، خاصة أنها نصوص دينية (قرآن وسنة و أقوال الصحابة والتابعين) خلافا لما أورده أهل العقل، إذ استدلالاتهم أغلبها عقلية، وهذا ما ظهر عند ابن جني في نهاية معالجة المسألة في التردد في قبول رأي بعينه، على ما سيتضح خلال معالجة الأبنية الاستدلالية عنده، ومن ثم تحتاج إلى إمعان النظر فيها وتقليبها على وجوه●.

2 / 1 / 8 : استراتيجيات الإقناع عند أهل النقل تعتمد على أدلة نقلية وعقلية ولغوية، غير أن الأولى تمثل أساسا حقيقيا، خلافا لأهل النظر الذي يمثل العقل عندهم استدلالا أولا وأخيرا، وهذا ملمح جوهري في الخلاف بينهما، أدى إلى التباين في الاستدلالات كما سنرى.

2 / 1 / 9 : تنعكس الاعتقادات المذهبية على الاستدلال. وتبدو شاخصة في اللغة كعنصر يمثل كلا.

2 / 1 / 10 : اتسمت الاستدلالات التي اتبعتها الطائفتان بالترتيب الذي يناسب فكرها المذهبي؛ فرتب ابن فارس الاستدلالات النقلية ترتيبا يناسب مذهبه،ولم يرفض الاستدلالات العقلية والمنطقية واللغوية، كما سنرى.

على الرغم من أهمية هذه الوسائل، إلا أنها لا تقع موقعا واحدا من حيث الأهمية؛ فالترتيب يعكس تفاوتا بينها من حيث درجتها، فإذا كان النص القرآني لا يقبل النقاش باعتباره نصا مقدسا، ولهذا صدر به هذه الاستدلالات النقلية، ثم رتب ما لا يقبله الأول، وجعله صنفين، الأول: أقوال

---

1 سنرى كيف أوقعه هذا في التصنع والتكلف المفرطين في (البنية الاستدلالية عند أهل العقل).

● انعكس هذا واضحا على الاستدلال عنده.

الصحابة، والثاني: أقوال التابعين، فإذا كان النص القرآني لا يقبل النقاش، فإن الوسيلتين الأخريين، يقبلانه، وإن لم يستويا فيه، فأقوال الصحابة تأتي كوسيلة أكثر إقناعا من أقوال التابعين وهكذا. أما الاستدلال عند ابن جني، فقد غلب عليه الاستدلال العقلي والمنطقي، أوَّلَ موضعين، واستعمال العقل والتأويل من السمات الجوهرية لأهل النظر، كما سنرى.

2 / 1 / 11 : استراتيجيات الإقناع لدى الطائفتين أدت بهما إلى استعمال مصطلحات متباينة، فإذا كان ابن فارس عبّر عن هذه القضية " أتوقيف هي أن اصطلاح"، فإن ابن جني ذكر "إلهام هي أم اصطلاح"؟

2 / 1 / 12 : تدرج أهل النقل في استخدام وسائل الإقناع؛ فبدأ ابن فارس بالقرآن الكريم ثم الحجج شبه المنطقية على غرار أهل النظر، غير أهل العقل يستخدمون استراتيجيات مفارقة تنماز عن تلك التي يستخدمها أهل النقل؛ إذ تركز على تفنيد آراء الطائفة الأولى، متخذة من العقل منطلقا.

2 / 1 / 13 : تأتي استدلالات الإقناع عند أهل العقل تفنيدا لرؤية أهل النقل، النقلي وشبه المنطقي، ولهذا تنوعت وسائل الإقناع لدى الطائفة الثانية من الناحية العقلية والتأويل، تبعا لطبيعة الوسيلة ودحضا لها.

2 / 1 / 14 : إذا كانت الاستدلالات الإقناعية تتدرج عند أهل النقل من النقلية فالعقلية، فإنها عند أهل العقل تأخذ خطا واحدا: الاستدلالات العقلية والمنطقية وقليل من اللغوية والنقلية.

وإذا كانت التصورات المذهبية متباينة، وإن كانت هناللك نقاط لقاء، فإن نقاط التباين بينهم أكبر بكثير، وقد تبدت بشكل واضح في درجة أهمية هذه التقنيات الحجاجية، فإذا كان التدرج في استعمال وسائل الإقناع عند أهل النقل تمثل علامة بارزة، فإنها تختفي عند أهل العقل تقريبا.

2 / 1 / 15 : إذا كانت وسائل الإقناع عند أهل النقل نصوصا دينية متنوعة، فإن أهل العقل لا يستندون إلى النص القرآني باعتباره نصا مقدسا لا يقبل النقاش، بل باعتباره مدخلا للرد على أهل النقل.

2 / 1 / 16 : وسائل الإقناع عند أهل العقل دليل إقناع عندهم من بنية الواقع، بينما اتخذت وسيلة عقلية عند أهل النظر، ولا أدل على ذلك من استخدام الآيات القرآنية عند أهل العقل مقارنة بما هو وراد عند أهل النقل؛ فإذا كان أهل النقل ذكروا آية قرآنية (البقرة / 31)، فإنها وسيلة لغوية من نص مقدس، فكان الرد على الفريق الأول يستدعي تفنيد دعواهم، وهذا كان سببا جوهريا وراء النظر إليها من وجوه عدة، تثبيتا وتعضيدا لفكرهم.

<u>2 / 2 : تقويم لساني للموازين الحجاج الكتابي والحجاج الكلامي:</u>

2 / 2 / 1 : الحجاج الكتابي ينماز بالإيجاز، خلافا للحجاج الكلامي الذي يتميز بالإسهاب.

2 / 2 / 2 : إذا كان ما ورد في النقطة الأولى صحيحا، فإن هذا ربما الذي دفع بيرلمان إلى القول بأن هناك ما يدعو إلى الضحك الذي يدل على الاستهزاء. وهذا لاحظته في المناظرات القائمة بين اثنين مثلا، مما يؤدي إلى ضحك أحد الفريقين نتيجة استنتاج خاطئ أو قرءاة آية بطريقة خطأ أو عدم الإلمام بمعلومة عامة أو الوقوع في تناقض في كلامه وهكذا.

2 / 2 / 3 : الحجاج الكتابي مدروس ويعاد النظر فيه من آن لآخر من قبل كاتبه قبل أن يعرضه على الجمهور/ القارئ، بينما الحجاج الكلامي يمكن أن تكون ردود الخصم فيه من كلام الخصم؛ بمعنى أنه لا يكون مدروسا مسبقا، ويعتمد على قدرة المناظر على شحذ ذهنه.

2 / 2 / 4 : الحجاج الكلامي لا يستحضر فيه المتناظر أوراقه وأدواته كثيرا كما في الحجاج الكتابي؛ إذ يحتاج إلى سرعة بديهة اعتمادا على ثقافة ومعلومات متنوعة في موضوع المناظرة، فضلا عما سبق.

2 / 2 / 5 : الحجاج الكتابي لا يبدو فيه ارتفاع الأصوات دلالة على حدة الصراع بين المتناظرين، ويتجلى ذلك من خلال الصراع بين المفردات والتراكيب، خلافا للحجاج الكلامي.

2 / 2 / 6 : الحجاج الكتابي تبدو فيه اللغة متخيرة، والألفاظ واضحة، وتخلو من الابتذال، خلافا للحجاج الكلامي.

2 / 2 / 7 : الحجاج الكتابي لا يرتبط صاحبه بوقت محدد لكي يظهر فيه رأيه، خلافا للحجاج الكلامي، ومن هنا فالحجاج الكلامي يرتبط بإعمال العقل، ويحتاج إلى مقومات ربما لا تتوفر فيمن يكتب في الحجاج الكتابي.

2 / 2 / 8 : الحجاج الكتابي يمكن أن يعدل فيه صاحبه عن رأيه إن شاء في طبعة لاحقة، بينما الحجاج الكلامي الأمر فيه صعب.

2 / 2 / 9 : الحجاج الكلامي نظرا للتطور التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصال أسرع وأكثر انتشارا و أقل تكلفة من الحجاج الكتابي، الذي يحتاج تكلفة ووقت أطول.

2 / 2 / 10 : الحجاج الكتابي يحتاج إلى قارئ متخصص إذ يمثل طرحا، بينما الحجاج الكلامي لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الأول، وإن كان يشترك معه كذلك.

2 / 2 / 11 : الحجاج الكتابي يتسم بالتخصص، ويرتبط غالبا بقضايا سياسية أو عقدية أو طائفية أكثر، بينما الحجاج الكلامي يرتبط غالبا بقضايا اجتماعية حياتية، وإن كان لا ينفي الأول.

2 / 2 / 12 : الحجاج الكتابي لا يرتبط بزمن، في حين أن الحجاج الكلامي يرتبط بزمن محدد.

2 / 2 / 13 : الحجاج الكتابي يكون بين طائفتين تختلفان فكريا وعقديا مثلا، بينما الحجاج الكلامي ليس شرطا أساسيا كما في الأول.

2 / 2 / 14 : الحجاج الكتابي يكون مقصودا في ذاته ولذاته وهدفه واضح، ويكون ردا على رؤية مغايرة، وهذا يحدث في مجالات علمية مختلفة؛ مثل الخلاف بين النحاة والمفسرين واللغويين والأصوليين وهكذا، في حين الحجاج الكلامي يمكن ألا يكون مقصودا لذاته، والهدف فيه نسبي.

2 / 2 / 15 : يأخذ الحجاج الكتابي طابع السمة العلمية الصارمة، وأما الحجاج الكلامي فليس بالضرورة أن ينحو هذا المنحى.

2 / 2 / 16 : يكتسب الحجاج الكلامي، في الوقت الراهن، طابع الانتشار والاستعمال أكثر من الحجاج الكتابي؛ نظرا لما توفره وسائل الاتصال الحديثة، أنه أسرع انتشارا و أقل تكلفة وتوفره لدى شريحة كبيرة في المجتمع.

2 / 2 / 17 : الحجاج الكتابي كاتبه على قناعة بفكر أيدلوجيي غالبا، بينما الحجاج الكلامي ربما يرتبط بمصلحة آنية، وإن كان لا ينفي عنه تبني نظرية أيدلوجية.

2 / 2 / 18 : الحجاج الكتابي يعد له سلفا، ويستغرق وقتا في جمع الأدلة والحجج، بينما في الحجاج الكلامي فهو كالأول في أن يعد له سلفا، إلا أنه أقل زمنا، ويعتمد أساسا على الاستنتاج وما تفرضه طبيعة المناظرة بين الخصمين في أثناء النقاش.

2 / 2 / 19 : الحجاج الكتابي الأدلة فيه واضحة مستعلنة، خلافا للحجاج الكلامي الذي ربما يأخذ صورا متعددة، تتفاوت قربا وبعدا من النوع الأول.

2 / 2 / 20 : الحجاج الكتابي لا يخرج عن حدود اللياقة؛ إذ يتميز بالجدية في الصياغة وانتقاء الألفاظ، في حين أن الحجاج الكلامي يند عما في الأول.

2 / 2 / 21 : مجالات الحجاج الكتابي غالبا ما تكون دينية أو عقدية أو إيدلوجية، ومن ثم فهي محدودة مقارنة بالحجاج الكلامي الذي يتنوع بتنوع المجالات الحياتية.

2 / 2 / 22 : الحجاج الكتابي نشأ متأخرا مقارنة بالحجاج الكلامي، الذي نشأ منذ بداية الخلق، بينما الحجاج الكتابي، لم يتم إلا بعد اختراع الكتابة.

2 / 2 / 23 : الحجاج الكتابي يلتزم فيه بالصياغة الصارمة، ولا يخرج على حدود اللياقة الأدبية، على ما أوردت سلفا، وبناء على ذلك يلتزم بالعربية الفصحى، في حين أن الحجاج الكلامي لا يرتبط بذلك؛ إذ تتنوع في مستويات العربية، حسب طبيعة الحوار، وبشكل أكثر تحديدا غالبا ما يكون بين مستويين، الفصحى وعامية المثقفين وعامية المتنورين. وما مدونة الدراسة إلا مثال.

2 / 2 / 24 : الحجاج الكتابي يستنفد فيه صاحبه كل طاقته الاستدلالية، بناء على أن فترته الزمنية أطول مقارنة بالحجاج الكلامي، الذي ربما لا يتسع الوقت لسرد كل حججه، وهنا يتحكم في كل هذا عنصران حاكمان، الأول: طبيعة الحوار، والثاني: قدرة المناظر على الدفع بكل حججه أو أكثرها أهمية قبل أن يقوم من مقامه.

2 / 2 / 25 : النوعان يعد لهما مسبقا، غير أن الحجاج الكتابي لا يكتب صاحبه إلا بعد أن يكون قد قضى عمرا مديدا في هذا الميدان، بينما لا يشترط هذا غالبا في الحجاج الكلامي.

2 / 2 / 26 : صاحب الحجاج الكتابي لا بد أن تتوافر فيه شروط بعينها كالثقافة والعلم الراسخ وأن يكون معروفا في المجتمع بإنصافه بين الناس ... إلخ، خلافا للحجاج الكلامي، الذي ليس بالضرورة أن تتوافر فيه هذه الصفات.

2 / 2 / 27 : إذا كان الحجاج الكلامي يقوم على شخذ الذهن في استخلاص الحجج اعتمادا على مجريات النقاش، فإن هذا يعتمد على ثقافة المناظر الابستمولوجي؛ إذ يستدعي الحجاج الكلامي عددا من الأسئلة والإجابات التي تفرضها مجريات الأحداث الكلامية، ربما لا يكون معد لها مسبقا، وهذا لا يتوفر في الحجاج الكتابي.

2 / 2 / 28 : الحجاج الكتابي يلتزم فيه صاحبه بالعربية الفصحى، وإن التزم بالعربية الكلاسيكية التي تلتزم بتلك الفترة التي أنتج فيها هذا النص أو ذاك؛ بمعنى أنها نصوص ليست بالضرورة تنتمي إلى فترة

زمنية معينة. خلافا للحجاج الكلامي الذي يمكن أن يضم عددا من مستويات العربية، كأن يجمع بين العربية الفصحى وعامية المثقفين مثلا وأحيانا عامية المتنورين.

3 / 0 : الأبنية الحجاجية للاستدلال في المناظرات المذهبية:

3 / 1 : الأبنية الحجاجية للاستدلال عند أهل النقل:

3 / 1 / 1 : قراءة أولية في الأبنية الحجاجية للاستدلال:

كان ابن فارس واضحا منذ البداية حين اختار مذهب التوقيف في مسألة أصل اللغة، وفي سبيل ذلك اعتمد عددا من الاستدلالات المتنوعة، وإن كان يقع أغلبها في إطار الأبنية الاستدلالية النقلية، وتخللها الحوار والجدل المنطقي القائم على استنباط الأجوبة من النصوص دون إعمال الفكر في الموضوع الأساسي1. غير أن هذه الرؤية تحتاج إلى إعادة نظر في ضوء السياقات التي أورد فيها استدلالاته. كما نؤكد على ما أوردته في مطلب آخر (ينظر: 3 / 2 / 2 من البحث) أنه لم يكن ناسيا أنه بصدد معالجة مسألة موغلة في القدم / ميتافيزيقية، ولهذا تعددت الاستدلالات وتنوعت، ومن هنا كان على يقين أنها لن تصل إلى إقناع تام للمتلقي.

ويمكن بداية إيجاز رؤية ابن فارس في الاستدلال، حسب رؤية أحد الباحثين2:

- الاستدلال بإجماع القوم.
- الاستدلال بالحجة العلمية.
- الاستدلال اللغوي.
- الاستدلال النحوي.

---

1 د. محمد حسين آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص 10.

2 السابق: الموضع ذاته.

جدير بالذكر أن هذه الدراسة، وتحديدا من الصفحة 10 : 13 من أمتع ما قرأت في استظهار أبنية استدلالية متميزة، لم تقع عليها عيني إلا عنده، كما حاول كذلك أن يبين الحجاج عند ابن فارس و ابن جني، إلا أن معالجته - في الصفحات المذكورة – اقتصرت على صيغة ضيقة ومحدودة وبيان ضعفها، كما أنه تنبه إلى الوقوف على التفاصيل التي لا داعي لها، فكانت نظرته محدودة؛ بمعنى آخر بدأ د. محمد يلتقط الخيط ويمسك به، غير أنه بدأ لينتهي، كما أنه لم يحاول أن يربط هذه الاستدلالات بالخلفية التاريخية التي ينطلق منها الشيخان، خاصة أننا نرى الباحث يرد ابن فارس في كل حجة، ولم ينتبه إلى أن ابن فارس كان يعلم علم اليقين، أنه ليس بصدد حجج نهائية وأخيرة، وهذا في ظني ما غاب عن باحثنا. كما أن عنوان المقالة لا يوحي أنه يعتمد هذا النهج في البحث. وعلى الرغم مما أوردت إلا أنها تعد من المقالات الثرية في معالجة هذه المسألة من ناحية الحجاج، وإن أصابها ما يلي:

- جاءت موجزة.
- جاءت سطحية.
- لم يربطها بالخلفية التاريخية التي انطلق منها الشيخان.
- جاءت نظرته – على الرغم من تركيزة – ضيقة.

وربما كانت هذه الملاحظات السابقة وغيرها؛ لأنه لم يكن معنيا في الأساس ببيان أوجه الاستدلال لدى الشيخين، وإن لم يعدمه؛ بدليل أن المقالة اشتملت الاستدلالات فيها على الصفات المذكورة، وناقش قضايا أخرى. على أية حال سنتعرض لهذه الجو انب في مواضعها من البحث.

وهي معالجة جديرة بالنظر وإدامة البصر، غير أنها على الرغم مما تميز به ما أورده الباحث، إلا أنه لم يستغرق سوى أربع صفحات تخللتها نقول طويلة، وعلى هذا سأتوجه وجهة أخرى في المعالجة، تظهر الحجج والاستدلالات لدى الشيخ، وعلاقتها بمذهبه السلفي النقلي، صحيح، توصل الباحث في مواضع عدة إلى رؤى دقيقة، بيد أنه لم يحاول أن يربط هذا الخلاف بأثر الفكر المذهبي عنده. على أية حال سأحاول أن أقدم الأبنية الاستدلالية وربطها بالفكر المذهبي في إطار عام؛ بمعنى سنحاول أن نستظهر هذه الأبنية ببعض من ناحية، وبربطها بالفكر المذهبي من ناحية أخرى.

قسمت مناقشة ابن فارس للمسألة إلى مراحل ثلاث، تضم المرحلة الأولى والثانية مراحل أخرى فرعية، بناء على عرضه لها، كما يلي:

.المرحلة الأولى: الاستدلالات النقلية، تنوعت من حيث الأهمية والترتيب على النحو الآتي:

- الاستدلالات الأساسية: الاستدلال القرآني:(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...): وهو الاستدلال الرئيسي.
- الاستدلالات المفسرة: الاستدلال التفسيري: يتنوع ما بين تفسير الصحابة والتابعين، وغرضه (التوضيح والتفسير)، كما يلي:

.الاستدلال التفسيري لأقوال الصحابة: ابن عباس.

.الاستدلال التفسيري لأقوال التابعين: خصيف عن مجاهد.

.الاستدلال التفسيري لأقوال غير معلومة أصحابها: قال غيرهما، قال آخرون.

. المرحلة الثانية: الاستدلال اللغوي، الغرض منه التوضيح والتوكيد: التصور اللغوي المنطقي. وقد جاءت متنوعة عند ابن فارس كما يلي:

- المرحلة الأولى: التفسير النحوي.
- المرحلة الثانية: الاستدلال بالاحتجاج بلغة العرب.
- المرحلة الثالثة: تدعيم رأيه حول فكرة التوقيف.
- المرحلة الرابعة: الاستدلال باللغويين.

.المرحلة الثالثة: الاستدلال النقلي الواقعي.

تعكس هذه المراحل تراتب هذه الاستدلالات لدى الشيخ؛ فإذا كانت المرحلة الأولى أساسية، فإن المرحلة الثانية تليها في الترتيب والأهمية، وقد رتبتها تبعا للموضوع العام، فإذا كانت المرحلة الأولى تتعلق بالاستدلال بالنصوص النقلية،على اختلافها وتنوعها، ولهذا جعلتها في ثلاث مراحل فرعية، تأتي فيها المرحلة الأولى أساسية وعامة، ولهذا تحتاج إلى بيان وتفسير من المرحلتين اللاحقتين، كما أن هذه المراحل ليست واحدة، فإذا كانت المرحلة الأولى عامة، فإن المراحل الثلاث يجمعها جامع واحد، وهو (التوضيح والتفسير)، وإذا كانت هذه المراحل الاستدلالية التي اعتمد عليها ابن فارس واحدة، فلماذا جاء بأكثر من استدلال يؤدي وظيفة واحدة؟!

وتبقى الإجابة أن غرض المراحل (الاستدلالات) التوضيح والبيان، بيد أنها تتباين من حيث الأهمية التي يعكسها الترتيب، ويبدو أن ابن فارس كان مدركا لهذا فرتب استدلالاته ترتيبا يوحي بالتمايز فيما بينها، وأن كليهما يؤدي وظيفة لا يصلح لها الاستدلال الآخر، ولهذا يمكن استنتاج ما يلي:

أولا: أن ترتيب الاستدلالات لديه مقصود، وأنها ليست واحدة من حيث الأهمية.

ثانيا: أن هذا الاختلاف اختلاف تكامل. وهذا ما تعكسه من وظيفة الاستدلالات الثلاثة النقلية.

وعلى هذا يمكن إيجاز الاستدلالات عند ابن فارس فيما يلي:

- الاستدلال النقلي.
- الاستدلال اللغوي
- الاستدلال النقلي.

ونشير إلى السمات الجوهرية التي تمثل استدلالات كل مرحلة؛ فإذا كانت المرحلة الأولى: (الاستدلالات النقلية) تعتمد على النصوص دون تدخل ابن فارس، فإن الجانب العقلي والمنطقي لا مكان له فيها، ويبدو أن هذه الملاحظة جعلت أحد الباحثين يشير إلى أهل النقل دون أن يسميهم؛ أنهم يعتمدون على النقل والأخبار والتسليم بهما دون نظر وتمحيص1. وقد أصاب جانبا من الحقيقة، كما جانبه الصواب في آخر، وتفصيل ذلك فيما يستقبل من بيان.

أصاب جانبا فيما يتعلق بالمرحلة النقلية المباشرة؛ وإذا أردنا الدقة قلنا: نقل النصوص الدينية (قرآن، وتفسير)، على الرغم من أن هذه الآراء ليست نهائية ولا أخيرة، خاصة أن الآية الكريمة عامة كما سيتضح، لهذا جاءت الاستدلالات الأخرى، ومن هنا نظر الباحث نظرة عامة، ولا أدل على ذلك من أني قلت إنه جانبه الصواب في الشق الآخر؛ و آية ذلك المرحلة الثانية: الاستدلال النحوي، الذي تنوع، كما هو وارد أعلاه، كما أن ابن فارس استعمل فيه ما يلي:

- الاستدلال العقلي.
- الحجج الو اقعية والمنطقية.
- الحجاج النحوي.

ولا ريب أن الحجاج النحوي تأثر بالحجاج في بيئة المتكلمين والأصوليين في تلك الحقبة. كما يلاحظ تشابها بين المرحلة الأولى والثانية والثالثة في اعتمادها على النقل، وكل مرحلة من هذه المراحل لها سمات جوهرية تنماز من المرحلة الأخرى، على الرغم من اعتمادها جميعا على النقل. ونستنتج من هذا أن الاستدلال النقلي يمثل سمة جوهرية عند أهل النقل، ويتسق هذا مع ذلك الاستنتاج الذي توصل إليه أحمد أمين (ينظر: 1 / 2 من البحث) أن هذه الطائفة ترجح النصوص النقلية على إعمال العقل، وهذا لا ينفي أنها لا ترد رؤية العقل، كما يلاحظ في التحليل أن كل مرحلة من هذه المراحل تتنوع في استعمال الاستدلالات التي تتباين فيما بينها من حيث الأهمية. ونورده فيما يرد أدناه بفضل بيان.

<u>الأول</u>: التقنيتان ليستا على درجة واحدة؛ فإذا كانت تقنية القرآن الكريم أساسية لما أوردت سابقا، فضلا عن ترتيبها عقليا ومنطقيا فلم يأت في مرحلة واحدة؛ فإذا جاءت استر اتيجة الاستدلال بالنص القر آني أولا، فإن الاستدلال بأقوال الصحابة والتابعين جاء تاليا، بناء على اعتقاد المتلقي أولا وما يمثله من قيم واعتقاد في نفوس المتلقين؛ ولهذا يمكن أن نجعل الاستدلالات النقلية تأتي للتفسير

1 د. محمد حسين آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب، ص10.

والإيضاح أيضا، ولهذا لا يمكن أن ندرجها في إطار حجة التبذير التي تقوم على الاتصال والتتابع، وإن لم تعتمد فيها أساسا على السببية.

<u>الثاني</u>: استراتيجية النقل عن السلف التي تبادرت إلى ذهن أهل النقل عقب الاستراتيجية الأولى؛ لأنها مقدمة عليها لاعتبارات دينية ومذهبية. وتأتي تالية للاستراتيجية الأولى.

ولهذا فالاستراتجيتان ليستا على درجة احدة من حيث الترتيب الطبيعي والزمني لكليهما؛ ولهذا جاءت الأولى أساسية في حين جاءت الثانية مفسرة وموضحة. وجاءت الثالثة مؤكدة ومعضدة للأولى والثانية، وهكذا مع كل استدلال يلي الاستدلال الذي يسبقه.

أعود فأقول يبدو أن ابن فارس قد لحظ ملحظا آخر؛ أن هذه الأبنية الاستدلالية النقلية على الرغم مما يكنه المسلمون لم تلق استجابة كافية لدى أهل النظر (المعتزلة)، لما سيرد في التفاصيل أدناه، فأراد أن يوسع استراتجيات الإقناع من خلال محورين:

- الاستدلال النقلي: يتعلق بأهل السنة (أهل النقل)، وتأثيره النفسي والمعنوي في نفوسهم.

- الاستدلال العقلي: يرتبط بالمعتزلة (أهل العقل) الذين يرون خلاف الرأي الأول. ويبدو أن ابن فارس قد لحظ هذا فتوجه تلقاء ما يتسق مع أفكارهم، ولهذا نوّع الاستراتيجيات القائمة على الو اقع وشبه المنطقية. وبناء على هذا الأساس، تنوعت الاستراتيجيات لدى أهل النقل أكثر منها عند أهل العقل.

<u>3/1/2 : الأبنية الحجاجية للاستدلال عند ابن فارس:</u>

تبنى ابن فارس في مسألة أصل اللغة رؤية الوحي والإلهام؛ وأنها من عند الله تعالى، وفي سبيل ذلك اتخذ عددا من الأبنية الاستدلالية، وقلت في مواضع ماضية، إن ابن فارس ينتمي إلى أهل النقل (الأشاعرة)، وهي طائفة تغلب النص على العقل، وفي الوقت ذاته لا تنكر العقل، ولكن لا تقدمه على النص؛ فإذا تعارض النص مع العقل غُلِّب النص، خلافا لأهل النظر.

وقد بدت هذه التصورات بشكل لافت للنظر عنده، فاتخذ من القرآن الكريم استدلاله الأساسي على الأقل من جهته، وهو الاستدلال الذي لا يقبل الريب عنده، إلا أن الأمر ليس متعلقا به شخصيا، فهو يمثل مذهبا، وبناء عليه، فإن الجهة المستهدفة من هذا الاستدلال ليست تلك التي ينتمي إليها، بل طائفة أخرى (المعتزلة) ومن سلك مسلكهم، ولهذا كان حريصا على تنويع الأبنية الاستدلالية. ويبدو أن كل هذا دار في رأسه، وكان متفهما له.

ولهذا رأينا البنية الاستدلالية الأساسية (النقلية) تلك التي يمثلها النص القرآني، غير أنه كان مدركا أنه يستهدف طائفة أخرى تغلب العقل وترجحه. وعلى الرغم من قناعته شخصيا، بأن النص القرآني لا تنقضي عجائبه، ولا يُغلَّب عليه نص آخر، غير أن عينه كانت على الطائفة الأخرى، فهو يعلم أن هذا الاستدلال: النص القرآني، سيؤول عندهم ويتماهى مع العقل. وبناء عليه تدرج إلى الاستدلال الذي يليه.

وينبغي أن نشير إلى أن الاستدلال النقلي، القرآن الكريم، كما قلت، الأول والأخير عنده ومذهبه، وبرغم قناعاته بما ذهب إليه في الاستدلال الأول، إلا أنه لم يكن يركن إليه إلا قليلا، خاصة أن الأشعري صاحب تفنيد آراء علماء الكلام، كان يتبع بداية المذهب الكلامي ثم تحول عنه، وهو ما

يعني صراحة أو ضمنا، أنه عالم بنقاط القوة والضعف عند المتكلمين، وعلى دربه سار علماء أهل النقل ومنهم ابن فارس.

قلت على الرغم من قناعة ابن فارس، إلا أنه اضطر اضطرارا إلى أن يأتي ليس باستدلال بل باستدلالات عدة، وربما أدت طبيعة الحجاج والمسألة محل المناظرة إلى أن يسلك هذا المسلك، كما أن الاستدلال النقلي (النص القرآني) ينتمي إلى بنية الواقع، إلا أنه كما قلت، يتوجه به إلى جمهور عريض من المعتزلة الذين يؤولون النص، إن تعارض مع فكرهم، على ذلك النحو الذي فعله ابن جني كما سنأتي عليه. وعلى هذا يمكننا اعتبار الآية القرآنية من النص القرآني استدلالا نقليا وواقعيا في آن واحد، وهو الدليل الأصيل عند الأشاعرة، إلا أن أهل النظر يجدون له تأويلا.

ولهذا تدرج إلى الاستدلال الثاني، وهو أقوال الصحابة، وهو ترتيب طبيعي لأهل النقل، خاصة أنه لم يجد ما يعضد رؤيته من السنة النبوية، فتوجه إلى تفسير الصحابة؛ إذ لم يجد أسبق من ابن عباس تفسيرا للقرآن الكريم، والسؤال: لماذا ذكر ابن عباس ولم يذكر أحدا من المفسرين، على الرغم من أن هنالك تفاسير أخرى سبقت ابن فارس المتوفي في نهاية القرن الرابع الهجري؟ يبدو أنه لم يكن معنيا بالاستدلال بآراء المفسرين بقدر عنايته تحديدا بالاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين من المفسرين، على ما سنرى، وإلا فلماذا لم يذكر تفاسير أخرى؟ يبدو أنه كان معنيا بالاستدلال برؤية الصحابة التي كانت تعنيه في المقام الأول، ويبدو كذلك أنه كان على وعي بهذا الأمر. ولهذا تدرج بعد ذلك إلى التابعين فذكر آراءهم؛ فهذا خصيف الذي كان من التابعين، ذكر أنه روى عن والده، أما مجاهد فقد كان أوثقهم وأعلمهم بالتفسير، فقد روي عن سفيان الثوري أنه قال: خذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك. وقال خصيف : كان مجاهد أعلمهم بالتفسير. وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، ولد (21– ت 104 هـ) ووصفته ويكبيديا بأنه: إمامٌ وفقيه وعالمُ ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي.

أما خصيف فقد كان من تابعي التابعين، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أنه توفي (132 أو 138 هـ)، وعلى هذا فقد نقل خصيف عن مجاهد، وكلاهما ثقة، وإن كانت المصادر تشير إلى أن خصيف كان مضطربا في نقل الآراء، لكنه كان تقيا ورعا.

على أية حال، فإن ابن فارس كان حريصا في نقل استدلال ابن عباس والتابعين وتابعي التابعين، على ذلك النحو المشار إليه. وإذا كان أشار إلى هذا النحو من التوثيق وممن يوثق بهم، فهذا من باب تقوية الحجة بالاستدلال الذي لا يرد. وعلى ذلك يمكننا اعتبار الاستدلال بالنص القرآني أساسا ينبثق منه استدلال آخر، مبني عليه ومقوي له، وفي الوقت ذاته مفسر له كذلك، وهذا الاستنتاج، إن صح، فإنه يؤكد تلك الرؤية التي توصلت إليها أعلاه؛ أن الاستدلال النقلي أعلى وجوه الاستدلال عند أهل النقل، ولا يضاهى بغيره من الاستدلالات الأخرى التي تأتي في مراتب تالية، وهكذا يكون دورها التفسير والتوضيح، كما قلت، ويعكس كذلك أنها ليست بواحدة من حيث الأهمية. ولهذا يمكننا اعتبار هذا الأمر تدرجا في الاستدلالات عند ابن فارس، و أنه كان مدركا لما يقوم به.

والذي يؤكد ما ذهبت إليه صحيح، أنه عقب ذلك قال: وقال غيرهم، وقال آخرون: علَّمه أسماء ذريته أجمعين1. وهنا نلاحظ أنه لم يحدد مفسرا، والرأي الأخير الذي أورده ابن فارس حصيلة الآراء السابقة ومؤكد لها، ولهذا لم ينسبه إلى أحد؛ ففي ذلك استنكار للبنية الاستدلالية؛ لأن ابن فارس ذكر قبله ما هو أهم: النص القرآني، ثم استدل برؤية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ثم جاء الرأي الأخير تتويجا وتوكيدا لما سبق من أبنية استدلالية أقوى من الأخير، وهل يمكن أن يكون الأخير كالأول في القوة والاستدلال؟ تأبى طبيعة الأشياء ذلك.

وعقب كل ذلك اختار رأي ابن عباس: أن الله علمه أسماء كل شيء. وهو استدلال نقلي من الواقع كذلك وتأكيد لما هو نقلي من النص القرآني. والدليل على أن ابن فارس كان مدركا وواعيا، أنه في حالة مناظرة مع طائفة أخرى؛ كان يستحضر شخصا اعتباريا يحاوره، ولذلك عقب الانتهاء من عرض الاستدلالات المبنية على الواقع مما يعتد به لدى الأشاعرة، قال: فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال (ثم عرضهن أو عرضها)، فلما قال: (عرضهم) علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة؛ لأن موضوع الكناية في كلام العرب أن يقال لما يعقل (عرضهم)، ولما لا يعقل: (عرضها أو عرضهن)2. ومن جهة أخرى كان هذا مناسبا للمعتزلة.

وهذا يعني أنه كان مدركا على الرغم مما قام به من الاعتماد على النصوص الموثوق بها من القرآن وآراء الصحابة والتابعين، وعلى الرغم من أنه كان مقتنعا بما قام به، إلا أن عينه كانت على الطائفة الأخرى، خاصة أنه أقام الاستدلال لإقامة الحجة عليهم، ويبدو أنه كانت تساوره الظنون حول قناعة الخصم بما ذهب إليه، وهو المنوط بهذه المناظرة.

ويتبين من هذا الحوار أن المقصود بهذا هم علماء الكلام من المعتزلة الذين يمثلهم ابن جني، وعلى هذا نلاحظ حجاجا استدلاليا بين الطائفتين، وإن تمثل بشكل واضح في هذين المصنفين (الصاحبي في فقه اللغة، والخصائص)، فابن فارس يعلم علم اليقين أن هدفه إقناع الطرف الآخر، غير أن الأمر كان عصيا في إطار:

- أنه كان يتعامل مع قضية موغلة في القدم (أصل اللغات).
- استدلالاته يقصد بها طائفة أخرى تتبنى فكرا مغايرا.
- استدلالاته يمكن تأويلها من قِبل الخصم.

ولهذا بات مقتنعا بأن ما أورده لن يكون ناجعا لإقناع الخصم، ولهذا توجه تلقاء حجج استدلالية تنماز من الحجج السابقة، على الرغم من أنها تنتمي في إطارها العام إلى الحجج المبنية على بنية الواقع، وهو الاستدلال النحوي.

ويلاحظ أن الاستدلال النحوي لم يأت به ابن فارس، إلا في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة تنماز من المرحلتين السابقتين، من حيث الأهمية في ترتيب الحجج، على ما أوردت في صدر هذا المطلب. أدرك ابن فارس أن الخصم سيستخدم العقل والتأويل، لما سيرد في موضعه؛ خاصة أنه بعدما اختار

1 السيوطي: المزهر 1 / 8.

2 السابق 1 / 9.

الاستدلال برؤية ابن عباس وهو استدلال نقلي، قال فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال: (ثم عرضهن أو عرضها). فلما قال (عرضهم) عُلم أن ذلك لأعيان بني آدم، أو الملائكة1. رؤية ابن عباس فيها معرفة آدم كل الأسماء من أسماء الإنسان وأسماء الجبال والحيوانات؛ وعلى هذا تصور أن الخلاف في (عرضهم) وقال: عرضهن أو عرضها، على أساس أن الكثرة الكاثرة لما يعقل، لكن القرآن الكريم قال (عرضهم) للعاقل، ولهذا استنتج أن المقصود بها أعيان بني آدم أو الملائكة، إلا أنه رد هذه الرؤية بأن الجمع في (عرضهم) من باب التغليب وهي سنة من سنن العرب2.

ويلاحظ أن العلاقات الرياضية التي اعتمدها ابن فارس في الوصول إلى النتيجة شبه المنطقية؛ أنه بدأ في الاعتراض على (عرضهم)، ثم بين رأي الخصم في أن (عرضهم) يقصد به بني آدم أو الملائكة، ثم بين فساد رأي الخصم اللغوي، بناء على استدلال نحوي آخر؛ ليدحض رؤية الخصم التي هي دحض للاستدلال الأول النقلي، انتقل إلى الاستدلال النحوي، غير أنه اتبع ما يلي:

- الاعتراض على رؤيته من الخصم: عرضهن، عرضها.
- التسليم بصحة رؤية الخصم اللغوية: عرضهم.
- رد رؤية الخصم من الاستدلال ذاته: النتيجة: أعيان بني آدم أو الملائكة.

كما يضاف إلى ذلك الحوار الاعتباري، فضلا عن أن هذا الاستدلال النحوي يقع موقعا وسطا بين الطائفتين، أو بمعنى آخر هو استدلال ترتضيه الطائفتان. وعلى هذا لم يرده ابن فارس، كما لم يجعله في المرتبة الأولى؛ لأنها الاستدلالات السابقة أساسية تبعا لمذهبه السلفي (الأشعري)، وإن لم يرد الاستدلال النحوي، غير أنه لا يقدم على ما سبق من استدلال، ولهذا انتقل إلى استدلال آخر ترتضيه الطائفتان، ويبدو أنه يمثل سمة جوهرية خلافا لما سبق من استدلالات لما يأتي:

- أن هذا الاستدلال، وإن كان نقليا، إلا أنه يتفق عليه الطرفان.
- أنه أخذ سمة الحواروالجدال، وهي سمة يتفوق فيها المعتزلة.
- استعمل التأويل النحوي، وهذا خلاف الاستدلالات السابقة.

يلاحظ بشكل ضمني . القرن الرابع الهجري . أن الجدل والحوار انتقل إلى النحو، وأن النحاة استخدموه في مؤلفاتهم كما عند علماء الكلام والأصول.

غير أن الذي يلاحظ أنه استعمل آلية الحوار والمنطق والتسلسل في تتبع الفكره لبيان فسادها. وهو مذهب يتمشى مع فكر المعتزلة. وينماز من الاستدلال النقلي. وهنا يمكن أن أوجز آلية ابن فارس في هذا الاستدلال فيما يلي:

- المنطق الرياضي.
- الحجج شبه المنطقية.
- التضمين.
- ادماج الكل في الجزء.

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 8 .

2 ينظر: السابق 1 / 9.

- التفسير والتوكيد.

ومن جهة أخرى كان الاستدلال النحوي تفصيلا وتفسيرا وتوكيدا لما ورد في الاستدلال الأول (النقلي)، وعلى هذا جاء الاستدلال الثاني تفسيرا وتوكيدا في الوقت ذاته، على ما أوردته. ولما كان ابن فارس يضع نصب عينيه الخصم، الذي لم يكن مقتنعا بأنه قد سلم بما أورده من استدلالات. فراح يقدم استدلالات أخرى تفصيلا للاستدلالين السابقين، وهذا قاده إلى الاعتراض الآتي: فإن قال: أفتقولون في قولنا سيف، وحسام وعضب إلى غير ذلك من أوصافه، إنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مصطلحا عليه؟ قيل له: كذلك نقول: والدليل على صحته إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم مما يختلفون فيه، أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، لو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم، ولا فرق1. وهذا استدلال لغوي، كما السابق استدلال نحوي، وهو قريب من الاستدلال السابق مما يلي:

- استدلالان تتفق عليهما الطائفتان.
- استدلالان ينتميان إلى الدراسة اللغوية في معناها العام.
- استدلالان لا ينكرهما من لا ينتمي إلى الطائفتين، وفي هذا تدعيم لحججه.

يبدو ابن فارس كان مدركا أن الأبنية الاستدلالية النقلية السابقة، لن تكون كافية في إقناع الخصم، فتوجه إلى استدلالات نقلية من نوع آخر؛ أعني الاستدلالين اللغويين يأتيان في مرتبة تالية للاستدلالات النقلية السابقة، كما أنهما كذلك تمثلان أرضية مشتركة بين الطائفتين، وعلى هذا فهما من حيث القوة للخصم أقوى وأكثر توكيدا للفريق الآخر، خاصة أنهما يمثلان أرضية مشتركة ترتضيها الطائفتان، فضلا عن أن الشيخين كليهما لغويان.

وعلى الرغم الرغم من ذلك، فإن بعض الباحثين يرون أن هذا الاستدلال واه وضعيف، وليس مقصد العلماء احتجاجهم بلغة القوم أولئك وعدم احتجاجهم بلغة هؤلاء إلا سلامة اللغة ونقاوتها واحتفاظها بأصالتها وعدم اختلاطها بغيرها من اللغات وتأثرها بها، لا كما ظن ابن فارس من أن السبب هو توقيف تلك و انقطاع ذلك التوقيف عندهم2. و أنا بدوري لا أبين ضعف هذا الاستدلال أو ذاك، إلا بقدر ما يجلي حقيقة. خاصة أن هذه الاستدلالات خاصة بمسألة موغلة في القدم. ولولا هذا الضعف فيها ما تعددت هذه الاستدلالات.

وفي سبيل ذلك، استعمل استدلالا تفسيريا آخر، حين قال: ولعل ظانا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف، إنما جاءت جملة واحدة، في زمان واحد، وليس الأمر كذلك، بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء الله أن يعلمه إياه، مما احتاج إلى علمه في زمانه، و انتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علم بعد آدم من الأنبياء ...3. وهذا استدلال نقلي لغوي مفسر:
للاستدلال بلغة القوم؛ أي الاستدلال اللغوي السابق.

1 السيوطي: المزهر1 / 9.

2 د. محمد حسين آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص 10.

3 السيوطي: المزهر1 / 9.

يرتبط بالاستدلال النقلي التفسيري السابق، خاصة أن ابن عباس قال: علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض، وسهل وجبل ... 1. وبناء عليه، فإنه يتعارض شكليا مع الاستدلال التفسيري السابق.

ثم توجه ابن فارس إلى استدلال علمي، وفي هذا ابتعاد عن الحجج النقلية وتدرج في الحجج المنطقية والعقلية التي يرتضيها الطرفان، وبناء عليه، كانت الحجج والاستدلالات النقلية التي جاءت في المقدمة له، غير أنها ليست كافية لإقناع الطرف الآخر، على الرغم من أن الاستدلالات اللغوية والعلمية التي تأتي في مرحلة تالية عنده أكثر إقناعا من الطائفة الاستدلالية النقلية الأولى. وهذا يعكس فكرا مذهبيا، وإن كان ضمنيا، سوى أن اللغة لم تستطع أن تخفي ذلك.

أعود للحجة العلمية المفسرة للاستدلال المفسر السابق؛ حيث ذكر ابن فارس في نهاية استدلاله السابق: فلا نعلم لغة من بعد حدثت. فإن تعمَّل اليوم متعمل، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده2. وهو ليس استدلالا مستقلا، بل يرتبط بالاستدلال اللغوي السابق وتذييلا وتفسيرا له.

وعلى هذا يمكننا القول إن الاستدلال اللغوي السابق أخذ شكلا ينماز من الاستدلال السابق، كما يلي: الاستدلال اللغوي: إجماع العلماء الاحتجاج بلغة القوم، تفرع إلى ما يلي:

. استدلال تفسيري له: تفسير التفسير.

. استدلال تفسيري: رؤية العلماء: نقاد العلم.

وبناء عليه، فلا وجه لما ذهب إليه د. محمد حسين: أنها حجة ضعيفة لا تثبت شيئا مما يريد ولا تبطل ما لا يريد3، فضلا عن أنها تذييل للاستدلال الفرعي المفسر للاستدلال المفسر للاستدلال الرئيس، على ما استظهرته أعلاه، ولهذا فلا داعي لكل هذا خاصة إذا وضعناه في موضعه الصحيح من الاستدلالات التي استشهد بها ابن فارس. كما أن الباحث الكريم أدخل هذا الاستدلال في استدلال لغوي آخر فقال: يضاف إلى ضعفها ما يمكن أن نلمسه من ثغرات أخرى في قوله: ولقد بلغنا عن أبي الأسود أن امرءا كلمه ببعض ما أنكره ...4. وهو هنا لم يدمج الاستدلال السابق في الاستدلال التالي، على الرغم من أنهما استدلالان لغويان وفرعيان ومفسران للاستدلال الأول، وإلا فما جدوى الاستدلال بها؟

ثم جاء الاستدلال اللغوي حول رؤية أبي الأسود: ولقد بلغنا عن أبي الأسود أن امرءا كلمه ببعض ما أنكره أبو الأسود، فسأله أبو الأسود عنه، فقال: هذه لغة لم تبلغك، فقال له: يا بن أخي، إنه لا خير لك فيما لم يبلغني. فعرفه بلطف أن الذي تكلم فيه مختلق5.

والذي قوَّى عندي أن هذا استدلال فرعي مفسر، مرتبط بالأول عن طريق الاتصال التتابعي، لكنه ليس هو، هو مكمل له ومتمم ومفسر، لكنه لم يكن أبدا هو، غير أن د. محمد حسين لحظ

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 9..

2 السابق 1 / 10.

3 د. محمد حسين آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص 11.

4 السابق: الموضع ذاته.

5 السيوطي: المزهر 1 / 10.

ملحظا على هذا الاستدلال، فقد توقف مع لفظ (مختلق)، وقال: هذا دليل عليه لا له؛ إذ إن الاختلاق الذي يقصده هنا هو استعمال جديد، لم يسبق به أبو الأسود، مما يدل على وجود وضع لغوي تدعو إليه الحاجة1.

ثم ينتقل إلى استدلال لغوي مفسر: إنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يقارب زماننا، أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل هل اصطلاح كان قبلهم2. وكلامه صحيح في مجمله، غير أن من يمعن النظر يجده يحتاج إلى إعادة نظر؛ لأنه لا يمكن أن يكون هذا إلى ما لا نهاية، صحيح أن العرب لم تنقل عن زمان ابن فارس ولم يستشهدوا بلغتهم، لأنهم وضعوا لذلك قواعد صارمة، ينقلون عن البادية حتى القرن الرابع الهجري وعن الحضر حتى نهاية القرن الثاني الهجري؛ لنقاء اللغة، كما ذكرنا ذلك منذ قليل، وليس لأنهم أقل، كما أنهم سنوا قواعد، أما الألفاظ فقد جمعوها من البادية من أفواه الأعراب الخلص.

كما أن هذا الاستدلال يتداخل مع الاستدلال السابق؛ إجماع العلماء في الاحتجاج بلغة القوم. ثم يؤكد استدلاله باستدلال تفسيري تذييلي للسابق، ولا أدل على ذلك أنه عطفه عليه، فقال: وقد كان الصحابة رضي الله عنهم .وهم البلغاء والفصحاء .من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة، أو إحداث لفظة لم تتقدمهم ...3.

وعلى هذا فإن كل ما أورده ابن فارس من استدلالات، لم تكن أبدا على درجة واحدة من الأهمية، فالاستدلال اللغوي استدلال أساسي هنا، وفي الوقت ذاته مفسر للاستدلال الأول النقلي (القرآني)، والاستدلالات التفسيرية النقلية كذلك، وجاء الاستدلال اللغوي في استدلال تفسير التفسير، وهو استدلال من بنية الواقع، ينتمي إلى وجوه الاتصال التتابعي: الوصل السببي، وهو الحجاج الذي يرمي إلى استخلاص ما حدث أو أدى إليه.

وبناء عليه، فإن الاستدلال المفسر، للمفسر المفسر، استدعى استدلالا تفسيريا آخر، مفسر للمفسر السابق، وهي رؤية نقاد العلم، وهنا أختلف مع ما ذهب إليه أحد الباحثين أن هذا استدلال أو حجة قائمة بذاتها4. صحيح هي استدلال، لكنها استدلال لتفسير المفسر، ولا أدل على ذلك أنها غير منفصلة عن الاستدلال السابق، كما أنه ذيل بها استدلاله، حيث لم تستغرق سطرا تقريبا، وهو لا يقارن بما استغرق فقرة كاملة. لكن ما يمكن قوله إنه استدلال شارح أو مفسر.

ومن هنا فالاستدلال اللغوي اتخذ شكلين كما يلي:

- استدلال رئيسي: تفرع عنه استدلال فرعي مفسر له.
- تفرع عن الاستدلال الفرعي المفسر للاستدلال الرئيسي استدلال فرعي أقل، شارح للذي قبله ومفسر له كذلك.

1 د. محمد حسين آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص 11.

2 السيوطي: المزهر 1 / 10.

3 السابق: الموضع ذاته.

4 السابق 1 / 10، 11.

وكل من الاستدلال الرئيس السابق والفرعي الذي تفرع عنه، والاستدلال المذيل الشارح جميعها توضيح وتفسير للاستدلال الرئيسي النقلي (القرآن) بالدرجة الأولى، وللاستدلالات النقلية المفسرة في مرتبة ثانية. وهما جميعا استدلالات لتقوية رؤية الوحي والإلهام.

وعلى هذا، يمكننا وضع التصورات الاستدلالية لدى ابن فارس من خلال منطلقين، كما تبدى:

- المنطلق المذهبي: باعتباره أشعريا.
- المنطلق اللغوي: باعتباره لغويا.

وتبدى ذلك بوضوح فيما استدل به، فقد بدأ المنطلق الأول في الاستدلال النقلي القرآني، والتفسيري، والتفسيري كذلك أخذ مراتب، وليس على مرتبة واحدة. وهذه النوعية من الاستدلالات النصية لا تقبل عند الأشاعرة إعمال العقل، خاصة في ظل وجود نص، ولهذا رأيناه، على الرغم مما على مما استدل به على رؤيته، إلا أنها أصابها ما أصابها، خاصة أنه يتعامل مع قضية موغلة في القدم. لكنه لم يحاول إعمال عقله، على الرغم من أن ما توصلنا إليه هنا، لم يكن بعيدا عن تفكير ابن فارس.

أما الاستدلال النقلي الآخر الرئيس، فهو الاستدلال اللغوي في معناه العام، على ما أوردت، وهو بدوره انقسم عنده إلى استدلالين:

- استدلال نحوي.
- استدلال لغوي.

ولما كان ابن فارس لغويا، فقد جاء الاستدلال اللغوي مسيطرا على هذا النوع من الاستدلال اللغوي العام؛ إذ جاء الاستدلال النحوي في صيغته التي عرض لها، بينما تنوعت الاستدلالات اللغوية الأخرى، وأعني بها الاستشهاد بأقوال ورؤية اللغويين العرب، وجاءت عند ابن فارس كما يلي:

- الاستدلال النحوي، تفرع عنه:
- استدلال فرعي مفسر.
- الاستدلال اللغوي، تفرع إلى ما يلي:
- استدلال فرعي: مفسر.
- استدلال فرعي: مفسر:

.استدلال فرعي مفسر.

.استدلال فرعي مفسر.

وهذا التقسيم يظهر أن ابن فارس ارتكز في استدلالاته على ركيزتين أساسيتين:

- المنطلق العقدي: الفكر الأشعري.
- الفكر اللغوي: بمعناه الواسع، الذي دل على ذلك هو تنوع استدلالته اللغوية مقارنة باستدلالته النحوية، كما بدا أعلاه.

فإذا كان الاستدلال القرآني والتفسيري، يمثلان أساسا في دعم رؤية التوقيف عنده، فإن الاستدلال اللغوي وتنوعه وتفرعه، على ما رأينا، لا يقل أهمية عن النوع الأول من الاستدلال. وكلاهما يفسران ويخدمان مذهبه في التوقيف، التي هي خدمة لفكره العقدي. وعلى هذا فإن ابن فارس لكي يدعم رأيه في التوقيف، ارتكز على عنصرين:

- المنطلق الأشعري: لايقبل الجدال والحواروالنقاش في إعمال العقل في ظل وجود نص.
- المنطلق اللغوي: وفيه ما فيه من إعمال العقل، كما أن فيه قدرا مشتركا كبيرا بين الطائفتين، وهذا كما قلت: فيه إقناع أكبر، على الرغم أن ترتيبه ليس الأول عند الأشاعرة.

كما يلاحظ أن النوعين من الاستدلالات نقلية، مع التباين فيما بينها، على ما أوردنا، كما أن فيه قدرا مشتركا بين الطائفتين، خاصة أن ابن فارس و ابن جني لغويان. وهذا ادعى في التوكيد وتقوية للحجة والاستدلال.

كما يلاحظ أن الاستدلال الديني (الأشعري) عنده لا يتسم بالترابط إلا فيما يتعلق بموقفه حول نشأة اللغة؛ بمعنى أن الجامع الذي يجمع بين الاستدلالات النصية (القرآني، التفسيري) أنها تؤكد رؤية ابن فارس فقط؛ بمعنى آخر: إذا أسقطنا الاستدلال التفسيري لابن عباس أو للتابعين ما اختل المعنى، غير أنها تعكس فكرا عقديا عنده، خلافا للاستدلال اللغوي الذي قسمته إلى استدلالين، النحو واللغوي، وفي الاستدلال النحوي الذي اشتمل على عناصر، لا يمكن فصل جانب منها عن الآخر؛ بمعنى أن الاستدلال وعناصره الحوارية وحدة واحدة، وإن كانت هذه السمة تخف حدتها كثيرا مع الاستدلالات اللغوية، التي يأتي كل منها توكيدا للسابق الفرعي، وكلها تؤكد الاستدلال الرئيس اللغوي، وجميعها يؤكد القضية الأساسية (فكرة التوقيف)، والجامع لكل هذه الاستدلالات الفرعية المدعمة والموضحة أنها تقع ضمن الاستدلالات اللغوية بمعناها الضيق.

وهنا نلاحظ تدرجا في الحجج شبه المنطقية، على ما كان عليه في الاستدلال السابق، غير أنه استخدم القياس من حجة التعدية، كما استعمل التتابع والاتصال، وإن لم تكن سببا للاستدلال السابق، سوى أنه تفسير وتوكيد له. قلت التتابع في هذا الاستدلال؛ لأنه توضيح للاستدلال السابق، غير أن الاستدلال السابق تفسير للاستدلال الأول (النقلي)، ولهذا قلت حينئذ: إنه تفصيل وتفسير للأول، أما الاستدلال هنا، فهو تفسير التفسير (الاستدلال الثاني السابق) تفسير للثاني، والثاني تفسير للأول، ألا يعكس هذا الترتيب أهمية ترتيب هذه الاستدلالات عند الشيخ؟

غير أن ملاحظ تطل برأسها؛ إذا كان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها ... ومن ثم علمه أسماء الإنسان والحيوان؛ معنى هذا أن آدم كان يعرف ما نتعارف عليه اليوم وزيادة، وهذا واضح من كلام ابن عباس، إلا أن هنالك من قال: وهذا لا حجة فيه من جهة القطع؛ فإنه عموم، والعموم ظاهر في الاستغراق وليس بنص[1]. وبناء عليه، فالاستدلال النقلي الأول (القرآن) الذي اعتمد عليه ابن فارس يحتاج إلى إعادة نظر؛ صحيح هو من صحابي في قيمة وقامة ابن عباس، بيد أن كلامه يمكن أن يفسر على العموم. ويؤكد هذا الرؤية استعمال (كلها) في الآية التي ترجح دلالة العموم، مما ينتقص من استدلال ابن فارس.

ويبدو أن ابن فارس كان مدركا لهذا، خاصة أن الطائفة التي تبنت رؤية الاصطلاح لها وجاهتها، إذ لا بد أن تكون هنالك لغة تتفاهم من خلالها تلك الجماعة التي تتواطئ على الاصطلاح، وعلى هذا

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 21.

عاد ابن فارس تارة أخرى ليوضح ما جاء عاما من كلام ابن عباس، فقال: ولعل ظانا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف، إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد؛ وليس الأمر كذلك بل وقف الله عزوجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه، مما احتاج إلى علمه في زمانه، و انتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علم بعد آدم من الأنبياء ... أن يعلمهم، حتى انتهى الأمر إلى نبينا ... فلا نعلم لغة من بعده حدثت1. وهذا الرؤية تنقض نص ابن فارس السابق. خاصة أنها ترجح رؤية أهل النظر، وهنا يبدو أن تفسير الاستدلالين السابقين موضع نظر من قبل المعتزلة.

غير أنه في الوقت ذاته توضيح لما جاء مجملا لنص ابن عباس، أو تفسير التفسير من بنية الو اقع، وينتمي، كما في الاستدلال الثاني والثالث، إلى وجوه الاتصال التتابعي، على الرغم من أنه ليس متعلقا به بشكل مباشر، إلا أنه يتصل به من حيث التفسير والتوضيح. وبناء عليه فإن هذا الاستدلال يرمي إلى التخلص مما قد يلحق بالاستدلال الثاني (رأي ابن عباس)، والعلاقة بينهما علاقة الإجمال هنالك بعلاقة بالتفصيل هنا.

ومن جهة أخرى يفهم من النص السابق، أن النبي (ص) كان يحدث أو يبتكر ألفاظا، وهذا لم يقل به أحد، لكن كل ما يقال إنه كان يكلم القبائل بلغاتها، مع أنه لم يبرح مكة. ويبدو أن هذا الرأي كان يحتاج إلى تفصيل، أما إذا كان القصد الاصطلاح على معان جديدة، فهذا حادث في كل اللغات منذ القدم، ولهذا ساق حوارا بين أبي الأسود الدؤلي وبين غلام، أي بين جيلين مختلفين، وكان أبو الأسود لغويا، فتكلم الغلام ببعض ما أنكره أبو الأسود، فسأله أبو الأسود عنه، فقال: هذه لغة لم تبلغك، فقال له يا ابن أخي؛ إنه لا خير لك فيما لم يبلغني، فعرفه بلطف أن الذي تكلم به مختلق2. على أية حال، هذه قضية أخرى. لكنها تؤكد رؤية ابن جني (الاصطلاح).

وفي هذا تفصيل وتوكيد للاستدلال السابق، الذي سميته تفسير التفسير (بنية الو اقع)، وهذا الاستدلال يرتبط ارتباطا تتابعيا، وهو ما يمكن تسميته (حجة التبذير) وهي التي لا تعتمد على السبب المباشر، ويعد عمدة في استدلالات ابن فارس؛ فإذا كان الاستدلال الأول يعتمد على النص النقلي (القرآن الكريم)، فإن الاستدلالات الأخرى أعادها ابن فارس في صور شتى، كما يلاحظ أيضا أنها تكررت في شكلها العام، إلا أنها في حقيقتها تعطي صورا مختلفة؛ أي إنه وإن تكررت الاستدلالات المفسرة والموضحة لما قبلها، إلا أن كل استدلال لا يمثل الذي قبله من حيث الاستعمال والأهمية والترتيب.

3 / 1 / 3 : قواعد الأبنية الحجاجية للاستدلال عند ابن فارس:

بناء على ما سبق، يمكن تحديد أبنية الاستدلال التي اعتمدها ابن فارس، كما يلي:

استدلالات ابن فارس كلها نقلية، وتتفرع إلى ما يلي:

1. الاستدلال النقلي الديني (الأشعري) ويتفرع إلى ما يلي
   - أ. النص القر آني: الأساس؛ عام، ولهذا احتاج إلى استدلال آخر.
   - ب. التفسير، وهو مرتب عنده كما يلي:

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 9.

2 السابق 1 / 10.

.تفسير الصحابة: ابن عباس: تبقى مجرد تفسير.

.تفسير التابعين وتابعي التابعين: مجاهد، خصيف: تبقى مجرد تفسير.

.تفسيرات أخرى: قال غيرهما، قال آخرون: تبقى مجرد تفسير.

ويلاحظ كذلك أن هذا الاستدلالات التفسيرية تفسيرية للاستدلال النقلي الأول (الآية القرآنية)، خاصة أن ابن عباس والتابعين وتابعي التابعين من المفسرين.

وهذان الاستدلالان نقليان على الرغم من التفاوت فيما بينهما في الأهمية، فقد جاء الاستدلال الأول (الآية الكريمة) عمدة، دارت حوله الاستدلالات الأخرى على تنوعها، ولهذا جاء تفسير ابن عباس والتابعين مفسرا للأول وتاليا له في الترتيب والأهمية. ويبدو أنه لحظ أن أهل العقل لا يقبلون به، فاستدعاه إلى النوع الآخر من الاستدلال.

2. الاستدلال النقلي اللغوي:

ويتفرع إلى استدلالين: نحوي، ولغوي؛ أما النحوي فقد جاء مرة واحدة، اشتمل فيها على الحوار والجدال والحجاج، فيما كان عند النحويين. وأما الحجاج اللغوي، فقد اشتمل على أكبر أنواع الاستدلالات، على ما أوردت، وربما كان بحكم طبيعة عمل ابن فارس، فقد ركز على الاستدلالات اللغوية بشكل لافت للنظر، ولهذا قلت إن عمل ابن فارس في الاستدلال لمذهب التوقيف انطلق من منطلقين، ديني (عقدي) ولغوي بحكم طبيعة عمله.

الاستدلال الثالث: استدلال لغوي عقلي، يمكن أن نسميه بمنطقية اللغة، التي حاول فيها ابن فارس إقناع الخصم بما يذهب إليه للنزول على رأيه، وهو كما قلت، استعمل آليات متنوعة بداخله؛ وهو استدلال يقترب كثيرا من فكر أهل النظر، وعلى هذا تحول إلى الدليل الأكثر إقناعا لهم لا له؛ لأن الاستدلال الأول لا تقترب منه الاستدلالات الأخرى، بالعكس جاءت لتدور حوله، وتقدم له التفسير والتوضيح.

غير أن ابن فارس على قناعة من البداية، أن الاستدلال الأول لا يروق لأولئك، وهو عنده الدليل الأول، وإن احتاج مذكرات تفسيرية، وعلى الرغم من علمه بأنه لن يروق للخصم، إلا أنه جعله الأول اتساقا مع فكره الأشعري الذي يغلب النص على العقل، ولهذا فترتيب الاستدلالات هنا يتسق مع مذهب أهل النقل. ومن هنا يمكن القول إن ترتيب الاستدلال عنده، استجابة لقناعته بمذهبه.

أعود لأرى الاستدلال اللغوي العقلي، على ما قلت، الذي أورده، على أساس أن أهل النظر لا يرتضون به استدلالا آخر بديلا للأول والثاني، أو بتعبير آخر يؤولون الرأيين، خاصة أن النص القرآني في هذه المسألة عام، وأن ابن عباس على الرغم من تفسيره، إلا أنه بقي في إطار التفسير الذي لا يلزمهم باتباعه. ويبدو أن كل هذا كان حاضرا في ذهنه. ولهذا جاء بهذا الاستدلال ليكون أكثر إقناعا خاصة أنه من أهم المبادئ في أدبياتهم. وقد استدعاه هذا إلى الحجاج النحوي، إلى استعمال المنطق الذي يمثل مبدأ اساسيا في عقيدة المعتزلة، ولا أريد أن أزيد على ما جاء في موضعه أعلاه، تجبنا للتكرار. ثم استدعى استدلالا فرعيا توضيحا له، وكل من الاستدلال الرئيس والفرعي توضيح لمضمون الاستدلال الأول.

الاستدلال الرابع: وهو استدلال لغوي شبه منطقي، وإن كان لا يقارن بالاستدلال السابق من حيث استعمال المنطق النحوي. واعتمد كما في الاستدلالات السابقة على التفصيل الذي يؤكد أنه جاء

توضيحا وتفسيرا للاستدلال الأول أو لتأكيد فكره الذي يتفق مع مذهبه، على ما أبنت. ولتأكيد ذلك استشهد باستدلال آخر، توضيحا للاستدلال الرئيس وكلاهما يوضحان الاستدلال الأول.

وختم كذلك باستدلال و اقعي نقلي تاريخي، قال: وكان الصحابة .وهم البلغاء والفصحاء . من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء فيه؛ وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم ...1. وهو استدلال مردود عليه، بما أورده السيوطي نقلا عن أبي الأسود في ذات الصفحة أعلاه من حواره مع الغلام.

وهذا استدلال نقلي فيه نظر، كما أن الاستدلال الأول (النص القرآني) فيه نظر أيضا؛ لأنه عام، وكذا تفسير ابن عباس والتابعين فيه نظر. إلا أنه يلاحظ أن ابن فارس بدأ باستدلال نصي (الآية القرآنية) وختم باستدلال نصي كذلك (رؤية الصحابة).

وكأنه يضع النصوص النقلية في المقام الأول: وهي تشمل: القرآن الكريم، السنة المطهرة، أقوال التابعين، أما القياس فهو القياس اللغوي الذي تجلى بصورة واضحة في توجيه (عرضهم) في الآية الكريمة.

وعلى هذا يمكن صياغة الأبنية الاستدلالية عند أهل النقل (ابن فارس) كما يلي:

<u>1 / 0 : الاستدلال النقلي: النصوص النقلية، جاءت كما يلي:</u>

1 / 1 : الاستدلال الأساسي: النص القرآني: المرتبة الأولى.

1 / 2 : الاستدلال الفرعي: رؤية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين: شارحة وموضحة للاستدلال الأول: المرتبة الثانية.

1/ 3 : الاستدلال النقلي يؤخذ بظاهر النص فيه. وإن كان يمكن تأويله. كما رأينا في الآية.

<u>2 / 0 : الاستدلال اللغوي المنطقي، في المرتبة الثالثة، ورد فيما يلي:</u>

2 / 1 : الاستدلال اللغوي المنطقي: يأتي استدلال لغوي آخر فرعي مفسر وموضح له، وهما معا موضحان للاستدلال الأول (النقلي).

2 / 2 : الاستدلال العقلي، يتبعه باستدلال آخر فرعي موضح ومفسر له، وكلاهما موضحان وخادمان للاستدلال الأول.

2 / 3 : الاستدلال العقلي عند ابن فارس يدور حول النصوص ولا يتخطاها إلى التأويل كما يفعل المعتزلة، وإن كانت تحتمل تفسيرات أخرى.

وعلى هذا تنوعت استدلالات ابن فارس ما بين الاستدلالات النقلية (القرآن وآراء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين) وبين الاستدلال اللغوي والمنطقي، ويبدو تأثر النحو بالمنطق اليوناني، والحجج العقلية، وقد دعته بعض الاستدلالات إلى الذهاب إلى استدلالات فرعية، كما حدث مع الاستدلال اللغوي المنطقي، ومع الاستدلال العقلي، ويتفرع الاستدلالان الفرعيان (في الاستدلال الثالث والرابع) إلى أنهما استدلالان لغويان.

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 10.

وتبقى كلمة أخيرة، على الرغم من تنوع الحجج الاستدلالية لدى ابن فارس، إلا أنه لم يستطع أن ينسلخ أو يتنكر لمذهبه ولا أدل على ذلك مما يأتي:

- جعل الاستدلال الأول (النقل) أصلا.
- جعل كل الاستدلالات موضحة للأول ضمنا .

هذه الاستدلالات تبلورت كما يلي:

أولا: الاستدلال الأول والثاني: استدلالان نقليان، يعتمد فيهما على بنية الو اقع، أو على النصوص النقلية التي تتفق مع مذهبه.

ثانيا: الاستدلال الثالث والر ابع: استدلالان عقليان متنوعان، على ما بينت، وقد استدعاه هذا إلى استعمال استدلالات أخرى فرعية، وهي استدلالات عقلية أيضا، على ما بينت. وعلى هذا تتسق الرؤية التي ذهب إليها، إذ جعل استدلالين نقليين، وآخرين عقليين، ويؤكد أن هذا الاستنتاج صحيح، أنه في الاستدلالين العقليين جعل من كل واحد استدلالا فرعيا؛ لأنهما عقليان. وهنا يتفق مع ابن جني كما سنرى عنده.

وبناء على هذ،ا فإن ابن فارس كان أمينا مع نفسه ومذهبه من خلال ترتيب أبنية الاستدلالات، وأن الاستدلالات الأخرى موضحة للاستدلال الأول. ولهذا قلت: إنه كان مخلصا لفكره ومذهبه.

وكلمة أخيرة: إن الشيخ أورد استدلالات متنوعة، لكن تبقى جميعها محل نظر،خلافا للاستدلال اللغوي، صحيح اعتمد على نصوص موثوق بها، غير أن تفسيرها بقى محل نظر بين المفسرين، خاصة المعتزلة منهم، وهذا موضع الضعف في الاستدلال، كما أن رؤية الصحابة والتابعين، ليست قولا فصلا في المسألة، وقبل هذا وذاك المسألة موغلة في القدم، كانت هذه الملاحظات وغيرها مدخلا لاستدلالات ابن جني التي نتوقف عندها في المطلب القادم.

****

3 / 2 : الأبنية الحجاجية للاستدلال عند أهل العقل●:

3 / 2 / 1 : قراءة أولية في الأبنية الحجاجية للاستدلال:

لم يبدأ ابن جني في أصل نشأة اللغات بداية محددة وواضحة كابن فارس؛ فقد كان مترددا، كما كان مترددا في كل الاستدلالات التي استدل بها، ولا أدل على ذلك أنه:

- قال: هذا موضع محوج إلى فضل تأمل.
- قال إن أكثر أهل النظر على أنه تواضع واصطلاح1.

● سأشير إلى مبادئ الاعتزال في استدلالات ابن جني على سنة الاختصار، كلما كان ذلك مفيدا.

1 ذكر رشيد الضعيف أن ابن جني في قوله: غير أن أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف. ففي هذا التعبير يوهم ولا يقنع، فالقول إن أكثر أهل النظر على ... ليس حجة منطقية، بل محاولة إيهام للقارئ. وهذا يشبه في أيامنا ما نراه يتردد دائما في الكتابات: يقول بعض العلماء، قال فلان ... إلخ. والمرجو منه إيهام القارئ بصحة ما سيقوله المؤلف. وهذا الإيهام يعتمد على التظلل بالسلطات العلمية أو بالمراجع العلمية لإضعاف قدرة القارئ على تقليب الرأي قبل الأخذ به. في أصل اللغة عند ابن جني وفي أثر موقفه،ص 97. =

- ذكر رأيين لشيخه أبي علي الفارسي.

ولم أستطع أن أحدد رأيه في البداية، وقد وجدت المحدثين من الباحثين من يرون أن ابن جني قال بداية بالتوقيف، وليس في كلامه ما يدل على أنه يذهب هذا المذهب، غير أن الذي دل على ذلك استدلالان:

- الأول: الاستدلال النقلي (الآثار المنقولة).
- الآخر: الاستدلال النقلي (اللغوي).

على ما بينهما من فروق نسظهرها في موضعها من هذا المطلب. كان هذا موجزا يحتاج إلى تفصيل نستظهره فيما يستقبل من حديث.

يبدو من كلام ابن جني هنا تبنيه رأي أغلب المعتزلة؛ أن اللغة تواضع واصطلاح1 ضمنا. وسيلاحظ من خلال استدلالاته أنه لم يكن يركن إليه إلا قليلا، ولهذا تعددت استدلالاته، إذ كان ينتقل من استدلال لآخر، كما بدا فيها التكلف والتعسف في التأويل، وهذا يشير إلى أمرين:

الأول: لم يكن يستند فيه إلى ركن شديد.

الآخر: ذهب هذا الرأي تعصبا لمذهبه الاعتزالي.

ويتضح ذلك من خلال الكثرة الكاثرة والتكلف في التأويل والتنوع، كما كان يفرع الاستدلال إلى رئيس وفرعي في بعضها، فضلا عن أنه فعل ما يلي:

الأول: أنه كان مترددا حين عالج أصل اللغة، فلم يكن يركن إلى رأي بعينه؛ ويتضح ذلك أكثر، أن استدلالالته لم تكن ناصعة، فلم يستطع أن يقنع القارئ، ولم يقنعني شخصيا، ولهذا قلت: إنه فعل ذلك تعصبا لمذهبه.

الثاني: حين انتهى من استدلالته التي ترى أن اللغة تواضع واصطلاح، عرض لمذهب ثالث: إن أصل اللغات من الأصوات المسموعات2. ثم عاد إلى الرأي الأول (الوحي والتوقيف)1، وهذا يدل على عدم الوثوق بالرأي الثاني (التواضع والاصطلاح).

= ولم يقل أحد بأن هذا استدلال، بل مدخل أولي، وضع فيه تصورا عاما؛ لرأي الأغلبية ورأي القلة، على ما أوردت في المتن. ثم أن رأي المعتزلة ليس فرضا في المسألة، ولو كان هذا صحيحا لفعله ابن فارس. هنالك تفاصيل كثيرة فيها خلاف مع المؤلف، لا داعي لها هنا. السابق: الموضع ذاته.

ولا أدل على ذلك أن ابن جني جعل كلامه مدخلا وليس استدلالا كما ذهب الباحث، أنه عقب ذلك أخذ يرد رؤية شيخه؛ لأن بعض الباحثين استنتج أن ابن جني كان يتبنى مذهب التوقيف في البداية، وهذا ليس صحيحا، وكان اعتمادهم على ما أورده عن شيخه.

1 ينظر: السيوطي: المزهر 1 / 10.

2 السابق 1 / 14، 15. أوردت في موضع سابق (ينظر: 1 / 3 من البحث) أن السيوطي عرض لثلاثة آراء حول أصل اللغة: التوقيف والاصطلاح والوقف. الاقتراح،ص 25، 26، ولم يعرض أن أصل اللغات من الأصوات المسموعات، وأدرجها ضمن نظرية الاصطلاح،السابق،ص25، في حين يرى بعض الباحثين أنها ثلاثة، قال: لماذا يتردد ابن جني بين فرضيتين، مع أنه تكلم عنى ثالثة (الإلهام والاصطلاح والمحاكاة)؟ لماذا لم يحتج صراحة للمحاكاة أو عليها؟ لماذا اختصر كلامه بالأسطر القليلة؟ رشيد الضعيف: في أصل اللغة عند ابن جني وفي أثر موقفه،ص 97. =

الثالث: وهو ما يؤكد الملحظين السابقين أنه: ذكر أنه دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغول ...2.

عاد فقال بضد الرأي السابق (الوحي والتوقيف)، كما وقع لأصحابنا ولنا وتنبهوا وتنبهنا ... كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا، وإن بعد مداه عنا، من كان ألطف منا ذهنا، وأسرع خواطر، وأجرأ جنانا3. أنهى المعالجة بقوله: فأقف بين تين الخلتين حسيرا، وأكاثرهما فأنكفئ مكثورا، وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها4.

لم يبدأ ابن جني رأيه بكلام واضح حول المسألة، بل طرح كلاما يحتمل أكثر من تفسير5.

فهل بعد هذا أستطيع أن أضع النتيجة؛ أن ابن جني لم يصل إلى رأي محدد في أصل اللغات؟ والسؤال: لماذا فعل ابن جني هذا؟ ولماذا اشتهر عنه بأنه يتبنى مذهب التواضع والاصطلاح؟ يبدو أن أثر الاعتزال واضح. فقد كان متعصبا له، حتى وصل إلى النتيجة التي ذكرتها في النهاية؛ أنه أجهد نفسه وتكلف في كثير من الاستدلالات تعصبا لمذهبه الاعتزالي.

كما نلاحظ أن بداية ابن جني في عرض المسألة فيها تعصب لمذهبه ضمنا، على الرغم من تردده، كان هذا واضحا منذ البداية، حين ذكر أن رؤية الاصطلاح رؤية أغلب أهل النظر، وعلى هذا عرض لرؤية شيخه أبي علي الفارسي، وفي عرضه يستنتج ما يلي:

أولا: أن المعتزلة، في المسألة، فريقان، كما يلي:

- فريق أهل الاصطلاح: الأغلب.
- فريق أهل التوقيف: الأقل.

= كما أشير إلى تردد ابن جني أوحي إلى أنه لم يصل إلى رأي بعينه في هذه المسألة، بدليل ما أوردته في المتن من نصوصه، ويبدو أن الأستاذ محمد علي النجار محقق الخصائص، قد لحظ هذا الملحظ، فقال: يبدو من هذا أن مذهب ابن جني في هذا المبحث الوقف، فتراه لا يجزم بأحد الرأيين: الاصطلاح والتوقيف. وقد صرح بهذا ابن الطيب في شرح الاقتراح. السيوطي: المزهر 1 / 48.

1 السابق 1 / 15.

2 السابق: الموضع ذاته.

3 السابق 1 / 15، 16.

4 السابق 1 / 16.

5 ذهب رشيد الضعيف إلى أنه قال بالفرضية الأولى: في أصل اللغة عند ابن جني وفي أثر موقفه، ص 96.

عاد الباحث وذكر كلاما مغايرا: لذلك يحق لنا أن نلاحظ أنه لم يتوسع في شرح هذه الفرضية. لم يفصلها. لم يعط برهانا واحدا للدفاع عنها. زد على ذلك أنه بدأ الكلام عليها بعبارة لا نرى لها وظيفة سوى تحضير القارئ لرفضها. السابق، ص 97. والسؤال: لماذا ذكر كلاما وعكسه قبل نهاية الصفحة مباشرة؟ غير أنه عاد وقال: إن ابن جني تردد بين فرضيتين. ويورد أسباب ذلك. السابق، ص 99.

والغريب أن أحد الباحثين وهو بصدد الحديث عن الحقيقة والمجاز. عنده . توصل إلى أنه يقر بالوضع قبل الاستعمال جريا على مذهبه في الاعتزال. ولذلك فالاستعمال الحقيقي . عنده . أصل سابق على الاستعمال المجازي. والمجاز متفرع عن الحقيقة. عبد القادر بقشي: قضية المجاز وأبعادها البلاغية والكلامية، ص 170. وهي رؤية تحتاج إلى إعادة نظر، ولا داعي لمناقشتها، فما يرد في هذا المطلب يكفيني مؤونة تتبع الباحث في هذا الموضع.

ابن جني ذهب إلى رأي الفريق الأول والآخر، ثم تردد بينهما في النهاية. هذا ما بدا واضحا بداية، وهذا يوضح أن تعصبه المذهبي كان واضحا منذ البداية، على ما قلت، خاصة أنه لم يفعل أمرين:

- رجع وتردد في رأيه.
- لم يرتب أفكاره، وكان بإمكانه فعل ذلك، لكنه لم يفعل تعصبا لفكره الاعتزالي.

هذا ما يوحي به كلامه بداية، إلا أن هذا لم يكن حقيقيا منه، إذ تردد في النهاية ولم ينته إلى رؤية محددة من الطرحين، بل ذهب مذهبا ثالثا1، كما سنرى. وعلى هذا يمكن القول إن هذه البداية فيها تعصب لمذهبه الاعتزالي، كما أن فيها نوعا من التسرع، خاصة أنه عاد وذكر كلاما مغايرا، على ما هو وارد أعلاه، وبناء عليه، بداية ابن جني خلاف ما انتهى إليه، وهذا يتناقض مع الحجاج الكتابي الذي أشرت إليه في مطلب سابق، خاصة أن الكتابة خلافا للكلام، إذ تتيح لصاحبها التجويد والتحسين فيما كتب، وهذا لا ينطبق على رؤية ابن جني؛ بمعنى أنه كان قادرا على صياغة أفكاره صياغة أخرى، تعكس ترتيبا ونهجا مختلفا عما عرضه.

هل ابن جني المعتزلي لم يكن مدركا لهذا؟ يبدو أن تأثير الفكر الاعتزالي عنده بلغ حد التعصب، خاصة أنه كان قادرا على صياغة أخرى تباين هذه الصياغة في عرض الأفكار، التي توحي بما هو آت:

- أنه كان متعصبا لمذهبه الاعتزالي، وهذا صحيح.
- أن رأيه النهائي والأخير هذا، ليس صحيحا.
- التباين بين المقدمات والنتائج، يناقض الفكر الاعتزالي.
- التناقض بين المقدمات والنتائج أدى به إلى التكلف والتعسف في التأويل،على ما سنرى.

هذه النتائج الأولية التي أضعها في المقدمة، وستتضح جوانبها في المعالجة بعد قليل، تتفق في الإجمال مع التباين في التفاصيل، مع ما ورد عند ابن فارس، وهكذا نصل إلى نتيجة حاسمة في هذه القضية إجمالا؛ أن المسألة موغلة في القدم؛ معنى هذا أن الاستدلالات لدى الطائفتين لن تكون حاسمة وقاطعة، وهذا ما جعل اللغويين يعزفون بعد الشيخين عن التعرض لها، على ما أوردته.

<u>3 / 2 / 2 : الأبنية الحجاجية للاستدلال عند ابن جني:</u>

بدأ ابن جني مناقشة أصل اللغات بقوله: هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي ولا توقيف، إلا أن أبا علي الفارسي رحمه الله، قال لي يوما: هي من عند الله، واحتج بقوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)2. ونستخلص من النص ما يلي:

<u>أولا</u>: أن المسألة عقلية، نبتت في بيئة المتكلمين أولا.

<u>ثانيا</u>: أنه ليس مقتنعا برؤية أصحاب النقل (الوحي والإلهام) شكلا.

<u>ثالثا</u>: أن أغلب المعتزلة على أنها تواضع واصطلاح لا وحي وإلهام. وهذا كلام فيه نظر.

<u>رابعا</u>: أن رؤية شيخه تخالف رؤية أغلب المعتزلة.

---

1 ينظر: السيوطي: المزهر 1 / 14، 15.

2 السابق 1 / 10.

<u>خامسا</u>: بناء على عدم اقتناعه، النقطة الثانية، سيتوجه تلقاء إثبات التواضع والاصطلاح من خلال أبنية استدلالية عقلية ومنطقية ولغوية ونقلية، ويتبين ذلك من خلال عنصرين:

العقل من مبادئ الفكر الاعتزالي، ولهذا سماهم ابن جني في النص أعلاه بأهل النظر.

التأويل من مبادئ الاعتزال.

وإذا كانت رؤية أستاذه لم ترق له، فقد حاول أن يؤولها فقال: يجوز أن يكون تأويله؛ أقدر آدم على أن واضع عليها. وهذا المعنى من عند الله سبحانه وتعالى لا محالة؛ فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به1؛ معنى هذا أن آدم اصطلح على ألفاظ ومع من؟ مع أولاده؟ وهل كان في حاجة إلى وضع ألفاظ جديدة؟ وهل حياته البدائية تسمح بهذا؟ أسئلة مطروحة، بيد أنه عاد وقال إذا كان ذلك محتملا، إذ لم يقطع برأي في المسألة.

فحاول أن يرد رؤية شيخه، على الرغم من أنه عرض لها، قال: هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، وأن أكثر أهل النظر على أن اللغة تواضع واصطلاح لا وحي وإلهام. ويبدو كذلك تشدد ابن جني أكثر من شيخه أبي علي الفارسي. حين حاول:

- **رد رؤية الشيخ.**
- **أوَّلَ نص الشيخ، حين تعارض مع مذهبه الاعتزالي.**
- **ذِكْره رؤية الفارسي و أبي الحسن•، على أنها وحي وإلهام، لم يقنعه فقال: على أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منه2.**
- **الرؤية الاعتزالية واردة ضمنا في سياق مناقشته، وقد حاول أن يكون ملتزما بها في جل مناقشاته.**

إذا كنت قد قلت إن ابن جني يرى أن هذا الموضع محوج إلى فضل تأمل، فإن هذا يتسق مع رؤيته التي ذهب إليها لاحقا؛ أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما تواضع واصطلاح، لا وحي ولا توقيف3. غير أنه ينبغي ألا يغيب عن بالنا أنه لم يطبق أهل النظر على هذا الأمر، بل ذكر (أكثر)، ويتسق كلامه مع جانبين:

<u>الأول</u>: ليس كل أهل النظر على هذا الرأي.

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 11.

• أشار الباحثون إلى أن أبا الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة 215 هـ صاحب معاني القرآن. وكان معتزليا، غير أن د. يحيي محمود علي الجندي، أورد توضيحا لأبي الحسن في الحاشية (7) فقال: يعني أستاذه (الأخفش) الذي تعلم النحو على يديه، رؤية جديدة في نشأة اللغة،ص 185، إلا أن ابن جني توفي 393 هـ، وبينهما فارق زمني يناهز القرنين، فكيف تعلم النحو على يديه؟! رب قائل يقول: نهج نهجه في النحو وفي الفكر الاعتزالي، أو يقصد أخفش آخر، ومبلغ علمي ليس في التراث العربي إلا أخفشان، الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد وشهرته الأخفش الأكبر، توفي 177 هـ. وهذا سابق للأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة)، وعلى هذا يحتاج رأيه إلى إعادة نظر.

2 السابق: الموضع ذاته.

3 السيوطي: المزهر 1 / 10.

الآخر: أن شيخه أبا علي – على الرغم من اعتزاله – ذهب مذهب أهل النقل، خاصة أنه عاد ليؤول مذهب الشيخ. على الرغم من اعتر افه الصريح، قال: إلا أنا أبا علي رحمه الله قال لي يوما: هي من عند الله؛ واحتج بقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) البقرة / 31. غير أن الأصوليين يرون أن الاستشهاد بهذه الآية محتمل وليس بقطعي؛ لأن فيها عموما، والعموم لا يستدل به، وإن لم يكن مستنكرا. على ما أوردناه في الاستدلال عند أهل النقل في لالمطلب السابق.

ثم قال: وهذا لا يتناول موضع الخلاف1؛ أي أن رأي أستاذه لا يرجح رؤية التوقيف؛ لأنه يحتمل التأويل أي من آدم، وما يؤول مستنكر في الاستدلال، ومن هذا نستنتج أن المعتزلة لم يكونوا على قلب رجل واحد في القضايا الفكرية. فحين خالفه أستاذه وجد ضالته في التأويل. وفي سبيل ذلك سلك مسلكين:

- الأول: عام: حين رفض ر أيه؛ بأنه لا يتناول موضع الخلاف.
- الآخر: وإذا كان الرأي الأول عاما، فإنه احتاج إلى تفصيل وتفسير.

قال ابن جني بأنه يجوز تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة؛ فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به2. ويلاحظ أنه عرض رؤية أبي علي الفارسي في قوله بالتوقيف، ثم علق فقال: وهذا لا يتناول موضع الخلاف3. وهذا الرأي يشير إلى ملحظين:

. الأول: أنه يؤكد رؤيته السابقة، بأن كثيرا من أهل النظر يتبنون رؤية الاصطلاح، وإذا كان كثيرا، فهنالك فريق آخر، وهم القلة، بناء على الاستنتاج السابق، ومنهم شيخه. غير أن تبني شيخه لهذا الرأي ليس دليلا على صو ابه.

.الآخر: يشير كلام ابن جني إلى أنه ليس مقتنعا برأي شيخه، و أنه يأتي مع القلة من أهل النظر.

وترتب على ذلك وغيره، أن ابن جني أَوَّلَ كلام أستاذه: أن الله أقدر آدم على أن واضع عليها. وأَوَّلَ النصوص التي تتعارض مع فكره الاعتزالي. وهنا ينطلق من رؤية منطقية كذلك لنفي رؤية الشيخ، فإذا كان أبو علي ذهب إلى رؤية التوقيف، فإنه لم ير هذه الرأي؛ لأن الله يمكن أن يكون قد واضع آدم عليها؛ بمعنى أن الله سبحانه علم آدم المواضعة، وهذا لن يكون إلا مع أبنائه، معنى هذا أن الله علم آدم ما يتكلم به ويتفاهم مع أبنائه، وهذا مقبول، ثم تواضع آدم مع أبنائه على ما استجد لهم من كلمات طارئة، كما هي الحال اليوم. غير أن الأمر الآن أكثر تنظيما من ذي قبل.

ولهذا قال ابن جني: إن الله أقدر آدم على التواضع عليها، والأكيد مع أبنائه وأحفاده من بعده، وإلا مع من يتواضع؟ وهذا الرأي في ظني يحمل الر أيين، الأول: رؤية التوقيف التي قال بها أبو علي، والثاني: التواضع الذي ذهب إليه، ولما كانت هذه رؤيته مبدئيا؛ معنى هذا أن كلام أستاذه محتمل وليس قطعيا، ولهذا قال: إن المحتمل غير مستنكر، والمحتمل يسقط الاستدلال به؛ لأنه ليس قطعيا.

1 السيوطي: المزهر 1 / 10.

2 السابق 1 / 11.

3 السابق 1 / 10.

وهذا كان مدخل ابن جني لرد رؤية الفارسي، حين أوَّلَها. إذا كان الله تعالى أقدر آدم على أن واضع عليها، فهذا كلام محتمل غير مستنكر؛ كيف؟ لأنه يحتمل: أن الله هو الذي علم آدم، سوى أن هذا ينتفي إذا كانت المواضعة مباشرة؛ أن الله ألهم آدم بالتواضع على ما يحتاج إليه؛ وهذا الأقرب عندي.

وبناء عليه، فإن كلام ابن جني يطرح رؤيتين محتملتين، وإذا كان قد نفد إلى اقتراح شيخه، وضعفه؛ لأنه محتمل وإن كان غير مستنكر، سقط الاستدلال به. وبناء عليه، فالاستدلال الذي اعتمد عليه ابن جني كذلك محتمل، ومن ثم نتوصل إلى ما توصل إليه مع شيخه: بأن رأيه محتمل والمحتمل يسقط الاستدلال به. وهكذا نلاحظ أنه حين حاول أن يضعف رؤية شيخه استعمل استدلالا من الحجة ذاتها التي خرق بها استدلال شيخه وضعفه. ويبدو أن ابن جني قد لحظ هذا الملحظ فحاول أن يدعم رأيه بر أيين آخرين:

- أن أبا علي قال به في بعض كلامه.
- هذا رأي أبي الحسن1.

وهذان استدلالان نقليان اعتمد عليهما ابن جني لتأكيد ما يذهب إليه. ويلاحظ على ما سبق ما يلي:

.الأول: قدم الاستدلال العقلي، وأوَّلَ الاستدلال النقلي: كلام الشيخ.

.الآخر: أخَّر الاستدلال النقلي: كلام السابقين، ويلاحظ أن الاستدلالين مختلفان؛ من حيث قوته، ومن حيث ترتيبه، فمن حيث قوته، لا يمكن أن يستوي الدليل الأول الذي شغل مساحة ونقاشا ليصل إلى رأيه، وأما من حيث ترتيبه فقد جاء في المستوى الثاني، فضلا عن أنه جاء مختصرا وعلى استحياء، بيد أن هذا يمكن أن يفسر تفسيرا آخر؛ أن ابن جني باعتباره معتزليا لا يميل إلى الاستدلال النقلي، غير أنه لجأ إليه حين ضاق ذرعا، وأن الخصم لم يعد مقتنعا بما قدم من استدلالات عقلية غير مقنعة ويغلب عليها التصنع والإلتواء، كما أن خصمه من أولئك الذين يغلبون النص على العقل، وهذا هو السر الذي جعله يأتي بهذين الاستدلالين. يبدو أنه أحس بأن ما يريد أن يصل إليه جعله يضل السبيل. وعلى هذا نلاحظ تتابعا في الاستدلالات شبه المنطقية، وهي حجج مبنية على بنية الو اقع. ويتمثل التتابع فيما يلي:

- عرض رؤية المعتزلة مجملة.
- عرض رؤية أبي علي.
- الاعتراض على رؤية أبي علي.
- الاستدلال العقلي والمنطقي.
- تأكيد الاستدلال العقلي باستدلال نقلي.
- التفسيرالذي يفسر ما ذهب إليه، وفي هذا توضيح لمضمون الاستدلال السابق وتوكيده.

وهنا تتمحور رؤية أساسية تتفرع عنها استدلالاته الأخرى؛ ويتمركز الاستدلال الأساسي في رؤية أغلب المعتزلة، الذي هو رأيه مبدئيا. وجعل منه مدخلا في التعصب لمذهبه والانتصار له . وحول هذا تفرعت الأبنية الاستدلالية الأخرى التي تعد خادمة لما رآه وذهب إليه.

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 11.

فهل يمكننا – بناء على هذا – أن نعد رؤية أبي علي التي طرحها ابن جني ليتجاوزها بالاستدلال العقلي، فإذّا كانت رؤيته حول طرح رؤية المعتزلة في هذه المسألة منطلقا، فإن رؤية شيخه أساسا فعليا لبداية الاستدلال الكلامي عند ابن جني، وعلى هذا تتحقق لدينا قاعدتان:

- الأولى: قاعدة المنطلق العقلي.
- الأخرى: قاعدة المنطلق الاستدلالي، وهو يتوزع إلى فروع على ما أورده ابن جني.

بنى ابن جني استدلالته على قاعدة ثابتة لدى أهل العقل، وتفرع منها لدى شيخه، وعلى الرغم من مخالفة شيخه، إلا أن هذا التباين في الرأي كان مدخلا فعليا لبيان الاستدلال، فإذا كانت الرؤية الأولى تمثل قاعدة لهذه المسألة، فإن رؤية أبي علي كانت البداية الفعلية لبيان الاستدلال لديه. وما جاء تاليا يمثل تفريعا عن القاعدة الثانية وبناء عليها. يمكننا استنتاج قواعد الاستدلال عند أهل العقل فيما يستقبل من تحليل أدناه؛ فإذا كانت رؤية ابن جني في عرض رؤية شيخه، جاءت لا لأنه يرتضيها، بل لينطلق منها ويبني عليها. وتتفق رؤية أبي علي الفارسي مع رؤية أصحاب النقل، وكذلك نستطيع القول، بناء على عرض ابن جني، إن أبا علي الفارسي له رؤيتان:

- الأولى: رؤية أصحاب النقل: الوحي والإلهام.
- الأخرى: رؤية أصحاب العقل: التواطؤ والاصطلاح.

وبناء على هذا، فالرأيان ليسا على درجة واحدة من الأهمية لأبي علي؛ فإذا كان رؤيته الأولى أساسية، فإن رؤيته الثانية فرعية، خاصة أنه قال: وقد كان أبو علي، رحمه الله، قال به في بعض كلامه[1]؛ معنى هذا أن رؤيته الثانية ليست كالأولى، وإن قال بها. ومن ثم، حاول أن يتخذها منطلقا لاستدلاله؛ وهو الاعتراض عليها مستعملا التأويل الذي هو من أهم مبادئ فكر المعتزلة، بأن الله أقدر آدم بأن واضع عليها ... واستنتج بأنها محتملة والاحتمال، وإن كان غير مستنكر يسقط الاستدلال به.

وبناء عليه، فإن ابن جني استعمل استدلالات منطقية وحججا شبه منطقية، كما ارتكن إلى حجج و اقعية، وهو في كل ذلك استعمل الاتصال التتابعي؛ بحيث تؤدي كل بنية استدلالية إلى التي تليها، بحيث تكوّن في مجموعها العام الأبنية الاستدلالية عند أهل العقل. و يلاحظ أن الاستدلالات المنطقية والعقلية أساسية (التأويل: تأويل رؤية أستاذه، والقديم سبحانه)، كما أنه، كما قلت، لاحظ أن هذه الاستدلالات العقلية ليست كافية في إقناع الخصم، ومن هنا، يحتاج إلى مزيد من الاستدلالات، وقد كان واعيا أنه يعرض لحجج عقلية، وهذا ما قاده إلى الاستدلالات النقلية، التي تمثلت في عرض رؤية أبي علي ورؤية أبي الحسن. ولمزيد من الاستدلالات و إقناع الخصم عمد إلى استدلالات تنماز من الاستدلالات السابقة، حين عمد إلى أنه قد فسر بأن قيل: بأنه تعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات[2]. وهو استدلال تفسير وتوكيد لما سبق.

ثم يعمد إلى استدلال لغوي وهو بطبيعته منطقي كذلك؛ حين رأى أن القرآن استعمل الأسماء: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) فقال: وهذا لا يجوز مع ما ليس بأسماء، فكيف خص الأسماء

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 11.

2 السابق: الموضع ذاته.

وحدها؟ قال: إذا كانت اللغة تتكون من الأسماء والأفعال والحروف فلماذا خص الأسماء؟ قيل: لأن الأسماء أقوى القبل الثلاث، ثم يستطرد فيقول: ولا بد لكل كلام مفيد (منفرد) من الاسم، وقد تستغنى الجملة المستقلة عن كل واحد من الفعل والحرف، فلما كانت الأسماء من القوة الأولية في النفس والرتبة، على ما لا خفاء به، جاز أن يكتفى بها عما هو تال لها ومحمول في الحاجة إليه عليها1.

لكن يبدو سؤال منطقي هنا حول طبيعة الاستدلال الحجاجي بوجه عام والحجاج المذهبي بوجه خاص؛ إذ يعتمد الاستدلال الحجاجي على أنواع مختلفة منه، ولكن ينبغي أن نشير كذلك إلى أن طبيعة الحجاج هي التي تؤدي دورا حول استخدام عدد من الاستدلالات المتنوعة والمتكاملة في آن واحد، بيد أن طبيعة الحجاج تحتم غالبا التفصيل على ذلك النحو الموجود هنا.

وفي محاولته توكيد رأيه حول الرأي القائل بأن اللغة مواضعة، يقول: وذلك أن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا، إذا ذكر عرف به ما مسماه؛ ليمتاز عن غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله، بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد ...2.

ويلاحظ أن هذا الاستدلال كسابقه توكيد للاستدلال السابق؛ أي هو تفصيل وتبيين للمواضعة، ويستدل على رؤيته حول المواضعة للاختصار والتمايز وأخف وأسهل وإحضار ما لا يمكن إحضاره، وهذا استدلال عقلي على رؤية المواضعة.

غير أنه عاد وفرع من الاستدلال التوكيدي السالف الذكر استدلالا فرعيا آخر، وبناء عليه فرع المفرع، وهي هنا تفرع اللغات التي تأتي في مرحلة لاحقة3. غير أن هذا الرأي يتعارض مع ما ذهب إليه من استدلال سابق، بأن الله علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات4. ثم يعيد الاستدلال بطريقة أخرى، بمعنى قد تكون لغة أخرى أو غيرها، فوقعت منها لغات أخرى كثيرة من الرومية والزنجية وغيرها5. وهذا استدلال تفصيلي / تفسيري للاستدلال التفصيلي السابق وهكذا.

ويلاحظ حول استدلاله بتفرع اللغات، قال ابن جني: وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراع الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء والنجار والصائغ والحائك والبناء وكذلك الملاح، قالوا ولا بد لأولها من أن يكون متواضعا عليه بالمشاهدة والإيماء6. غير أن تباينا حاصلا بين تولد اللغة إلى لغات وتولد اشتقاق الألفاظ من اللغة الواحدة؛ لأنه في البداية قال: لجاز أن تنقل ويولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرهما7، ثم ذكر النص السابق، وكلاهما لا يقيم الدليل لأنهما غير متسقين، فالأول

1 السيوطي: المزهر 1 /11. يتفق هذا الاستدلال مع ما ذهب إليه ابن فارس.

2 ينظر تفصيلا موسعا حول نص ابن جني: السابق 1 / 12.

3 ينظر السابق: الموضع ذاته.

4 ينظر السابق 1 / 11.

5 السابق 1 / 13.

6 السابق: الموضع ذاته.

7 السابق: الموضع ذاته.

في توليد اللغات من لغة واحدة، والاستدلال الثاني يفترض أنه لتقوية الأول، غير أنه لم يأت في محله؛ إذ جاء للتواضع من اللغات وشتان ما بين الحالتين؛ حالة تولد اللغات من بعضها، وحالة تولد المفردات على ذات المنوال من اللغة. وعلى هذا فالقياس خاطئ، وإذا كان هذا محتملا سقط الاستدلال به، حسب تعبيره. بيد أنه لم ينتبه إلى ما أشرت إليه أعلاه، ويبدو أنه كان مشغولا بما في ذهن الخصم، وهو ما تنبه إليه بأن قال: والقديم سبحانه لا جارحة له، فيصح الإيماء والإشارة منه بها، فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه تقدست أسماؤه[1].

ولنا حول ملاحظ على النص كما يلي، الأول: أنه أدرك أن هنالك معترضا يمكن أن يعترض، وعلى هذا كان ابن جني مدركا أنه يعالج فكرا حجاجيا تنبني عليها أبنية استدلالية عدة. والثاني: أن التأويل يطل برأسه تارة أخرى، حين تأول أن الله لا جارحة له، وهو مذهب المعتزلة في نفي الصفات[2]، وهي المرة الثانية التي يستعمل فيها التأويل، وكانت الأولى حين أَوَّلَ كلام شيخه أبي علي في أن اللغة توقيف من الله تعالى. والثالث: وهو أن الله قديم ولا يصح أن يكون له جارحة، ومن ثم فلم يبق من المواضعة إلا بين آدم و أبنائه، على ما أوردته في سياق سابق من هذا المطلب.

ويبدو أن الاستدلال عند ابن جني الوارد أعلاه، ينطبق عليها ما ينطبق على ما أورده ابن جني عن رؤية شيخه أبي علي؛ بمعنى أنه جعلها منطلقا للرد عليها، خاصة أنه فيما تلا ذلك مباشرة رد الرؤية السابقة، فإذا كان ابن جني نفى أن يكون لله جارحة، وفي هذا يتسق مع مذهبه الاعتزالي، بيد أنه عاد وأوجد مخرجا على طريقة المعتزلة الحجاجية وهو استدلال عقلي آخر، يفسر رؤيته ولا يردها، وكذلك يجد لها مخرجا. فقد أورد أنه يجوز أن ينقل الله تعالى اللغة التي قد وقع التواضع بين عباده عليها؛ بأن يقول: الذي كنتم تعبِّرون عنه بكذا عبروا عنه بكذا، والذي كنتم تسمونه كذا ينبغي أن تسموه كذا، وجواز هذا منه سبحانه كجوازه من عباده[3]. ولنا ملاحظ حول ضعف استدلال ابن اجني كما يلي:

<u>أولا</u>: بدأ استدلاله بـ (يجوز)، وعندي أنها توازي (يحتمل)، ولما كان المصطلحان بمعنى واحد، فإن استدلاله، وإن لم يكن مستنكرا يسقط الاستدلال به.

<u>ثانيا</u>: استدلاله بأن يقول الذي كنتم تعبرون عنه بكذا عبروا عنه بكذا، وهذا كلام عام، يحتاج إلى إبانة، كيف يورد الله النقل؟ وعلى هذا أصاب استدلاله عوار ظاهر.

<u>ثالثا</u>: يلاحظ التكلف في الاستدلال والتعسف في التأويل.

يبدو أنه كان مستشعرا ما أوردته أعلاه، فجاء باستدلال تفسيري آخر للاستدلال السابق، فقال توضيحا لرؤيته حول المواضعة،: إلا أنني سألت يوما بعض أهله فقلت: ما تنكر أن تصح المواضعة من الله سبحانه؟ وإن لم يكن ذا جارحة؛ بأن يحدث في جسم من الأجسام . خشبة أو غيرها . إقبالا على شخص من الأشخاص، وتحريكا لها نحوه ويسمع في حال تحرك الخشبة نحو ذلك الشخص .

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 13.

2 أورد أحمد أمين تفاصيل حول خلق القرآن ورؤية المعتزلة فيه. ضحى الإسلام 3 / 713 وما بعدها.

3 السيوطي: المزهر 1 / 13.

صوتا يضعه اسما له، ويعيد حركة تلك الخشبة ... وهذه الإشارة مقام جارحة ابن آدم في الإشارة بها في المواضعة1.

هل يمكننا بعد كل هذا أن ابن جني قدم عددا من الاستدلالات العقلية على ما ذهب إليه، والرابط الذي يربطها عقليا ومنطقيا، غير أنه اعتمد استدلالا لغويا آخر، يتفق مع ما عند أهل النقل، على ما أوردناه في موضعه.

وبناء عليه، يمكن القول: إن ابن جني استعمل أبنية استدلالية عدة، غالبيتها تبقى في إطار الاستدلالات العقلية والمنطقية. باستثناء استدلاليين أحدهم لغوي وآخر نقلي. بيد أن الاستدلال اللغوي جاء أساسيا بينما جاء الاستدل النقلي فرعيا (مفسرا وموضحا). ويبدو أن هذا له علاقة بفكر ابن جني الاعتزالي؛ لأنه لا يقر النصوص النقلية إن تعارضت مع فكره الاعتزالي، على نحو ما فعل مع نص شيخه أبي علي الفارسي وغيره مما هو وارد أعلاه. وعلى هذا تنوعت أشكال الاستدلالات العقلية والمنطقية، سوى أنه يلاحظ عليها ما يلي:

- غلبت عليه الاستدلالات العقلية والمنطقية.
- اتسمت بالتكلف والتعسف.
- جانبه في كثير منها الصواب، ويبدو أنه لاحظ ذلك، فجاء بالاستدلال تلو الآخر، وهو ما سميته بالاستدلالات المفسرة والموضحة.

استدلالات ابن جني تعد كلها تفسيرية (توضيحية)، خلافا لاستدلالات أهل النقل المتنوعة، خاصة أن ابن جني لم ينوع كما فعل ابن فارس، ولهذا جاء بالاستدلال العقلي والمنطقي تلو الاستدلال توضيحا للفكرة وتثبيتا لها، ولهذا يمكن القول إن الاستدلالات عند ابن جني أخذت الأشكال الآتية:

- أولا: مفسرة وموضحة، وهي الغالبة.
- ثانيا: تفسير للاستدلال الأول الذي سبقه؛ أي أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بما قبله، وهذا الربط أنه تفصيل وما قبله إجمال أو توضيح من جهة أخرى.
- ثالثا: تفسير وتفصيل للمسألة الأساسية، وهو الغالب.

وجدير بالذكر أن الفرق بين النقطة ثانيا والنقطة ثالثا أعلاه؛ أنه جاء باستدلالات تفسيرا وتوكيدا للفكرة الأساسية، ويفرع عن هذا الاستدلال استدلال آخر فرعي مفسرا لهذا الاستدلال الفرعي، وليس مفسرا للفكرة الأساسية. وعلى هذا يمكننا إذا كان هذا صحيحا، أن تكون الاستدلالات لدى المعتزلة استدلالات عقلية، وهي الغالبة، وتتفرع عنها أحيانا استدلالات فرعية، لكنها ليست في كل الحالات. لذا لزم التنوية؛ خشية اللبس. وهي لا تتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين: فهو حين يحتج لواحدة من هذه الفرضيات يقنعك بصوابها، ثم حين يقول في ضدها، يقنعك به ويبعدك عنها. فقدرته على الاحتجاج للشيء والاحتجاج عليه لا يقارع2.

---

1 السيوطي: المزهر 1 / 14.

2 رشيد الضعيف: في أصل اللغة عند ابن جني وفي أثر موقفه،ص 96.

صدق الباحث في أن قدرته على الاحتجاج لا تقارع، نتيجة تأثير الفكر الاعتزالي، لكنه لم يكن مصيبا في كل الاستدلالات المنطقية والعقلية التي توصل إليها، ولو كان يعلم علم اليقين أن استدلاله أخير، ما حاول أن يقدم استدلالا آخر، ولهذا قلت: إن هذا أدى به إلى المماحكات اللفظية.

غير أن انحصار ابن جني في الاستدلالات العقلية جره إلى التصنع والتكلف، وهذا ما جعله يلحظ أن ما قدمه من استدلالات ليس مقنعا للخصم، ولهذا عمد إلى استدلالات عقلية كثيرة، وعلى هذا تعددت عنده، نتيجة للتكلف، وكذلك حين حصر نفسه في الاستدلالات العقلية، حصر نفسه في مكان ضيق، خلافا لما قام به أهل النقل.

وإذا كان ابن جني قصر استدلالته على العقلية منها غالبا، فإن هذا أوقعه فيما وقع فيه، كما أنه أجهد نفسه في التكلف في الاستنتاجات، وعلى الرغم من ذلك فعل ما فعل؛ وفاء لمذهبه الذي جعله يخالف شيخه أبا علي. كما أنه في هذه المناظرة المذهبية ظهر فيها الفكر الاعتزالي من خلال ما يلي:

- أولا: استعمل التأويل في أكثر من موضع، كما أشرنا.
- ثانيا: استعمل الأدلة العقلية كثيرا، وتكاد تكون كلها أدلة عقلية باستثناء موضعين.
- ثالثا: حين تعارض النص مع العقل، أَوَّلَ النص، وتمثل هذه سمة جوهرية لديه.

لم تكن هذه المؤاخذات عليه؛ لأنه يجهلها، بل انتصارا لمذهبه، فأجهد نفسه، كما أجهد القارئ، إلا أن الملاحظ أنه أخلص لمذهبه الاعتزالي لحد التعصب.

وجدير بالذكر أن هذه المناظرة بين الشيخين، لم تكن مناظرة بمعناها المباشر، كما لم تكن كلاما، بل كتابة، وقد ترتب على ما ذلك ما يلي:

- اكتسبت أهميتها لأنها مكتوبة، وقد ضمنت لها الكتابة البقاء حتى يوم الناس هذا، خلافا لو كانت منطوقة، ربما ضاعت كما ضاعت مناظرات كلامية كثيرة، ولم يبق منها شيء.
- لما كانت هذه المناظرة مكتوبة، فقد ترتب على ذلك أن جمهورها عريض وممتد قرونا طويلة، فقد حاول كل منهما أن يجعل الفريق الآخر يذهب مذهبه ويرى رأيه.
- لم يكن الشيخان يعبران في هذه المناظرة عن آرائهما الشخصية، بقدر ما كان كل منهما مخلصا لمعتقده ومذهبه.
- أن الشيخين يعلمان علم اليقين أنهما في حالة مناظرة في مسألة موغلة في القدم، وأن ما يقدمانه من استدلالات ليست إلا فروضا متنوعة، لكنهما مقتنعون أن الوصول إلى استدلالات يقينية صعبة المنال، وإلا لماذا قدم ابن جني الاستدلال تلو الآخر؟ أو لماذا قدم استدلالاته أساسا؟ إذ لم يقدما استدلالات قطعية الدلالة.
- عالج الأصوليون المسألة، على الرغم مما أوردت، إلا أنهم لم يسلكوا مسلك الشيخين؛ لأن المعالجة عندهم ليست أساسية، كما أن الهدف مختلف، مما جعل المعالجة عندهم مختصرة، وأخذوا بالرأيين، وأنها ليست من اختصاصهم، على ما أوردنا.
- اكتسبت معالجة الشيخين الطابع المذهبي، لما أولياه من رعاية، أظهر بشكل ضمني خلافا مذهبيا بين بين مذهبين إسلاميين، وإن غلف بطابع لغوي.

وعلى هذا، ننتهي من حيث بدأنا إلى أن هذه المعالجة، لا تركز على المعالجة اللغوية الخالصة، كما في مصنفات فقه اللغة، بل على عناصر الاستدلال لدى الطائفتين اللذين يمثلانهما الرجلان، وهذا يعكس الخلاف المذهبي الكامن خلف المناظرة. التي أرجو أن تكون قد اتضحت جوانب الاستدلال.

3 / 2 / 3 : قواعد الأبنية الحجاجية للاستدلال عند ابن جني:

- الاستدلال العقلي أساسيا.
- الاستدلالات العقلية لم تكن خادمة للاستدلال الأول، كما هي عند أهل النقل. إذ كان كل استدلال منفصلا عن الأول، لكنه في الوقت ذاته مرتبط به من حيث التفسير والتوضيح.
- الاستدلالات عند الشيخ، كانت تسير على النحو الآتي:
- الاستدلال يليه استدلال آخر مفسر له، وهو ما قلت: إنه استدلال فرعي مفسر للأول، ثم يتفرع إلى استدلال فرعي ثالث مفسر للأول، وهنا ينماز من استدلالات أهل العقل، التي جاءت فيها الاستدلالات خادمة للاستدلال الأول.
- نلاحظ التتابع المنطقي في الاستدلالات، على الرغم من اختلافها وتنوعها في الوقت ذاته، إلا أنها متكاملة. الاستدلالات عند الشيخ كلها خادمة ليس للاستدلال الأول، كما عند أهل النقل، بقدر ما كانت خادمة للفكر المذهبي عنده، وهو العقل.
- إذا كان الاستدلال الأول عند أهل النقل أساسيا، فإن هذا ليس موجودا عند أهل العقل، خاصة أن أغلبها استدلالات عقلية، وعليه لا يمكن أن نقدم أحدها ونجعله أساسيا، كما فعلنا مع أهل النقل، ومن هنا، تكون استدلالات ابن جني لا تخدم استدلالا بعينه، مما أورده، بقدر ما كانت تخدم فكرا مذهبيا.
- الاحتجاج عند ابن جني قائم على الاعتماد على النصوص، والاستنتاجات تقوم أيضا على النصوص دون إعمال الفكر في الموضوع الأساسي[1]. وجدير بالذكر أني أوردت أن مدرسة أهل النقل لا تعمل العقل في وجود نص، وليس كما تفضل الباحث الكريم.
- اعتمد الشيخ استدلالين آخرين، أحدهما نقلي والآخر لغوي، لكنهما لم يكونا على درجة الأهمية التي عليها الاستدلالات العقلية عند الشيخ. وإذا كان يمكننا ترتيبهما بناء على رؤية الشيخ، تكون كما يلي:

.أولا: الاستدلال اللغوي: يأتي أولا، وبناء عليه، يكون في المرتبة الثانية تاليا بذلك الاستدلال العقلي.

.وثانيا: الاستدلال النقلي: يأتي في المرتبة الثالثة، عقب النوعين السابقين من الاستدلالات التي اعتمد عليها ابن جني.

وعلى هذا، إذا أردنا ترتيب أبنية الاستدلال عند الشيخ، نستظهرها فيما يلي:

. الاستددلات العقلية: وتمثل هذ السمة الغالبة، مما جعل التكلف في التأويل والتعسف في التفسير، يبدو واضحا في تقديم رؤيته. وهذا النوع متنوع ومتباين، لكنها كلها تخدم ليس استدلالا محددا، بقدر ما تخدم فكره المذهبي، خلافا لما عند أهل النقل.

---

1 ينظر: د. محمد حسين آل ياسين: نظريات نشأة اللغة عند العرب،ص 10.

. الاستدلال اللغوي: يأتي في المرتبة الثانية، على ما بينه وبين الاستدلال الأول من بون شاسع في المرتبة.
. الاستدلالات النقلية، التي لا تعد شيئا مذكورا، يبدو أنه اعتمدها مراعاة لأهل النقل، كما فعل مع الاستدلال الثاني، وهما الاستدلالان المشتركان بين الطائفتين، ويمثلان أرضية مشتركة. وعلى هذا فهنالك اتفاق وتمايز في الاستدلالات بين الطائفتين، نعرض لهما في المطلب القادم.

4 / 0 : خلاصة الكلام فيما اتفق واختلف فيه الشيخان من أبنية الحجاج للاستدلال:

يمثل الحجاج تيارين متباينين أو شخصين مختلفين فكريا، مرده اختلاف رؤية النظر إلى المسألة. وعلى الرغم من التباين الفكري، إلا أن هنالك أرضية مشتركة بين الطائفتين. وبناء على هذا تتكون لدينا رؤيتان من خلال مدونة الدراسة؛ الاتفاق والانمياز، ونوجزهما فيما يلي:

4 / 1 : الأبنية الحجاجية للاستدلال المتفق عليها:

أولا: آليات الاعتماد على الاستدلال اللغوي يتطابق فيها الشيخان. كما أنهما لغويان.

ثانيا: الاستدلال النقلي، على الرغم من التفاوت في درجة الأهمية لديهما.

ثالثا: استعمال الصيغ التي تدل على الحجاج الضمني كما في الاستدلال اللغوي عند ابن فارس[1]. وعند ابن جني كان الأمر أكثر وضوحا، ومن هنا سأركز على العناصر التي تمثل سمة جوهرية عنده فيما يلي:

_ الاستدلال اللغوي، كما هو عند ابن فارس.
_ استعمال صيغ حجاجية مثل:

فإن قيل، قالوا، ولكن يجوز، أقول في ضد هذا، واعلم، فلم يجب عن هذا بأكثر من الاعتراف بوجوبه، ولم يخرج من جهته، إلا أنني سألت يوما بعض أهله، فقلت: ما تنكر أن تصح المواضعة من الله سبحانه؟[2].

وتبدو هذه سمة أساسية في الكتابات التي تحمل طابعا حجاجيا، خاصة أن الكاتب يمثل عنصرين، الأول: وجهة نظره، والثاني: متناظر افتراضي. وعلى هذا رأينا هذه التعبيرات التي تمثل ملمحا مهما في طبيعة الكتابات المذهبية بشكل لافت للنظر، خاصة أنها مكتوبة، خلافا لطبيعة النصوص الروائية المكتوبة التي تعتمد على الحوار أساسا؛ كالرواية والمسرح. لكن في مثل هذه النصوص التراثية التي تتعلق بعلماء الكلام وكذلك بعلماء الأصول الذين تأثروا بعلماء الكلام، على ما أوردنا، وتمثل هذه سمة جوهرية في هذه المؤلفات بوجه خاص، على ما نسميه بالمناظرات المذهبية.

غير أن هذه السمة ليست مقتصرة على ما أوردت، خاصة أن متابعة نصوص النحو والبلاغة، تظهر من دون جهد، أن نصوص البلاغة والنحو... تحتاج إلى تتبعها في المؤلفات التراثية؛ لأنها تعكس:
. أولا: حرية الحوار تبنى عليها حرية الفكر.

---

1 ينظر: السيوطي: المزهر 1 / 8، 9 لتأكيد هذه الفكرة.
2 ينظر: السابق: الموضع ذاته. 1 / 10 : 15، وهي الصفحات التي حاولت جاهدا استخلاص استدلالات ابن جني العقلية منها.

.ثانيا: الخلاف بين الطوائف الإسلامية مرجعه إلى الإسلام الذي أفسح المجال للخلاف البناء، مما أتاح نموا حضاريا بلغته الدول الإسلامية خلال قرنين من الزمان.

-ثالثا: كل من الشيخين راعى الطائفة الأخرى، ويتبين ذلك من خلال الاستدلالات، وعلى الرغم منذ لك، بدا واضحا من خلال اللغة الفكر المذهبي لديهما.

-رابعا: المسألة محل النقاش واحدة لدى الطائفتين.

-خامسا: الآية القرآنية واحدة، غير أن النظر مختلف.

-سادسا: الاستدلال اللغوي واحد. ويظهر فيه ما يلي:

- إعمال العقل.
- الحجاج النحوي ظاهر.
- آليات الحجاج لدى الشيخين واحدة.

-سابعا: آليات الاستدلالات المنطقية والعقلية لدى الشيخين واحدة، على الرغم من التفاوت في نوعيتها.

-ثامنا: أبنية الاستدلال النقلي والعقلي واللغوي، وآليات الإقناع فيما يتعلق بالاستدلال اللغوي والاستدلال العقلي المنطقي واحد لديهما، على على الرغم من التفاوت بينهما، على ما أوردته بينهما.

-تاسعا: يتفق الشيخان حول رؤية التوقيف، و آية ذلك التطابق في الاستدلال اللغوي لهما.

-عاشرا: القرآن الكريم.

4 / 2 : الأبنية الحجاجية للاستدلال المختلف عليها:

أولا: قدم أهل النقل النص على العقل، خلافا لأهل العقل الذين غلبوا العقل، وإن تعارض مع النص أولوا النص، وهذا تمثله مادة الدراسة.

ثانيا: استدلت الطائفتان بالاستدلالات ذاتها من نقلية وعلية ومنطقية ولغوية، ويبقى التباين بينهما فيما يلي حسب مدونة الدراسة:

-أولا: الاستدلال النقلي عند أهل النقل، هو الأساس الذي تأتي كل الاستدلالات شارحة ومفسرة له، وعلى هذا هناك استدلال أساسي أما الاستدلالات الأخرى فخادمة له، خلافا لأهل العقل التي جاءت الاستدلالات العقلية كلها، وهي الغالبة، في مرتبة واحدة، فليس هناك استدلال يخدم استدلالا كما أهل النقل، بل كل الاستدلالات العقلية تخدم الفكرة الأساسية وهي الرؤية العلقية التي هي أساس الفكر الاعتزالي.

-ثانيا: إذا كانت الطائفتان نوعت في الاستدلالات، فإنها ليست واحدة لديهما؛ ففي حين جاء الاستدلال النقلي على تنوعه في المرتبة الأولى، والاستدلالات الأخرى توضحه وتفسره، وعلى هذا، فإن هنالك ترتيبا يبدو واضحا في الاستدلالات، التي تنوعت عند أهل النقل، بما يشير إلى أنها ليست الوحيدة، صحيح هنالك استدلال رئيس، إلا أن الاستدلالات العقلية والمنطقية واللغوية، على الرغم من أنها مفسرة وشارحة للاستدلال النقلي، إلا أنه لا يمكن القول إن الفجوة بينها كبيرة، كما هي الحال عن أصحاب العقل.

تنوعت الاستدلالات عند أهل النقل، بما يوحي أن هنالك تنوعا إلى حد كبير بشكل عام، غير أن المدقق في الاستدلالات يتبين ما أوردته أعلاه، من أهمية هذه الاستدلالات وترتيبها على النحو الذي أوردته، خلافا للاستدلال عند أهل العقل، التي جاءت لتشير إلى أنها الأولى والأخيرة، على ما بدا واضحا في المعالجة في المطلب السابق.

-ثالثا: أن الاستدلالات لدى الطائفتين، فيها تمايز، فعند أهل النقل فيها تدرج، كما قلت، ويبدو أن الفروق بينها ليس كبيرا، إذ المعالجة لدى أهل النقل، تشير إلى هذا، خلافا لما هو عند أهل العقل، التي جاءت جميعها في سلة واحدة: الاستدلال العقلي والمنطقي، وجاء الاستدلالان الآخران، اللغوي والنقلي، في مرتبة تالية، والفروق، كما هو واضح بينها كبيرة بشكل لافت للنظر، بحيث تمثل الاستدلالات العقلية والمنطقية حوالي 90%، بينما جاء الاستدلال اللغوي ليمثل حوالي 8 %، والاستدلال النقلي يمثل حوالي 2 %. كما أشير إلى هذه النتيجة ليست نتيجة إحصاء بل ما بدا لي؛ نتيجة الاهتمام الزائد لدى ابن جني في التركيز على الاستددلات العقلية.

-رابعا: أن ابن فارس في مناقشة استدلالالته التي اعتمد عليها لم يكن مترددا، كما هي الحال لدى ابن جني، كما اتضح من خلال المناقشة في موضعه من البحث.

-خامسا: أن الاستدلالات العقلية والمنطقية لدى ابن جني جعلته يتكلف بل يتعسف في التأويل، على ما بدا واضحا. خلافا لابن فارس الذي نوع الاستدلالات، مما غطى بشكل ما على هذه الماحظة، وإن أصابها عوار على ما بدا هنالك في موضعه من البحث.

-سادسا: لم يستطع الشيخان أن يقنعا القارئ بالاستدلالات التي توصلا إليها، على الرغم من أن الآليات المستعملة لديهما ليست بواحدة.

-سابعا: ترتيب الاستدلالات عند ابن فارس أكثر تنظيما، على الرغم مما أصابها، مما ورد لدى ابن جني، على ما أوردناه في صدر أ بنية الاستدلال عند أهل العقل.

على الرغم من استعمال الاستدلال النقلي لدى الطائفتين، إلا أنه عند أهل النقل هو الاستدلال الذي لا يرد، ويأتي في المرتبة الأولى، وجاء عند أهل العقل، إلا أن ترتيبه لم يكن كما كان لدى الطائفة الأولى، والدليل أن ابن جني جاء به على استحياء، وكأنه لم يكن مقنعا به، إلا أنه يعلم مكانته لدى الخصم (أهل النقل) فجاء به، لا لأنه مقتنع به، ولكنه يهم الطرف الآخر.

-ثامنا: ابن فارس حدد رأيه منذ البداية في مسألة أصل اللغات، فانحاز إلى الوحي والإلهام، بينما تأرجحت رؤية ابن جني للاحتجاج للاصطلاح تارة وللوحي والتوقيف تارة أخرى.

-تاسعا: تفسير وتأويل النص القر آني.

5 / 0 : كلمة خاتمة:

اتضح الأثر المذهبي في أبنية الاستدلال لدى الشيخين، لكن لماذا هذا التنوع في الاستدلال لدى الطائفتين على الرغم مما أوردته؟ خاصة أن ابن فارس ينوِّع بشكل واضح، وإن جاء ترتيب الاستدلال واعتماده عنده يعكس فكرا مذهبيا، وكذلك عند ابن جني الذي غلَّب الاستدلال العقلي، ولم ينس الاستدلالات النقلية واللغوية، التي قلت عنها، إنها تمثل أرضية مشتركة.

تنوع الاستدلال لدى الشيخين، يعكس فكرا مذهبيا في التوجه العام. كما أن المناظر يريد أن يستولي على أفئدة خلق كثير؛ فإذا كان الناس متباينين في الثقافة والتفكير والميول، فإنها تحتاج إلى أبنية استدلالية متنوعة تبعا للتنوع السابق، ولهذا يمكن القول إن الشيخين راعيا الفكر المذهبي لديهما في إطاره العام، وأعطى كل منهما لنفسه الحرية في الحركة داخل هذا الإطار.

على أن النسبة تبقى في تباين الاستدلال. وهذا التباين هو الذي أعطى حرية الحركة لكليهما عكسته اللغة المذهبية بين الشيخين. فإذا كان الشيخان لغويين، فهذه أرضية مشتركة، حاولا من خلالها ليس إقناع أنفسهما؛ بل فعل شيئين:

إثبات أن كليهما له استدلالته المتنوعة والدقيقة، وفي ذلك إقناع طائفة كبيرة من اللغويين والنحاة والبلاغيين ومن هم على شاكلتهم.

أن الاستدلالات الأخرى لديهما، لا تقل أهمية عن الاستدلال اللغوي. وفي هذا تأكيد للفكرة السابقة،

أما الاستدلالات النقلية لدى ابن فارس، فتمثل استدلالات أساسية في فكره المذهبي، خلافا للنصوص النقلية لدى ابن جني، التي جاءت على استحياء أو كلمح البصر، ويبدو أن ابن جني لم يكن مقتنعا بالاستدلال النقلي؛ لأنه جاء به تدعيما للاستدلال السابق، ومن هنا فهو تفسير لتفسير أو ما يمكن أن نسميه بالاستدلال الفرعي المنبثق عن الاستدلال الأساسي. وعلى الرغم من أنه لم يكن أساسيا وليس مقتنعا به، إلا أنه:

- جاء فرعيا.
- يتوجه به إلى الخصم؛ الذي يمثل عنده استدلالا أساسيا، وهو إقناع للطرف الآخر.

وصنع ابن فارس ذلك الصنيع، حين استعمل المفردات التي توحي بالمناظرة، كما فعل ابن جني، غير أن الخلاف بينهما، أن مذهب ابن جني يتيح الجدال في كل شيء، حتى إذا توفرت النصوص، بينما يبقى سمة عند ابن فارس، لكنه لا يصمد أمام النص.

إن تنوع الاستدلال لدى الشيخين، كان مقصودا به طائفة بعينها، فضلا عن أنه يقنع الخصم في إطاره العام، وعلى الرغم من ذلك لا يتجاوزه بما يتعارض مع مذهبه. ومن هنا، فإن الشيخين كانا يدركان أمرين:

- الأول: الأخذ في الاعتبار الجمهور وتعدد مستويات ثقافته.
- الآخر: ألا يتجاوز النقطة الأولى بما يتعارض ومذهبه. ويبقى سؤال حائر: لماذا لم تكن المناظرة بين الشيخين كلاما؟ خاصة أنهما يعيشان في فترة زمنية واحدة؟

وإذا كان الأصوليون قالوا: إن معالجة المسألة عندهم فضول، ولهذا جاءت رؤيتهم موجزة، فضلا عن أنهم أجازوا الرأيين، خلافا لابن حزم و ابن الحاجب[1]، اللذين اختارا مذهب التوقيف. وعلى هذا لم أتوقف عند هذه المسألة عند الأصوليين لأن فيها لجاجا كثيرا لا يقدم فائدة لما نحن مضطلعون به.

---

1 ينظر: السيوطي: المزهر 1 / 23.

وجدير بالذكر، أن المناظرات الكتابية تتسم بطابع التنظيم والترتيب في الأفكار، خلافا لما رأيناه عند ابن جني، على ما أوردت، وهنا تميزت استدلالات ابن فارس بالترتيب والتنوع المقبول إلى حد كبير، خلافا لاستدلالات لابن جني.

وكلمة أخيرة، عالج الشيخان مسألة موغلة في القدم، ولهذا جاءت الاستدلالات على النحو الذي لم يستطيعا أن يقنع كل منهما الآخر به القارئ، غير أن الذي لاحظناه أن المسألة تعكس صراعا مذهبيا. وتعطي خلفية ناصعة عن الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية في فترات مختلفة من تاريخ الدولة الإسلامية.

***

<u>6 / 0 : المصادر والمراجع:</u>

<u>6 / 1 : المصادر:</u>

. السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين: (ت 911هـ):

1. المزهر في علوم اللغة و أنواعها، الجزء الأول، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت.

2 . الاقتراح في أصول النحو، حققه وعلق عليه عبد الحكيم عطية، راجعه علاء الدين عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية، 2006.

<u>6 / 2 : المراجع:</u>

1. أحمد أمين:

. ضحى الإسلام،الجزء الثالث، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت، د.ط.

2. بسام جرار:

. تفسير الشيخ بسام جرار: الفرق بين البرهان والحجة والسلطان والدليل في القرآن الكريم، على الرابط الآتي:

https://www.youtube.com/watch?vGOwMBiSmzbY

3. تغريد حريز محمد: (دكتورة):

. الأثر الفلسفي في الفكر اللغوي العربي: ابن جني أنموذجا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد46، مارس، 2018،ص ص 157 : 168

4. جميل حمداوي: (دكتور):

. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014.

5. جورج زيدان:

. الفلسفة اللغوية واللغة العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

6. حمادي صمّود: (دكتور):

. مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص ص 11 : 48، ضمن كتاب:أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،إشراف حمادي صمّود، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، تونس1،كلية الآداب، منوبة.

7. عادل خلف: (دكتور):

. البحث اللغوي عند الأصوليين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنيا، 1982.

8. عبد القادر بقشي: (دكتور):

. قضية المجاز و أبعادها البلاغية والكلامية، مجلة جذور،النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج 9، ج 21 سبتمبر، ص ص 167 : 190.

9. عبد الكريم بليل: (دكتور):

. البرهان والبيان والحجة والسلطان في القرآن على الرابط الآتي:

/http://midad.com/article/195895

تاريخ النشر: 27 شوال 1428 (2007-11-08).

10 - عبد الله صولة: (دكتور):

- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الطبعة الثانية، 2007، دار الفارابي، بيروت، لبنان.

11. عبد الهادي بن ظافر الشهري: (دكتور):

. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004.

12. عبد المنعم السيد أحمد جدامي: (دكتور):

. فرضية المستشرق مايكل كارتر في أصالة النحو العربي، ص ص 105 : 192، ضمن كتاب: دراسات لغوية في المعجم ثنائي اللغة والاستشراق، 2007، 2008، دون ناشر.

13. طه عبد الرحمن: (دكتور):

. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء) الطبعة الثانية، 2000.

14. شكري المبخوت: (دكتور):

. الحجاج في اللغة، ص ص 351 . 383 ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمّود، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1، كلية الآداب منوبة.

15. رشيد الضعيف: (دكتور):

. في أصل اللغة عند ابن جني وفي أثر موقفه، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، العدد: الثاني، يونيو، 1980، ص ص 96 : 100.

16. محمد حسين آل ياسين: (دكتور):

. نظريات نشأة اللغة عند العرب، المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية، المجلد، 7، العدد 3 ، 1978، ص ص 9 : 22.

17. نصر حامد أبو زيد: (دكتور):

. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب. الطبعة الأولى، 2014.

18. يحيي محمود علي الجندي: (دكتور):

. رؤية جديدة في نشأة اللغة، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد 8، 1988، ص ص 180:227.

19 - الفرق بين الدليل والبرهان والعهد والميثاق (مقال) غير منسوب لأحد، على الرباط الآتي:

https://majles.alukah.net/t157550

20- الاستدلال والبرهان (مقال) غير منسوب لأحد، على الرابط الآتي:

https://bohouti.blogspot.com/2016/10/blog-post_296.html

الفصل الثاني

نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية

دراسة تطبيقية لمكافئ: (الأفعال اللغوية).

• استعمل الباحثون عددا من المكافئات العربية للمصطلح الإنجليزي: (Speech acts)؛ ولهذا رأيت أن أستخدم المكافئ الذي توصل إليه البحث في العنوان وفي المواضع الذي استعملته فيها، أما المكافئات التي استخدمها أصحابها . الذين سترد أسماؤهم في ثنايا الدراسة . فسأذكرها كما وردت لديهم؛ لذا لزم التنويه.

1 / 0 : الفاتحة:

1 / 1 : على سبيل التقديم:

يستبين من متابعة الدراسات العربية حول نظرية الأفعال اللغوية، أنها ليست بيضاء تسر الباحثين . على الرغم من الزخم الهائل الحاصل حولها، ومما أحدثته من تطور غير مسبوق في فروع الدراسات الإنسانية . بل سوداء مربادا كالكوز مجخيا، كما ورد في الحديث، ولم أجد خير مفتتح لهذه القراءة من هذا الوصف.

تناولت نظرية الأفعال اللغوية لأوستين دراسات بالعربية وبغيرها لمعالجتها من جوانب عدة؛ ابتداء من تصورات فريجة وكانط وفتجنشتين وأوستين وسيرل؛ هذا عن اللغات الغربية، وأما عن العربية فقد بدأت الدراسات فيها تتوجه على استحياء تلقاء هذه النظرية منذ الربع الأخير من القرن الماضي؛ إذ سادت حينئذ اللسانيات البلومفيلدية: (الوصفية)؛ معنى هذا أن هذه الفترة الزمنية الممتدة سواء للتداولية على جهة العموم أم لنظرية أفعال الكلام العامة على جهة الخصوص أُجرت فيها أبحاث أكثر من أن تحصى.

وعلى الرغم من مضي تلك الفترة الزمنية على هذه الدراسات، إلا أنها ما تزال يلفها غموض في جوانب عدة، ومرد ذلك تتنازعه عوامل متباينة؛ منها ما يتعلق بالتفاوت في اختيار المكافئات وتحريرها، ومنها ما يتعلق بعدم اعتماد الباحثين على مؤلفات ودراسات أوستين وسيرل بشكل مباشر، ومنها ما يتعلق بالباحثين العرب حين قدموا هذه النظرية بشكل موجز، وكأنها قامت بين عشية وضحاها، ولم تستغرق ردحا من الزمن؛ حتى أن بعض الباحثين يرون أنها لا تمثل نظرية1، فضلا عن التباين في التناول والعرض بين الباحثين. أضف إلى ما سبق جذورها الفلسفية وتناولها أمورا معقدة تقع بين الفلسفة واللغة والمنطق والبلاغة. كل هذا وغيره أسفر عن نظريات: (لا نظرية) لأفعال الكلام. وقد استدعى كل هذا أن أتتبع أدبارهم تبيانا وتوضيحا. ومن ثم فهذا الطرح استدعته قراءة ومتابعة للدراسات العربية في هذا الباب من العلم منذ ما يربو على عقد من الزمان أو يزيد. غير أن هذه الحيثيات الواردة أعلاه، وإن جاءت موجزة إلا أن القارئ سيجد تفاصيلها في المطلب القادم. ومما يؤكد أن ما أوردته أعلاه صحيح؛ أن كتاب أوستين مترجم منذ ما يناهز العقدين من الزمان، إلا أن الاعتماد عليه محدود؛ إذ جُل الباحثين: (عرب وغربيون) حين الرجوع إلى آراء أوستين يعتمدون على مراجع وسيطة، وهي متباينة ومتفاوتة في تناول وعرض النظرية، مما يجعل الباحث في حيرة من أمره !! كل هذا استدعى هذه القراءة في تحرير المصطلح، وما فعلت هذا إلا أني غيور أمين.

ولن أدخل في تفاصيل في هذا التأسيس، اعتمادا على ما سيرد في ثنايا البحث وحشاياه، وغني عن البيان أن الظروف الاجتماعية التي أدت إلى نشأة نظرية الأفعال اللغوية تتشابه إلى حد بعيد مع تلك التي أدت إلى نشأتها في العربية، وتحتاج هذه الرؤية إلى بحث مستقل، ولهذا سنخصص له المطلب القادم على سنة الاختصار.

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 190.

1 / 2 : العوامل الدينية والاجتماعة والثقافية ودورها في صياغة الأفعال اللغوية:

يعد التنظير للغات رأس الأمر وسنامه في العمل الإبداعي الذي تصل إليه أية أمة؛ وإذا طبقنا ذلك على الأمم التي قدمت فكرا جديدا لألفيناها متماثلة متشابهة؛ فإذا ألقينا نظرة على العربية منذ ظهور الإسلام الذي بعث فيها الحياة لوجدنا العلوم العربية والإسلامية بدأت تتخلق أمشاجا ابتداء من القرن الثاني الهجري، وعلى هذا رأينا علوم التفسير واللغة والنحو ثم البلاغة وعلم أصول الفقه والفلسفة ... إلخ.

وقد تعدد النظر إلى اللغة فتباينت التصورات والمفاهيم والمداخل؛ فقسم النحاة تقسيما مغايرا لتقسيم البلاغيين، وقدَّم علماء أصول الفقه والفلاسفة تصورات منمازة من التقسيمين السابقين. وما كان ذلك ليكون لولا رسوخ القيم الدينية والثقافية واللغوية والإسلامية، التي مكنت العلماء من تعدد النظر للعناصر اللغوية.

وعلى هذا، فالأفعال اللغوية كامنة في عقول أبناء الأمم، ويحتاج استخلاصها وبلورتها إلى رسوخ وبزوغ قيم دينية وعلمية وأرضية ثقافية تتمتع بها هذه الأمة أو تلك، كما حدث في أوربا، مما أدى إلى بزوغ تصورات أوستين التي تعد بلورة لأفكار السابقين. وكما حدث في الدولة الإسلامية حين بدأ العلماء يقدمون أفكارا غير مسبوقة في فروع العلوم العربية والإسلامية، ومنها تقسيم الكلام . الجملة . عند النحاة والبلاغيين، وكذلك تقسيم الفلاسفة للتركيب الذي نقله علماء أصول الفقه[1] مع التمايز في المفاهيم.

ومن هنا رأينا أنواعا من التقسيمات للعربية؛ منها النحوي ومنها البلاغي ومنها الأصولي ومنها الفلسفي؛ معنى هذا أن التفكر والتدبر في أمر اللغة لهو قمة الإبداع الفكري والعقلي، ولن تصل إليه أمة إلا بعد أن تكون صكت ورسخت فيها المفاهيم. وإذا قارنا بين الدولة الإسلامية . في قوتها وتقدمها . وما عليه أوربا في حقبة أوستين وسيرل، لوجدنا تشابها ظاهرا. يعقب كل ما سبق النظر في أمر اللغة؛ لأنه تابع للأول وليس سابقا عليه. وقد أشار لايونز إلى دور العامل الديني والشرعي والأخلاقي في تحديد الأفعال اللغوية؛ ففي مثل هذه المجتمعات يسهل تحديد الأفعال اللغوية، قال: إن الغالبية العظمى من أفعال الكلام، كما قلت سابقا، محددة ثقافيا؛ أي أنها تعتمد على التقاليد الشرعية أو الدينية أو الخلقية وعلى الممارسات السائدة في مجتمعات معينة[2].

---

1 أفاد الأصوليون من تقسيمات الفلاسفة وعلماء الكلام للكلام، قال الباجي: من المفروض أن المناظرات الفقهية قد استفادت من المناظرات الكلامية وذلك على الأقل في مستوى صياغة العرض وإحكام البيان و إقامة الاحتجاج وكذلك في تبني مواد المنطق اليوناني لهذا الغرض، وهذه الاستفادة التي تنبه لها المؤرخون تبدو جد محتملة، خاصة إذا اعتبرنا أن ظهور علم الكلام قد سبق بعقود عديدة ظهور علم أصول الفقه، ذلك أن الرعيل الأول من المعتزلة من واضعي علم الكلام يرجع عهدهم إلى مطلع القرن الثاني للهجرة، بينما ينبغي لنا انتظار الشافعي المتوفى 204 / 819 لكي نشهد الصياغة لأصول الفقه، وبالتالي لظهور علم الخلاف التشريعي. أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج،ص 4م، 5م. ولهذا جعلت علماء أصول الفقه ناقلين تقسيم الفلاسفة وعلماء الكلام في المتن.

2 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق،ص 206.

كل هذا مهَّد إلى ظهور ما يمكن أن نطلق عليه التقسيمات: (التصورات) المتنوعة لبنية العربية، وبتعبير أوستين الأفعال اللغوية. والسؤال: هل يمكن أن نعد ظهور العلوم العربية والإسلامية في القرن الثاني والثالث الهجريين وما بعدهما امتدادا للاستقرار الديني الذي كان عاملا فعالا وأساسيا للثورة الفكرية التي شهدتها العربية ابتداء من القرن الثاني الهجري وما تلاه من قرون؟ ومن هنا يمكن القول إن التقسيمات النحوية والبلاغية والأصولية والفلسفية لهي ثمرة من ثمار التغيير الهائل الذي أحدثه الإسلام في العرب والعربية فأخرج أفضل ما فيها.

وعلى هذا تعددت النظرة إلى الأفعال اللغوية في الثقافة العربية والإسلامية، بناء على العامل الديني الذي كان محركا أساسيا، كما قلت أعلاه، و أنتجت تصورات ومفاهيم تخصها، وهذا هو سر الإبداع فيها. وعلى الرغم من هذا، فإن الدراسات العربية الحديثة عن الأفعال اللغوية جاءت باهتة قاتمة يعلوها الضباب ويلفها الغموض، وكأنها استنبتت في غير أرضها أو جاءت في غير موسمها، وعلة ذلك يتحوصل في سببين:

. أحدهما: أن الدراسات العربية التي أنتجت حاولت أن تستنبت نظرية غربية في بيئة عربية، وتطبقها قسرا عليها، مع عدم مراعاة الظروف التاريخية والثقافية.

. وثانيهما: أن الدراسات العربية حاولت أن تستنسخ نظرية عربية على غرار النظرية الغربية، فتستخدم مصطلحاتها، وتأكل من مأكلها وتشرب من مشربها وتلبس من ملبسها، وكان الأَوْلَى إذا أردنا تأثيلا حقيقيا لهذه النظرية، أن نتتبع جذورها العربية باستعمال مفاهيمها ومراعاة بعدها التاريخي والثقافي، غير أن كل هذا لم يحدث فجاءت على غير منوال سابق، لا تنتمي إلى ثقافته ولا بيئته، وهكذا رأينا الجفوة في المعالجة. فجاءت المعالجات هجينا، ولهذا قلت إنها جاءت باهتة. وينبغي أن نشير على سنة الاختصار إلى أن هذه الرؤية لا تنطبق على كل الدراسات العربية؛ إذ فيها كتب قيمة.

1 / 3 : حيثيات المعالجة:

لم يتفق الباحثون على بداية التداولية، على الرغم من بداياتها الأولى منذ وليم جيمس في محاضراته عن التداولية وما كتبه فيجنشتين عن اللغة العادية، وعن المنابع الأولى لتصورات أوستين الفلسفية كما عند كانط وفريحة وغيرهم1. فضلا عن أن آن ريبول يرى أن لها أصولا تنتمي إلى الأعمال الاجتماعية كما عند ريناتش التي أسماها أوستين: (الأعمال اللغوية) على ما بينهما من تداخل2. كما يرى لايونز أن أوستين وضع بنفسه الخطوط العريضة لوضع خطة تصنيف من هذا النوع في كتابه الموسوم: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام؟ كما قدم أتباعه منذ ذلك الوقت خططا مماثلة مع شيء من الاختلاف. إن حقيقة إمكانية تقديم تصنيفات مقبولة نوعا ما تسبب مشكلة بحد ذاتها، إذ كيف يتم تصنيف معين دون سواه؟ وليس هناك ما يدعو إلى الافتراض أن مجموعة الأفعال الأدائية في اللغة الإنكليزية أو أية لغة أخرى يمكنها أن تميز الأنواع المختلفة كافة من القوة اللا كلامية وليس من سبب لافتراض وجود تحليل صحيح فريد من نوعه لهذه الأفعال يمكن تطبيقه على هذه الثقافات وهذه اللغات، بل إن الأغلبية الساحقة من الأفعال الأدائية في اللغة

1 ينظر: أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة،ص 5، 14.

2 ينظر: آن ريبول: نظرية الأعمال اللغوية،ص 46، 47.

الإنكليزية معتمدة على الثقافة بشكل قوي1. وعلى هذا يمكن استنتاج تعدد محاضرات أوستين، خاصة أنه لم يترك كتابا مخطوطا حول أفكاره، بل ترك محاضرات جُمعت من قِبَل تلاميذه، ويبدو أنها طبعت أكثر من مرة؛ حسبما ذكر جون لايونز: كان أوستين قد ألقى محاضرات حول الموضوع ذاته لبضع سنوات خلت في جامعة أكسفورد، كما كان قد ألقى بحوثا لها صلة بالموضوع ذاته منذ عام 1940، ولكنه لم يترك مخطوطة منقحة يمكن نشرها للمحاضرات التي ألقاها في هارفرد، وعليه فلا غرابة في أن لا نجد صيغة محددة متفق عليها لنظرية أفعال الكلام العامة، بل ليس واضحا هل كان أوستين يحاول فعلا أن يكوّن نظرية لأفعال الكلام حسب مفهوم المصطلح (نظرية) كما يفسره العديد من الذين تبنوا آراءه؟2. وهذا يعني أنه أضيف إليها في كل مرة؛ معنى هذا أن هنالك نسخا عدة، كل منها يحمل إضافات صوغت بطرق عدة، فضلا عن التعديلات الإضافية في كل طبعة جديدة، مما أدى إلى تباين النسخ وتعدد الروايات، وذهبت آراء أوستين في كثير منها سدى، ولم يبق منها إلا أثارة أفكار عامة.

كما أن الباحثين العرب . فضلا عما ذكرناه حول المصطلح . يقدم كل منهم النظرية على أنها شيء واحد، كما يلاحظ أن كثيراً من الباحثين الذين تعرَّضوا لهذه النظرية لا يعرضون لأصولها وتطورها وتباين مفاهيمها في مراحلها المتعاقبة؛ فيرى بعض الباحثين أنها بدأت قبل أوستين، في حين ذهب آخرون إلى أنها تبلورت على يد أوستين، وأخذت شكلها النهائي على يد سيرل ... بينما رأت عصبة ثالثة أن المرحلة الكلاسيكية في النظرية يمثلها سيرل

وإذا كانت الرؤية الأخيرة ترى أن سيرل يمثل المرحلة الكلاسيكية؛ فإن هذا يعني أن تصوراته تمثل مرحلة سابقة، وأنها تطورت فيما بعد سيرل الذي عدَّل بعض تصورات أوستين، وتؤكد هذه الملاحظة رؤية جون لايونز التي مفادها أن تصورات أوستين لا تمثل نظرية حول: (أفعال اللغة)؛ وهذا يدل على أن هذه المحاضرات التي ألقاها أوستين تطورت تطورا ملحوظا على يد اللاحقين من الباحثين لكل من أوستين وتلميذه. وهذه الملاحظة تؤكد ما أوردته أعلاه؛ أن الباحثين منفكون على أنفسهم في جوانب عدة، حين التعامل مع هذه النظرية. وهو ما لفت الانتباه إلى تلك الملاحظات التي أوردت جانبا منها أعلاه.

معنى هذا أن تصورات أوستين تعرضت لنوع من التعديل والتبديل، ومن ثم لم يعد تصورا واحدا بل تصورات. وهذا سبب كاف كما ذكر لايونز؛ أنه قدَّم تصوراته بناء على آخر نسخة وصلت إليه من محاضرات أوستين3. وهذا يعني أن التصورات التي قُدمت في النشرات السابقة تختلف عن النشرة الأخيرة، فضلا عن اقتراحات الأتباع، ومن ثم لم تعد تصورا واحدا بل تصورات لأوستين من ناحية، وتصورات الأتباع من ناحية أخرى.

وبطبيعة الحال فإن تصورات الأتباع متعددة وتصورات أوستين كذلك متنوعة، بناء على تعدد النسخ، وأدى هذا إلى البلبلة حول النظرية. كما أضيف أني حين قرأت الفصول الأولى من كتاب أوستين (النسخة العربية): نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام؟ لم أجد كلاما

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 204.

2 السابق، ص190، 191.

3 السابق، ص190.

لأوستين، وإنما عبارة عن محاضرات تحتاج إلى إيضاح وإبانة وترتيب وصياغة شديدة كذلك. وعلى هذا قدَّم سيرل تصوراته مقترحا تعديلات على بعض تصورات الأستاذ، على الرغم من استعماله تصورات الأستاذ في الإجمال العام، إلا أنه خالفه في بعض التقسيمات، وقد أدى هذا إلى تداخل اقتراحات الأستاذ بتعديلات الأتباع (سيرل وفاندركين ومن شايعهم)، وحين وصلت هذه التصورات إلى المتأخرين من الباحثين، اختلطت عليهم تصورات الأستاذ بالتعديلات الشارحة للأتباع.

ويبدو أن سبب تقديم الأتباع تعديلات على اقتراحات أوستين، أنه قدم تفريقا بين الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية الأدائية، وربما كان سبب ذلك اهتمام أوستين في ذلك الوقت بشكل خاص بالأكذوبة الوصفية1؛ معنى هذا الأخذ في الاعتبار الظرف السياقي الذي جعله يهتم بهذا التقسيم.

يلاحظ تنازعا واضحا بين الباحثين العرب حول نظرية: (الأفعال اللغوية)، وجلهم يتناول عرضا متنوعا يصل إلى درجة التباين؛ بمعنى أن العرض لا يقوم على الناحية التاريخية التي مهدت لتطورها على يد مؤسسها، وبيان ذلك أن النظرية نشأت على يد فيلسوف أكسفورد أوستين، وترعرعت واخضر عودها على يد سيرل.

وإذا نظرنا إلى مجموعة من الباحثين العرب الأوائل الذين صاغوا المكافئات الأساسية لهذه النظرية لوجدنا: طه عبد الرحمن ومحمد العبد وخالد ميلاد وشكري المبخوت ومحمود نحلة ومسعود صحراوي لهم دور مهم في تلك الصياغات. وتجدر الإشارة إلى أني لن أشير إلى الدراسات اللاحقة، على أساس أنها اعتمدت اعتمادا كليا على تلك الدراسات، وهم من عنيتهم بأنهم حين التعرض إلى هذا المصطلح يشيرون إلى الدراسات الأولى التي تعرضت لهذا المصطلح.

بيد أني أورت في الفقرة أعلاه الباحثين العرب الأكثر شهرة في هذا المجال، إلا أن الواقع الإمبريقي يكشف عن مفارقة تتعلق بصياغة المكافئات العربية، كما سنرى في المطلب القادم وما بعده؛ أن عباس صادق ومحمد صلاح الدين الشريف ومجيد الماشطة هم أصحاب اقتراح المكافئات الأساسية.

بيد أن اللافت للنظر حول تلك المؤلفات العربية الأولى، أنها لم تذكر تفصيلا موسعا حول حيثيات اختيار هذا المكافئ أو ذاك، وكل ما فعلته أنها أشارت على استحياء إلى أن هذا المصطلح Speech acts يترجم بكذا على نحو ما فعله محمود نحلة2، ومحمد العبد3، ومسعود صحراوي4، وخالد ميلاد5. باستثناء الأخير الذي خصص جانبا لمعالجة هذه القضية.

وبناء عليه، كان الأَوْلَى والأجدر أن نتناول نظرية: (الأفعال اللغوية) من ناحية التطور التاريخي، وذلك من خلال تتبع مراحلها المتعاقبة زمانيا، وهذا يؤدي إلى إلمام الباحثين بجوانبها ... غير أنهم تباينوا في عرضها، إذ لا يعرضون تصورات أوستين وسيرل، بل آراء الباحثين الغربيين عنهما، كما

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 205.

2 ينظر: د. محمود نحلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية،ص 59.

3 ينظر: د. محمد العبد: نظرية الحدث اللغوي،ص 15.

4 ينظر: د. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب،ص 49، 50.

5 خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية،ص 499.

فعل محمود نحلة، وثان يعتمد الإيجاز الشديد كما فعل خالد ميلاد، وثالث يعتمد عرض النظرية ثم يلخص أعمال وتصورات سيرل وأخذ يبدئ ويعيد كما فعل المبخوت. وحاصل ما سبق، أننا لم نر نظرية بل نظريات لأفعال اللغة، فضلا عن أن الباحثين العرب، لم يحاولوا أن يقدموا نظرية عربية على أنقاض ما قدمه أوستين والأتباع، وكأن ما قدموه قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، على النقيض لما فعله الأتباع مع الأستاذ.

وكل ما فعله الباحثون العرب أنهم نقلوا التصورات الأولى لأوستين وذكروها كما هي، وحاولوا أن يطبقوها قسرا على العربية، وهذا ليس صحيحا؛ إذ لم نر إلا في القليل النادر من قدم تصورات تخص طبيعة العربية[1]. صحيح العربية تتفق مع اللغات الأخرى، إلا أن لها خصائصها التي تنمازبها من غيرها من الناحية الفنية والتقنية. ويلاحظ على القرءاة العامة أنها لا تتعلق بتحرير المصطلح فحسب، بل هي جزء من هذه القراءة، وهي هنا المدخل الأَوْلَي لما نحن مضطلعون به، وهي جزء من مشروع أكبر، تمثل هذه المقالة بدايته.

وعلى هذا، تليها بإذن الله مقالات، تأتي تباعا، أرجو أن أفرغ لها قريبا. وإن كنت أرى أنها تحتاج إلى دراسة علمية تلم شعثها، وتسد الثغرات الموجودة في الدراسات العربية وتجيب عن تلك التساؤلات التي طرحت من قبل، ويكفيها أن تسلط الضوء على مثل هذه الجو انب، وكفى به هدفا.

<u>2 / 0 : التداولية منهج أم اتجاه؟:</u>

تعاور الباحثون منذ ما يربو على ثلاثة عقود على التباين حول اعتبار التداولية منهجا أم اتجاها. ويبدو من خلال متابعة سيرة الدراسات الأولى؛ أن أول من تنبه إلى هذا الملحظ هو محمد صلاح الدين الشريف في مقالته: (تقديم عام للاتجاه البراغماتي) 1986.

وموجز رؤيته يومئذ أن التداولية اتجاه[2] وليست منهجا، وعلة ذلك أنها تتنازعها معارف شتى؛ اجتماعية وفلسفية ونفسية ولغوية3. ولهذا فهي تقوم على معالجة الظاهرة في مجالات عدة. أما إذا كان الأمر محددا ومخصصا فإنه ينماز مما قبل؛ فإذا كانت التداولية اتجاها، فإن التخصيص أو الوصف في: (اللسانيات التداولية) لا يجعلها تدخل في بوتقة الأولى؛ لأنها خُصصت أو حُددت، فلم تكن هي الأولى (التداولية) بل صارت: (اللسانيات التداولية). وعليه صارت بالوصف أو التخصيص جزءا من اللسانيات.

يقول صلاح الدين الشريف: إن البراغماتية اتجاه في دراسة اللغة يشارك في تنمية البحث فيه دارسون مختلفون وتتلاقى فيه على وجه معين ميادين من المعرفة مختلفة أهمها علم اللغة الخالص والبلاغة والمنطق وفلسفة اللغة وكذلك علم الاجتماع وغيرها من العلوم المهتمة بالجزء الدلالي من اللغة. ولقد سميناها اتجاها لأن الدارسين وإن جمعتهم بعض القضايا، فقد اختلفوا في تناولها

---

1 هنالك محاولات جادة في الاستنتاج والاستخلاص من د.محمود نحلة ود.مسعود صحراوي في كتابيهما. على سبيل المثال. حول تقديم رؤية للأفعال الكلامية في التراث.

2 ذهب هذا المذهب د. محمود نحلة حيث عنون بحثه:(الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص8، وخديجة بوخشة: محاضرات في اللسانيات التداولية،ص 11، 19.

3 د. محمد صلاح الدين الشريف: تقديم عام للاتجاه البراغماتي،ص1.

وطريقة توظيفها بحسب اختلاف مشاغلهم، وبحسب تعقد ما انشغلوا به. والجامع بينهم أنهم على صور مختلفة يجاوزون بعض المفاهيم اللغوية التي سادت الدراسات اللغوية في الفترة الو اقعة بين دروس سوسير وكتابات تشومسكي ذلك أنهم ينكبون على الأشكال الدلالية مقابل انكباب البنيويين والنحاة التوليديين على الأشكال الدالة ...1. غير أن الشريف لم يقل بكل هذا صراحة؛ فقد جاء كلامه موجزا، غير أنه يشير ضمنا إلى المعنى المقصود أعلاه. ويبدو أن هذا ما لاحظه نعمان بوقرة حين الحديث عن هذه الملاحظة. يقول مؤكدا رؤية الشريف، وإن لم يشر إلى هذا صراحة: التداولية اتجاه فلسفي ولغوي يعنى بدراسة استعمال اللغة في الخطاب2. ويقول في موضع آخر: إن اعتماد المنهج التداولي في تحليل نصوص المعارف والعلوم المختلفة، يجد تسويغا له، أنه منهج يجاوز تلك التحليلات البنيوية والشكلية، التي تقف عند حدود الوصف الظاهري لعناصر الملفوظ3.

نقلت نصين وأشرت إلى الثالث فيما أورده نعمان بوقرة فيما يتعلق باعتبار التداولية منهجا أم اتجاها. ويلاحظ في النصين السابقين أنه تعامل مع مصطلح التداولية بطريقتين متباينتين؛ ففي الأولى جعل التداولية اتجاها، بينما جعلها في الثانية منهجا، وكذا في النص المشار إليه ضمنا؛ وهذا التعامل مع المصطلح لم يكن عشوائيا بل كان مقصودا؛ فإذا كان في الأولى جعلها اتجاها، ففي الثانية جعلها منهجا؛ وهذا يتفق مع ما أورده الشريف؛ إذ تعامل مع النص الأول وجعلها اتجاها، على أساس أن التداولية تتداخل مع (اللسانيات)، وبناء عليه فهي ليست خاصة بالدراسة اللسانية، وإنما تتداخل مع علوم أخرى، وجاءت إشارة بوقرة موجزة في نصه مقارنة بنص الشريف الذي كان أكثر تفصيلا في هذه الجزئية؛ إذ جعل التداولية تتداخل مع اللسانيات والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس؛ أي مع العلوم التي تهتم بالجانب الدلالي، حسب تعبيره. بيد أن بوقرة في النص الثاني: (والثالث المشار إليه ضمنا) جعل التداولية منهجا، إذ خصص التداولية وجعلها جزءا من اللسانيات، وبناء عليه كان على وعي تام بصك المصطلح. ويبدو من كل هذا أن بوقرة اطلع على بحث الشريف و أفاد منه ضمنا وإن لم يشر إلى ذلك صراحة.

يبدو للوهلة الأولى أن المعاناة مع صياغة المصطلح مرتبطة بالنقل عن اللغة الأم إلى اللغة الهدف؛ ويتجلى هذا بوضوح حين ترجم الباحثون العرب مصطلح **Speech acts** فتباينت المكافئات المقترحة له قربا وبعدا مما أراد له واضعوه. يبدو هذا بشكل أكثر وضوحا، حين تنبه اللغويون الفرنسيون (ديكرو ورفاقه) إلى هذه الملاحظة4. إذن الباحثون العرب ليسوا بدعا في هذا الأمر، خاصة أن المصطلح الإنجليزي حمّال أوجه، وهو ما دعا الباحثين إلى اختيار المكافئ المناسب له، بل تفرقوا شيعا وأحزابا، دون أن يبدوا أسبابا، سوى أن الحال لدى الفرنسيين ينماز ، على ما أورده خالد ميلاد5.

---

1 د. محمد صلاح الدين الشريف: تقديم عام للاتجاه البراغماتي، ص1.

2 د. نعمان بوقرة: ملامح التفكير البياني عند الأصوليين، ص 107.

3 السابق، ص 108، وينظر له أيضا، ص 109.

4 ينظر: خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، ص 499.

5 السابق: الموضع ذاته.

بيد أن ما يلاحظ على جهة العموم أن إشكالية قائمة حين نقل المصطلح إلى اللغات الأخرى، وإن كانت تأخذ أشكالا شتى، ولم يكن هذا الأمر ظاهرا في الدراسات الإنجليزية؛ بمعنى آخر، لم أر. فيما اطلعت عليه . أحدا من الأتباع تعرض للمقصود بهذا المصطلح، على الرغم مما يمكن أن يحدثه من لبس. ويبدو للوهلة الأولى أن وضوح الأمر لدى أوستين والذين معه والأتباع، بحيث لم يخطر في بالهم أنه يحتاج إلى فضل بيان. وعلى هذا لم يتصد له أحد يؤمئذ، بيد أنه ما لبث أن اتسعت الهوة الزمنية، وصار المسكوت عنه أو المعلوم بالضرورة لدى فلاسفة اللغة الأوائل لا المتأخرين منهم حمَّال أوجه، إما بحكم بُعد العهد، وإما بحكم التخصص، خاصة أن الاهتمام بتصورات أوستين بدأ ينتقل من فلسفة اللغة إلى اللسانيات وإلى مجالات معرفية أخرى. وعليه لاحظ لايونز في مرحلة متأخرة ما لاحظته من أن المصطلح ملبس في لغته الأم بله اللغة الهدف، ولهذا خصص له فصلا. ويبدو أنه كان على وعي بأن المصطلح حمَّال أوجه، وعلى هذا فهو ملبس للمختصين بله القارئ العادي، خاصة أنه ذكر أن هذا المصطلح له معنى تقني1، ويقصد به ما تعارف عليه أولو العلم من أهل الاختصاص، غير أن الأمر ليس قاصرا على المختصين بل بوجه عام.

ويبدو أن الأمر كان واضحا في ذهن أوستين وسيرل والذين معه، بحيث لا يحتاج إلى تبيان، وهو ما بدا واضحا؛ فلم نجد أحدا من الذين أعقبوا أوستين؛ أعني الأتباع أورد إشارة مباشرة أو ضمنية إلى هذا الشأن. إذن عندما يلفت هذا انتباه الباحثين إلى الوقوف عليه، لم نكن بدعا، وأن نخصص له هذه المقالة للوقوف على جوانب القضية. وبناء عليه، فالقضية لم تعد مرتبطة بلغة أخرى، بل تداخلت عوامل كثيرة تباينت بتباين اللغات والسياقات، مما يستدعي الوقوف على اختيار هذا المكافئ أو ذاك وتفضيله على غيره. ولم أر دراسة في العربية تصدت لهذا الأمر، خلافا لما أورده خالد ميلاد موجزا.

<u>3 / 0 : قراءة في مكافئ: الأفعال اللغوية:</u>

<u>3 / 1 : استهلال مبدئي:</u>

لم يكن العرض السالف لهذه النظرية إلا بعد أن ناهز الحديث عنها في العربية أربعين حولا أو يزيد ضربا من الخيال، أو كما يقولون: إن شئنا جئنا بحديث مثله، لكنهم غير مستطيعين، خاصة أننا لم نجد أحدا تناولها بالدرس والمثاقفة وعرض لتحرير المصطلح وحاول أن يستثمر تعدد المكافئات العربية المتعددة استثمارا أمثل، كما فعل لايونز وخالد ميلاد الذي جاءت معالجته خاطفة. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: لماذا الحديث عن ترجمة المصطلح وقد استقر في الأوساط اللغوية منذ زمن بعيد؟

وتكمن الإجابة أن بلبلة واضحة وظاهرة فيما قدمه (ويقدمه) الباحثون، ليس في هذا فحسب، بل في مفاهيم أخرى على ما سنفرد له مقالات قادمة بإذن الله تعالى، فضلا عن جوانب أخرى أوردت جوانب منها في المطلب السابق. كما أن الباحثين لم يتفقوا على مصطلح محدد للمصطلح الغربي، بل اختلفوا شيعا وأحزابا وتعددت المقترحات العربية وكثرت كثرة تظهر اختلافا لا خلافا.

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 189.

ومبلغ علمي أن محمد صلاح الدين الشريف: (1986) ليس أول من تصدى لهذا المصطلح، حيث ترجمه بـ (الأعمال اللغوية)1، بناء على تاريخ نشر الدراسات: (ينظر: 3 / 2 من البحث)، و اقتفى أثره كل الباحثين في المدرسة التونسية حسب تعبير خالد ميلاد2، الذي أبقى على المصطلح ولم يبدل فيه شيئا. كما نشير إلى أنه من أفضل من ناقش القضية فيمن اطلعت عليهم، ويمكن أن أقاربه بما قدمه لايونز، الذي جاءت معالجته تنم عن شعور بما يحمله مصطلح Speech acts من لبس شديد، ولهذا استغرقت معالجته كَمًّا على سطح القرطاس، خلافا لمعالجة خالد ميلاد، التي وإن جاءت مفصلة مقارنة بالدراسات العربية، إلا أنها جاءت في حاشية مفصَّلة، والحاشية تبدو أنها من نافلة القول، وشتان ما بين معالجة تدرج في المتن وتستغرق عدة صفحات، ومعالجة توضع في الحاشية وتستغرق صفحة واحدة!!

أورد صلاح إسماعيل حوارا مقتضبا لسيرل مفاده أن مصطلح Speech acts كان مستعملا عند اللغويين السابقين كبلومفيلد في العقد الثالث من القرن العشرين3. غير أن أوستين أضفى عليه معنى جديدا4. ولم يحدد ما المقصود بالجديد؟ هل لأنه أكسبه معنى جديدا من خلال تصوراته؟ وإذا كان هذا صحيحا فمحاضرات أوستين عُدِّلتْ كثيرا، حتى لم يعد من أصلها إلا أثارة. لكن السؤال: ماذا يعني مصطلح Speech acts؟ هل يشمل اللغة المنطوقة أم المكتوبة؟ وماذا عسى أن يكون من ترجمة عربية مبينة له؟ نود أن نحرر المصطلح بعدما تعددت المكافئات العربية المقترحة.

وما نلاحظه أن هذه المكافئات تراوحت قربا وبعدا من الدقة، سوى أن اللافت للنظر أنه ما دام هنالك مكافئات متعددة، فإن الأولى والأجدر أن يحدد كل مستعمل لهذه المصطلحات حيثيات اختياره. لا أريد من كل من يستعمله أن يذكر الحيثيات، لكن فقط أريده من المستعملين الأوائل، ثم الذين يأتون بعد الإشارة إلى تلك المؤلفات الأولى التي أوضحت حيثياتها. ولما كانت النقطة الأولى والثانية غير موجودة، ولهذا رأيت أن أتتبع أدبارهم.

غير أن باكلا وعصبته ترجموا مصطلح Speech acts بالعمل/الحدث الكلامي5، دون إبداء لأي تعليق أو تفسير، وهل العمل أو الحدث بمعنى واحد؟ لأن هنالك كثرة كاثرة ترجح العمل وثانية تغلب الحدث وثالثة تختار الفعل، غير أنهم جميعا لم يقدِّموا تفسيرا وإن موجزا لاختيارهم، كما أنهم لم يقدموا تعريفا واضحا ومحددا لما يقصد بالمصطلح، فضلا عما ذكره د.صلاح إسماعيل من عدم التحديد وغيرهم خلق كثير.

وبناء عليه، فإن ثلة غير قليلة من الباحثين لم يتناولوا هذا المصطلح بالتفصيل، خلافا لما أورده لايونز في كتابه: (اللغة والمعنى والسياق)؛ إذ قدَّم تحليلا مفصلا ومتميزا حول الفروق الدقيقة لهذا المصطلح. وعلى الرغم من العرض المتميز الذي قدمه، إلا أن المعالجة انزلقت منه إلى بئر سحيق؛

---

1 د. محمد صلاح الدين الشريف: تقديم عام للاتجاه البراغماتي،ص 1.

2 خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية،ص499: الحاشية.

3 د.صلا ح إسماعيل: التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد،ص180.

4 السابق،ص 183، 184.

5 د.باكلا وآخرون: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث،ص41.

أضفى على المعالجة جوانب من الغموض والتعقيد؛ وعلى الرغم من ذلك يظل ما قدمه لايونز أفضل ما كُتب فيما اطلعت عليه. ولم أجد في الدراسات العربية سوى ما قدمه خالد ميلاد، وإن كان موجزا، إلا أنه كان دالا، وقد حفزني بالمتابعة والقراءة، غير أنه من ناحية أخرى حجب الباحثين الآخرين، خاصة التونسيين؛ لأنهم فعلوا كما فعل خالد ميلاد[1]، دون أن يشير إلى الأسباب، على الرغم من أنه ليس أول من استعمل الترجمة على نحو ما ذكر: (ينظر: 3 / 2 : من البحث).

<u>3 / 2 : موجز اقتراحات الباحثين لمكافئ: الأفعال اللغوية:</u>

سأحاول أن أضع المكافئات المقترحة من الباحثين موجزة، تاركا التفصيل لما سيرد بفضل بيان في مطلب قادم، وسأوردها على سنة الاختصار كما يلي:

* الأعمال اللغوية: (صلاح الدين الشريف).
* الأفعال الكلامية: (عباس صادق).
* الأحداث الكلامية / الحدث الكلامي: (مجيد الماشطة).
* الأفعال اللغوية: طه عبد الرحمن. (عباس صادق).

****

* الأحداث اللغوية.
* الأفعال الخطابية.
* الأعمال الخطابية.
* الحدث اللغوي.
* النظرية الإنجازية.
* الأعمال الكلامية.

هذا موجز اقتراحات الباحثين الذين اطلعت على مؤلفاتهم، بيد أني لم أشر إلى كل الدراسات في هذا الشأن، وهي أكثر من أن تحصى عرضت لنظرية: (الأفعال اللغوية)؛لأن ما يعنيني أن أركز على جانبين:

- أحدهما: الدراسات الأولى والأساسية لهذه النظرية.
- وثانيهما: أن نقدم تصوراً ملحوظا، مما يشير إلى أن هذه القضية انشغل بها هذا الباحث أو ذاك بصورة لافتة للنظر.

غير أن ملاحظة جديرة بالنظر في التوقف أمامها؛ وهي أن عددا من الباحثين الذين مسوا ترجمة المصطلح مسا خفيفا؛ يبدو أنهم لم يكونوا قد توصلوا إلى المكافئ العربي الدقيق للمصطلح الغربي Speech acts، وآية ذلك أنهم تأرجحوا في اختيار المقترح العربي المناسب، فهذا محمد العبد عنون بحثه: نظرية الحدث اللغوي، وفي صفحة واحدة يتأكد هذا التأرجح حين ترجم Speech acts بالحدث اللغوي[2]، ثم في كل صفحات البحث تقريبا لم تخل صفحة من صفحاته من هذا الاختيار، وفي بعض المواضع سوّى نظرية الحدث اللغوي بأفعال الكلام أو الحدث اللغوي[3]. وعلى الرغم من ذلك إلا

1 خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية،ص499: الحاشية.

2 د.محمد العبد: نظرية الحدث اللغوي،ص 13.

3 السابق،ص 15، وهي من المرات القليلة التي رأيت فيها هذه التسوية بين المكافئين العربيين للمصطلح الإنجليزي.

أنه ظل وفيا لاختياره: (الحدث اللغوي). وصنع الصنيع ذاته سهل ليلى: حين اختار عنوانا لبحثه: (نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي)، وفي السطور الأولى من البحث استعمل مكافئ: (نظرية أفعال الكلام، ونظرية الحدث اللغوي)[1]، ولك أن تتخيل أن صفحة واحدة. على سبيل التمثيل.[2]، استعمل فيها ما يلي: (الفعل اللغوي، الفعل الكلامي، أفعال لغوية، التداولية: (نظرية الأفعال الكلامية)، والعجب العاجب أنه لم يذكر المكافئ الذي اتخذه عنوانا لبحثه ضمن هذه الطائفة!

راوح سعيد بحيري في ترجمته لمصطلح: (Speech acts) بين الحدث الكلامي والحدث اللغوي والأفعال الكلامية والفعل القولي، وتأتي أهميتها على الترتيب السابق؛ حيث استعمل الحدث / الأحداث الكلامية أو: (نظرية الحدث الكلامي) في جُل المواضع[3]، بينما استعمل الفعل الكلامي: (الأفعال الكلامية)[4]. والحدث اللغوي[5]، في مرتبة ثانية. و أفعال قولية[6]، في المرتبة الثالثة والأخيرة. وعلى هذا يقدم أربعة مكافئات لمصطلح إنجليزي واحد[7].

وفي سياق متصل يتناول سعيد بحيرى العملية اللغوية سواء أكانت كتابة أم نطقا بالفعل اللغوي، وهو في هذا التصور يتفق مع رؤية لايونز في المعنى التقني، بينما حين يتحدث عن نظرية أوستين يسميها نظرية: (الأفعال اللغوية)، كما أنه يستعمل في حين ثالثة الحدث8. ويحتاج هذا الأمر إلى متابعة عنده، خاصة أنه ترجم عددا كبيرا من الدراسات اللغوية، يقع قسط كبير منها في مجال الدراسات التداولية، ومن ثم تحتاج هذه القضايا إلى دراسات مطولة في الترجمات الأخرى التي قام بها هذا الموضوع وغيره.

<u>3 / 3 : تفصيل الموجز:</u>

يلاحظ أن الباحثين، كما ورد في المطلب أعلاه، اقترحوا لمصطلح Speech acts مكافئات عربية عدة، بلغت اثنا عشر مقترحا أو يزيد، وهي ليست على درجة واحدة من الترقي المصطلحي. وهنا أود أن أشير إلى نقطتين تعدان مدخلا لما نريد إنجازه؛ أما الأولى فهي محاولة غربلة الموجز السابق، وأما الأخرى فهي ترتيب هذه المقترحات ليس من حيث الأهمية، بل من حيث تاريخ ظهورها حسب الدراسات المقامة من ناحية، وحسب الشيوع والانتشار من ناحية أخرى. وفيما يلي أدناه التفصيل.

يلاحظ في الاقتراحات السابقة تقاربا شديدا من حيث اختيار المكافئات من ناحية، كما يمكن النظر إليها من زاوية تاريخ اللسانيات والفروق بين: (اللغة، الكلام) من ناحية أخرى، ولما كان المصطلح الذي

---

1 سهل ليلى: نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي، ص 93.

2 السابق، ص 94.

3 ينظر: د.سعيد بحيري: اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، ص 174، 177، 185، 213، 215، 216.

4 السابق، ص215، 216.

5 ينظر: السابق، ص 179، 184.

6 ينظر: السابق، ص 215.

7 استعمل د. محمد محمد يونس مكافئين عربيين: الأفعال الكلامية والحدث الكلامي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 34، 35.

8 ينظر تفصيلا موسعا: كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ص 109وما بعدها.

استعمله أوستين لا أقول ملبسا، بل حمَّال عدة أوجه من التفسيرات يقبلها ولا يردها، وهذا هو بيت القصيد. ومن ثم فالمكافئات المقترحة من قبل الباحثين يمكن إيجازها على سنة الاختصار فيما يلي:

* الأعمال اللغوية.
* الأفعال الكلامية.
* الأحداث الكلامية.

وما دون ذلك إما تفريعا عنها وإما تشقيقا لها، وهكذا يمكن من خلال هذا النسق الاستغناء عن كثير منها، ومن ثم فإنها تتخلص من المكافئات الفرعية؛ لأنها لا ترقى إلى الأساسية، وهو ما أوجزته في المقترحات الثلاثة أعلاه. وأما الملحظ الآخر فهو ترتيب هذه المكافئات المقترحة حسب ورودها في الدراسات العربية كما يلي:

- الأحداث الكلامية: مجيد الماشطة: (1985).
- لأعمال اللغوية: محمد صلاح الشريف: (1986).
- الأفعال الكلامية، الأفعال اللغوية: عباس عبد الوهاب: (1987).

وإذا نظرنا إلى تواريخ نشر هذه الدراسات، وجدناها نشرت في فترات زمنية متقاربة، غير أنها ليست على درجة واحدة من الترقي المصطلحي، وهنا أحاول أن أرتبها حسب الذيوع والانتشار كما يلي:

- الأفعال الكلامية.
- الأحداث الكلامية.
- الأعمال اللغوية.

وهو ترتيب ينماز من الترتيب الزمني، غير أني ينبغي أن أشير إلى أنه حين ذكرت أن المكافئات بلغت اثني عشر مقترحا لم يكن اعتباطا بل .كما قلت . إن فروق المعنى بينها دقيقة، وإن بدت واحدة. وقد حاولت أن أوجز المقترحات السابقة إيجازا شديدا، وقلت إنها تتقارب من حيث الشكل لا المضمون، وهذا ما أدى إلى الخلاف بين الباحثين في اختيار المكافئ المناسب، وهذا ما سنناقشه في المطلب القادم.

<u>3 / 4 : قراءة في المكافئات الأساسية المقترحة:</u>

في محاولة لغربلة المكافئات المقترحة السابقة، سيكون التركيز على المصطلحات الثلاثة السابقة مع الأخذ في الاعتبار المقترحات السابقة، كلما كانت مفيدة في الكشف والتبيان، وأحاول أن أستجلي جو انب منها ، وهي: الأفعال الكلامية، الأعمال اللغوية، الأحداث الكلامية.

إذا نظرنا إليها وجدناها يعجز أولو العلم في الوقوف على أسرارها، كما أن المعاجم اللغوية لم تستطع أن تقدم حلولا ناجعة لما بينها من فروق حثيثة، ونريد في هذا المطلب مناقشة المكافئ الأقرب من جهة اللغة وتاريخها. وسأحاول أن أقدم مناقشة لهذه المقترحات الثلاثة تفصيلا فيما يستقبل من حديث.

نشير إلى معالجة كل مصطلح على حدة، إلا أنه من غير المألوف أن تعالج هذه المكافئات مجتمعة، وبعد إدامة نظر وطول تفكر وجدت أن تعالج هذه المكافئات مرة واحدة، خاصة أنه لا يمكن أن أفصل بينها للتداخل الشديد، ومن ثم فقد رأيت أن مناقشتها مجتمعة؛ تجعل كلا منها يأخذ

بتلابيب الآخر: وهي على سنة الاختصار، لما هو وارد في المطلب الذي سبقه: (ينظر: 3 / 4 من البحث)، وعلى هذا ستأتي المناقشة.

يلاحظ أن: (الأفعال الكلامية) هي أكثر استعمالا لدى الباحثين، سوى أنه ليس الوحيد، كما أوردت، وعلى الرغم من أن له الغلبة الغالبة على غيره، إلا أنه لم يرق لثلة غير قليلة من الباحثين الذين فضلوا اقتراحات أخرى؛ فإذا كانت: (الأفعال اللغوية) يقصد بها أوستين البنية اللغوية، فإنه قسمها إلى خبرية وإنشائية؛ معنى هذا أنه يقصد اللغة المكتوبة، وتحديدا الفصحى من اللغات الطبيعية؛ لأننا لم نر أحدا من الباحثين قسم الكلام العادي إلى: (خبري وإنشائي) أو أنه أولى الكلام العادي أهمية.

ترجم عبد القادر قنيني مصطلح أوستين Speech acts بالكلام، ولم يقصد الكلام المنطوق دون المكتوب، وإنما قصد الحديث عن الكلام؛ لأنه التطبيق الفعلى: (للغة) على ما بينهما من فروق، كما أن هؤلاء الباحثين الذين يرفضون مصطلح الكلام هم ممن يتبنون نظرية التفريق بينهما على ما أورده سوسير، وأن ذكر الكلام، هو أن تركز على عنصر الكلام المنطوق دون المكتوب، وهذا لم يقصده أوستين ولا سيرل، فضلا عن أن سيرل حينما عالج النظرية استخدم المصطلحات ذاتها التي استخدمها أوستين؛ معنى هذا أنها كانت واضحة في أذهانهما وأذهان الباحثين الآخرين حتى المتلقين؛ بدليل أنه لم يعترض عليها أحد. غير أن الإشكالية وردت إما من بُعد العهد بين كتابة أوستين: (كما أوردت سابقا) خاصة وبين الترجمات إلى اللغات الأخرى (ومنها العربية، كما هي الحال هنا) خاصة الفرنسية؛ لأن ما أورده خالد ميلاد يوحي أن الترجمات أو بُعد العهد هو السبب في ذلك، حين قال: إن هناك خلافا بين الباحثين حول ترجمة مصطلح Speech acts، ثم ذكر أن الباحثين منفكون حول الترجمة، وذكر عددا من المكافئات الفرنسية كما يلي:

- les actses de langage

- les actses de parole

- les actses de discours

يلاحظ أن هذه المتباينات تجريبية مما أوردته من استعمالات الباحثين العرب لها، وهي تنم عن خلاف حول آلية الاختيار التي تعكس التباين في الرؤى، كما سيرد بفضل بيان في القراءة والتفصيل عند لايونز. فإذا كان أوستين يرى أن Speech يدل على الكلام، فليس الغرض الكلام المنطوق، كما أوردت، فضلا عن أنه كان يلقي محاضرات، والمحاضرات بطبيعتها تستعمل إما الجملة وإما الكلام، حتى النحاة العرب أنفسهم حينما استخدموا الكلام، لم يقصدوا إلا الفصيح منه، ولم يقل أحد خلافا لذلك.

أعود نزلة أخرى للوقوف على جوانب مصطلح: (الأفعال الكلامية) أو (الفعل الكلامي)، فأقول وبالله التوفيق: إن الباحثين متباينون في استعمال إما فعل وإما حدث، بناء على ما هو وارد أعلاه، ولنا حول هذه الجزئية وقفة متأنية فيما يستقبل بفضل بيان.

إذن لدينا رؤيتان، غير أن الماحظ من خلال متابعة الدراسات في هذا الشأن، على ما أوردت في المطلب السابق، أن استعمال: (فعل) راجح على استعمال: (حدث) عند كثير من الباحثين، ويبدو أن

ترجيح استعمال: (فعل)؛ لأنهم يرون أنه يشمل عنصرين؛ الدلالة على الحدث والدلالة على الزمن، وهذا ليس موجودا في: (الحدث)، والذين يرون هذه الرؤية يذهبون إلى أن: (الحدث) لا يدل على ما يدل عليه: (الفعل)؛ لأنه يدل على شيئين، الأول: أنه مرتبط بزمن، والثاني: أنه مرتبط بحدث، وهذا ليس موجودا في: (الحدث) الذي يرتبط شكلا بالحدث وهو العنصر الثاني في الفعل المشار إليه أعلاه، وبناء عليه، فإن:(الحدث) لا يرتبط بـ(الفعل) بل بـ(الحدث)، وهذا يمكن أن يكون مقبولا شكلا لا مضمونا؛ إذ الحدث من حيث اللفظ يرتبط بالحدث، ومن حيث المضمون هو كالفعل، فالحدث ليس معناه أنه يرتبط بالحدث فقط، بل بالفعل والحدث معا من حيث المضمون؛ لأن التعامل مع المصطلح من حيث المضمون لا من حيث الشكل؛ فالفعل يشمل عنصرين، على ما أوردنا أعلاه، وكذلك الحدث، فإنه يشمل العنصرين أيضا، فالحدث يدل على حدث: (فعل) أيضا، ويدل على: (الحدث) الوارد في العنصر الأول المشار إليه في الفعل، وهنا أتناول المضمون لا الشكل، فقد يقول قائل: إن الفعل يدل على الزمن والحدث معا بشكل مباشر، وكذلك: (الحدث) يشمل العنصرين معا بشكل ضمني؛ لأننا حين ننظر إلى: (الفعل والحدث) لا ننظر إليهما من حيث الصيغة، بل من حيث المحتوى.

وبناء على ذلك فكلاهما يشتمل على ما يشتمل عليه الآخر شكلا أو ضمنا؛ ففي: (الحدث) يشمل العنصرين؛ الحدث بشكل مباشر، والزمن بشكل متضمن فيه؛ لأن الذين فضلوا (الفعل) على: (الحدث)، ارتكنوا إلى أن (الفعل) يشمل العنصرين وهو ما ليس موجودا في: (الحدث)؛ في حين ذهبوا إلى أن الحدث لا يشتمل على الحدث، وهم في هذه الرؤية يسوون بين الحدث كمصدر يرتبط بالحدث لا بالزمن. وجدير بالذكر في هذا السياق أن: (الفعل والحدث) يستويان من حيث المصدر، وعلى هذا فإني أرجح: (الفعل) على: (الحدث) و أيضا على: (الأعمال)، وكل منها دال دلالة ظاهرة.

وهو تصور يحتاج إلى إعادة نظر، خاصة أننا لا نتعامل مع: (الحدث) بمعنى المصدر بل بمعنى الفعل؛ لأن: (الفعل) يؤدي ما يؤديه: (الحدث) في الو اقع الفعلي، خلافا لرؤية النحاة؛ الذين يرون أن المصدر مرتبط بالحدث لا بالزمن، وهذا لا ينطبق على ما نحن بصدده الآن؛ لأن تطبيق ذلك على الحدث بمعنى المصدر فيه إجحاف وتحميل الحدث ما لا يطيق. ولم يقل أحد إن الحدث بمعنى المصدر؛ لأن الحدث هنا مساو للفعل ويشتمل على ما يشتمل عليه.

وبناء عليه فالرؤيتان تحتاجان إلى إعادة نظر، لأن كليهما لا يستند إلى ركن شديد، خاصة أن كلا الفريقين نظر إلى المصطلح نظرة شكلية دون مراعاة الفروق بينها، ومن ثم فإنا ما نخلص إليه هنا أن مبررات اختيار فريق الفعل على الحدث تحتاج إلى إعادة نظر. سوى أن الخلاف بين الفريقين بدا ظاهرا، وهنا يجب الاحتكام إلى الاستعمال، فهو الحكم الذي ترضى حكومته، إذا لم نستطع أن نجزم برأي قاطع دون سند وعضد مكين، ومن ثم فإن الصيغة الأكثر استعمالا هي الفعل، بناء على الانتشار الذي أشرت إليه في مطلب سابق. كان هذا ما يتعلق بالفعل أو الحدث، وبناء على ذلك، فإني أرجح صيغة الفعل، لأنها تدل بشكل مباشر، كما أنها أكثر استعمالا وشيوعا.

وتبقى الصيغة الأخرى، وهي: (الكلام أو اللغة) وكلاهما يدل دلالة مباشرة أو ضمنا على المراد، كما حدث مع: (الفعل والحدث)، فإذا كان: (الكلام) فالمراد، كما سيرد بفضل بيان، اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، أو حسب تعبير جون لايونز؛ أن هذا المصطلح له معنى تقني أو فني، وبناء عليه فإن

معناه ليس كما يبدو دالا على الكلام، بمعناه لدى سوسير، وإنما بمعناه التقني / الفني حسب تعبير لايونز، غير أن المعنى التقني خاص بجمهرة أولي العلم، وبناء عليه فإن المصطلح ملبس، كما أوردت، إذ يعطي معنى تقنيا / فنيا ومعنى دالا به على الكلام المنطوق، ومن ثم نكون أمام رؤيتين، رؤية للخاصة ورؤية للعامة؛ أما الخاصة فهي تلك التي اختص بها أولو العلم، حسب ما يمكن أن يستخلص من كلام جون لايونز، وأما العامة فهي تلك التي قد يتصوره القارئ العادي، وبناء على هذا قلت: إنه ملبس ويحتاج إلى فضل تفصيل. ويبدو أن هذا ما لفت انتباه جون لايونز الذي سيرد بفضل بيان، غير أنه لم يكتف به، بل قدَّم مصطلحين آخرين: (التفوه، الوحدة الكلامية / الجملة)، وعلى هذا لم يقدم لايونز مصطلحا واحدا، بل ثلاثة متمايزة غير أنها متقاربة، ولهذا قلت في أثناء قرءاته: إن استعماله أكثر من مصطلح أوقعه في بئر سحيق.

أعود نزلة أخرى فأقف أمام: (الكلام، اللغة) حسيرا مكتوف الأيدي؛ فقد أورد أن الكلام يشمل اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وهو ما سماه لايونز بالمعنى التقني/ الفني، وهو ما أسميته بالرؤية الخاصة أعلاه، لكن الملفت للنظر أننا أمام ثنائيتين من ثنائيات سوسير: (اللغة والكلام)، ومعلوم تفريقه بين المصطلحين؛ فاللغة هي مجموعة القواعد المخزونة في الذهن، أما الكلام فهو التطبيق الفعلي لتلك القواعد المخزونة في أذهان الجماعة اللغوية: (اللغة)، وعلى هذا فنحن أمام تصور ينماز لما نحن بصدده. دعونا نكن أمام تصور سوسير للغة والكلام، لكن اللغويين تجاوزوه فيما بعد؛ فقد اقترح تشومسكي الكفاءة والأداء، وهكذا حل النموذج التوليدي محل تقسيم سوسير الثنائي ما بين اللغة والكلام، و اقترح فاندايك الجملة النظامية والجملة النصية1.

تبقى الكلمة الأخيرة أننا أمام مصطلحات ثلاثة، وكل منها مكوَّن من جزئين: (الفعل، الحدث، العمل) وأما الشطر الآخر فهو: (الكلام، اللغوي أو الكلامية، اللغوية). وبناء على ما أوردته في السطور أعلاه، أرجِّح: (الفعل) على كل من: (الحدث والعمل) على الرغم من استعمالهما، وعلى الرغم من الفروق الحثيثة بينها، وعلة تفضيله تعود لما يلي:

. الأول: أنه الأكثر استعمالا.

. الثاني: أنه يدل على الفعل بشكل مباشر، مما ليس في الحدث والعمل. كما ذكر جون لايونز بأن: (فعل لغوي) يعد أفضل بكثير من (فعل الكلام)2. كما ذكر لايونز في السياق ذاته أن: (فعل الكلام) يعد مضللا بحد ذاته؛ فهو يعطي وزنا كبيرا لذلك الجزء من إطلاق: (الوحدات الكلامية) الذي يؤدي إلى نقشها في الوسط المادي الصوتي بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى3. أما الشق الآخر والمشار إليه أعلاه من المصطلحات الثلاثة، فأعني: (الكلامي / الكلام، اللغوية / اللغة)، وأرجح منها: (اللغة أو اللغوي) لما يلي:

. الثالث: أن اللغة تدل دلالة ظاهرة على المراد، وهذا ليس موجودا في الكلام الذي جعله لايونز يحمل معنى تقنيا عند أوستين.

---

1 ينظر: حول الفروق بين الجملة النظامية والجملة النصية، بوجر اند: إعادة النظر في نحو النص، ص1529.

2 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 189.

3 السابق: الموضع ذاته.

. الرابع: أن استعمال الكلام، على ما أورد لايونز فيه غموض.

. الخامس:أن استعمال: (الحدث اللغوي) ليس مناسبا؛ لأن به جزءا يحمل الحدث، وتناولته أعلاه، أما اللغة فهي مقبولة، وبناء عليه ففيه أثارة من لبس وغموض، كما في الفعل الكلامي.

. السادس: أن عنصر: (اللغة) يشمل المنطوق والمكتوب خلافا للكلام.

وبناء على ذلك، فالاختيار الأقرب هو: (الفعل اللغوي، الأفعال اللغوية) ومشتقاتها على ما أوردت أعلاه، وهو المصطلح الذي ارتضاه جون لايونز وفضله على: (الفعل الكلامي)، إلا أنه رجَّح في النهاية: (فعل الكلام) في معناه التقني الذي أضفاه عليه أوستين، وقال: فإنه لن يغيب عن البال أبدا أن فعل الكلام يراد أن يشمل إنتاج كل من لغة الكتابة ولغة الكلام، شأنه في هذا شأن الوحدة الكلامية من ناحية النقش والنص1. الفعل اللغوي أو الأفعال اللغوية أو أية مشتقات منها: (ينظر: 2 / 2 من البحث)،

وإذا كنا بصدد الحديث عن الأفعال اللغوية، وحسب ما سيأتي عند لايونز في مطلب قادم، فإنه مصطلح تقني وفني يدل على معنيين؛ أحدهما: أنه بهذا التصور يشمل الكلام المنطوق والكلام المكتوب، وثانيهما: له معنى عام؛ يقصد به المعنى المباشر: (الكلام المنطوق). ألا ترى أن صيغة الفعل تشتمل على قوة. فاعل. مفعول، زمن؟ وهذا ليس موجودا في صيغة الحدث بشكل مباشر، على ما أبنت عنه.

ونستطيع أن ننطلق من أن: (الأفعال اللغوية) تشمل المنطوق والمكتوب إلى فكرة أخرى قريبة، وهي تسوية النحاة العرب بين الجملة والكلام؛ فقد أورد ابن جني: (393 هـ) في معنى الكلام بأنه: كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل2. ثم جاء الجرجاني من بعده وقال الكلام ذاته تقريبا: اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيد، يسمى كلاما، ويسمى جملة3. ومن خلال متابعة المؤلفات النحوية التي سبقت كلا منهما لم نجد سوى سيبويه والمبرد والزجاج الذي قدم كل منهم رؤية في هذا الصدد4.

ونستطيع القول إن رؤية الجرجاني و ابن جني فريدة وجريئة؛ إذ لم يسبقا إليها في حدود ما أعلم، اللهم إلا الإشارات السابقة عليهما المنتثرة هنا وهناك. كما تعد هاتان الرؤيتان بداية لمرحلة جديدة في التفريق بين الجملة والكلام والقول5. وقد تبع كلا من ابن جني والجرجاني في التسوية بين الجملة والكلام، مع التمايز في التفاصيل، الزمخشريُ، فقال في هذا الشأن: هو المركب من كلمتين، أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين، كقولك: زيد أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 189..

2 ابن جني: الخصائص 1 / 18.

3 عبد القاهر الجرجاني: الجمل في النحو، ص 107.

4 لمزيد من التفصيل حول رؤية سيبويه والمبرد ينظر: دلالة التراكيب عند الزمخشري، ص 6 : 10.

5 ينظر تفصيلا موسعا لهذا الموضوع: دلالة التراكيب عند الزمخشري، ص12.

واسم نحو قولك: ضرب زيد و انطلق بكر، ويسمى الجملة1. والذي دعاني إلى هذه المقاربة في التراث العربي تلك التسوية القائمة بين الكلام والجملة، على الرغم مما يبدو بينهما من فروق، وما يمكن استخلاصه من فروق بينهما كما يلي:

- أحدهما: أن مصطلح: (الكلام) يستدعي مصطلح: (الفعل الكلامي) في نظرية أوستين.
- وثانيهما: تلك التسوية بين الجملة والكلام على ما بينما من فروق.

فأما مصطلح: (الكلام) فإنه يذكِّرنا بمصطلح: (الكلام) في نظرية الأفعال الكلامية؛ حيث أشار جون لايونز، كما أشرت وكما سيتبين في مطلب قادم، أنه يشمل الكلام المكتوب والكلام المنطوق في معناه التقني، وهذه الملاحظة تؤكدها النصوص التراثية الواردة أعلاه؛ فإذا كان الكلام يتعلق بما هو منطوق من حيث الظاهر، فإنه يرتبط بما هو مكتوب ومنطوق من حيث معناه التقني الوارد لدى جون لايونز، أو بتعبير القدماء هو تفريق بين الجملة والكلام، على تلك التسوية بينهما، سوى أنه ينبغي ألا يغيب عن بالنا الفروق بينهما؛ أن الكلام يرتبط في الأساس بما هو منطوق والجملة ترتبط بما هو مكتوب، أو بمعنى ثان فإن الكلام عام، والجملة خاصة، أو بمعنى ثالث: أن النحاة جمعوا نحوا: (تراكيب وجملا) اعتمادا على كلام، لكنه كلام مخصوص، ولا بد من توافر فيه شرائط بعينها على ما أوردها السيوطي في مزهره. ورؤية جون لايونز اللاحقة تؤكدها رؤية النحاة في التسوية بين المصطلحين. وتقودنا فكرة التسوية بين الجملة والكلام عند النحاة العرب إلى فكرة أخرى: أن اللغويين العرب نقلوا قواعد اعتمادا على كلام، فالكلام أصل فهو سابق، أما الجملة فمن ابتكار النحاة: (وهم متأخرون)، خلافا للكلام. ويبدو أن قريبا من هذا ما توقف عنده لايونز في التفريق بين الجملة والوحدة الكلامية

<u>4 / 0 : حاشيتان على سفرين ناقشا مكافئ: الأفعال اللغوية:</u>

كثرت الدراسات العربية التي تناولت نظرية: (الأفعال اللغوية) كثرة تغري بتناولها تناولا من منظور مغاير... وبعد مدارسة ومثاقفة الدراسات العربية والمترجمة في هذا الباب، لم أجد إلا مصنفين ناقشا هذا المصطلح باستفاضة؛ جون لايونز من المترجمات الغربية، وخالد ميلاد من المصنفات العربية، وفيما يلي من حديث سأتتبع أدبارهما.

<u>4 / 1 : حاشية على حاشية خالد ميلاد:</u>

يعد خالد ميلاد أوَّلَ من ناقش المكافئ العربي لمصطلح Speech acts2 مناقشة علمية حقيقية، حسب ما اطلعت عليه، وقد اختار مكافئ: (الأعمال اللغوية) ترجمة لـ Speech acts. فقال في الحاشية:

---

1 المفصل في علم العربية،ص 32. وينظر تفصيلا موسعا في هذا السياق حول تفنيد رؤية الزمخشري من العلوي في المحصل في كشف أسرار المفصل في: دلالة التراكيب عند الزمخشري،ص 13 : 17. وكذلك الجملة والكلام والقول، فلم يناقشها الزمخشري في المفصل فقط، بل ناقشها باستفاضة في كتابيه: المفرد والمؤلف وأعجب العجب، وقد ناقشتُ أفكاره في هذا الشأن بمزيد من التفصيل أغنى عن أن أعيده هنا تارة أخرى، ينظر: دلالة التراكيب عند الزمخشري،ص ص 12: 27.

2 خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية،ص 499.

(الأعمال اللغوية) هي الترجمة التي ارتأيناها للمصطلح الإنجليزي Speech acts، وهي الترجمة السائدة في المدرسة اللغوية التونسية منذ نشر الشريف مقاله: تقديم عام للاتجاه البراغماتي1.

ويلاحظ أن الفارق الزمني بين مقالة الشريف: (1986) ومناقشة أطروحته 1999التي طبعت 2001؛ أي بعد خمسة عشر عاما؛ لم نعرف شيئا عن الدراسات التي أنتجت في تلك الحقبة؛ خاصة أنه لم يذكر عنها شيئا؛ فجاء كلامه مقتضبا لحد الإخلال؛ إذ كان ينبغي أن يذكر لنا: ما المؤلفات التي ترجمة المصطلح الإنجليزي بـ (الأعمال اللغوية)؟ وهل منها قدمت ملاحظات ضافية في ترجمة المصطلح؟ إلا أنه لم يفعل، وكل ما فعله أنه ذكر أن أوَّلَ من ترجم المصطلح هو محمد صلاح الدين الشريف: (1986)، وابتداء من الشريف حتى 2001م، تعد حلقة مفقودة في تاريخ التعامل مع المصطلح في المدرسة التونسية، حسب تعبير خالد ميلاد من جهة، كما أنه لو عرض لنا هذه الدراسات لكان بالإمكان التوصل لبعض الدراسات التي يمكن أن تكون تعرضت لترجمة المصطلح من جهة أخرى؛ ومن ثم يمكن استنتاج أنها لم تتعرض للترجمة من قريب أو بعيد؛ بدليل أنه لم يذكرها ونعرض للترجمة وهو مناط البحث، إذ لو كانت بعض الدراسات تعرضت لما تعرض له هنالما ذكره2.

وبناء على هذا الاستنتاج، فالباحثون لم يتعرضوا لهذه الترجمة التي تصدى لها هو؛ لأن محمد صلاح الدين الشريف في مقالته، لم يتعرض لحيثيات الترجمة، وإن لم يعدم ترجمته: (الأعمال اللغوية)، خاصة أن عبد القادر قنيني بعده بخمس حجج، لم يركن إلى اختياره، وذهب مذهبا مغايرا: (الأفعال الكلامية)، ولم يبد حيثيات اختياره أيضا. وأحسب أنه أول من أشاعه وليس من اقترحه، خاصة أن نشرة ترجمة عبد القادر قنيني كانت: (1991)، وكان قد سبقه عباس صادق إلى ترجمة كتاب لايونز: (1987)، غير أنه عُرف من خلال ترجمة قنيني ذائعة الصيت. كما أن خالد ميلاد لم يتعرض للترجمات الأخرى التي كانت سائدة: (ترجمة عبد القادر قنيني وطه عبد الرحمن) وغيرهم، واكتفى بما هو في المدرسة التونسية ممن لم يورد لهم ذكرا، باستثناء مقالة الشريف.

ويبدو أن ما اختاره خالد ميلاد: (الأعمال اللغوية) هو السائد في المدرسة التونسية التي لم يكن يركن إليها إلا قليلا، وآية ذلك أنه خصص حاشية كاملة3 لما يريد إنجازه، بيد أنه لم يتعرض للترجمات العربية التي لا تتفق مع المدرسة التونسية، بل توجه تلقاء الدراسات الفرنسية في هذا الشأن، فقال عقب كلامه السابق، وقد قام في أوساط اللسانين الفرنسيين جدل حول ترجمة Speech acts.

- les actses de langage
- les actses de parole
- les actses de discourse

ويشير العرض الموجز إلى أنه لم يستطع أن يحسم أمر قضية المصطلح، ولهذا توجه شطر رؤية: (ديكرو) من الفرنسيين الذين تعرضوا لهذا المصطلح . مع آخرين . الذين أشار إليهم خالد ميلاد، وذكر

1 خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية،ص 499..

2 السابق: الموضع ذاته.

3 السابق: الموضع ذاته.

رأيه موجزا، فقال: وذهب ديكرو إلى أنه ربما كانت عبارة les actses langage الأكثر أمانة وإيفاء بالمراد الذي قصد إليه كل من أوستين وسيرل1.

على أية حال، فإنه عاد وذكر كلاما موجزا بشأن ترجمة بعض الباحثين للمصطلح الإنجليزي، فقال: ونجد العرب من ترجم العبارة بـ (الأعمال القولية أو الأعمال الكلامية) (ت عبد القادر قنيني: نظرية أفعال الكلام العامة، 1991 والطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، 1994 2.

ويحتاج خالد ميلاد إلى بيان كاشف وكاسح لما أورده فيما يستقبل من حديث قادم؛ فلم يذكر الباحثان أن مصطلحي: (الأعمال القولية أو الأعمال الكلامية) اللذين ذكرهما خالد ميلاد، بل كما أوردت سلفا أن الاقتراح ليس لعبد القادر قنيني، وإنما لعباس صادق في ترجمته لكتاب لايونز: (اللغة والمعنى والسياق)، ثم راق لقنيني فاقترحه عنوانا لكتابه: (نظرية أفعال الكلام العامة). وعلى الرغم من أن قنيني ليس صاحب الاقتراح، كما أوردت، إلا أنه عُرف عنه وبه؛ إذ اقترحه عباس صادق كترجمة لعنوان فصل في كتاب: (اللغة والمعنى والسياق) لجون لايونز، وقد كانت ترجمة مبكرة: (1987)، إلا أنها لم تلق حظا موفورا من الذيوع والانتشار كما لدى قنيني، ويبدو أنه قد اطلع على ترجمة عباس صادق لكتاب لايونز وأفاد منها، غير أن الشهرة الواسعة لترجمة قنيني رسَّختْ ترجمة عباس صادق، ويبدو أن الفارق الذي جعل ترجمة المصطلح لدي قنيني تأخذ حظا موفورا من الانتشار والذيوع؛ أنه جعلها عنوانا لكتابه خلافا لترجمة عباس صادق؛ فقد ترجم قنيني كتاب أوستين، وهذا أمر ينبغي أن يؤخذ في الحسبان، فضلا أنها عنوان للكتاب، وهذا يعطي ميزة لترجمة قنيني على الرغم من تأخره، كما أن اقتراحات عباس صادق جاءت عنوانا للفصل الثامن: (الأقوال والأفعال: نظرية أمثال الكلام) في كتاب عنوانه خادع: (اللغة والمعنى والسياق) هذا من ناحية، كما أنه جاء لباحث يتكلم عن جون لايونز من ناحية أخرى. كما أن شيئا خطر لي، زيادة على ما سبق، أن الكتاب جاء في مرحلة متقدمة زمنية: (1987)، وهي مرحلة سيطرت فيها اللسانيات الوصفية على الدراسات العربية، ومن ثم فإن فصلا في كتاب، ربما لا يلفت النظر ولا يغري الباحثين، على الرغم من اعتمادهم على الكتاب في قضايا بحثية لسانية أخرى، إلا أن أحدا لم ينتبه إلى رؤيته في هذا الشأن. كما أن نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة والبلاغيين العرب، نشرة مطبوعات جامعة الكويت 1994، لا كما ذكرها الباحث خالد ميلاد: (1992)، ويبدو أن ثمة فارقا جعل الطبطبائي يركن إلى اقتراح قنيني شكلا، وعباس صادق حقيقة، حيث ترجما المصطلح قبله: (1987، 1991) على الترتيب السابق.

ومن جهة أخرى لم أر حسب اطلاعي على ترجمة قنيني والطبطبائي أنهما ترجما مصطلحي: (الأعمال القولية، والأعمال الكلامية) في ثنايا الكتاب، خاصة أنهما اختارا ترجمة المصطلح في العنوان: (الأفعال الكلامية)، خلافا لما تفضل به الباحث الكريم، من إيراده مصطلحين مختلفين شكلا على الأقل، وقد يقول قائل: إن المصطلحات قريبة، لكن لا يمكن قبول هذه الترجمات في هذا السياق، خاصة أن الباحث يتعرض للفروق الدقيقة بين التعبيرات اللغوية، ومن ثم كان ينبغي أن يكون أكثر حيطة وحذرا؛ خاصة أني لم أر هذين المصطلحين لدى الباحثين.

---

1 خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية،ص 499..

2 السابق: الموضع ذاته.

أنهما كيف يختاران هذين المصطلحين السابقين وهما مصطلحان متفاوتان كما توحي هذه الإشارة؟ إلا أن (قنيني) له اختيار والطبطبائي له اختيار آخر، وهذا ليس صحيحا؛ إذ تبع الطبطبائي: (قنيني) الذي انحاز إلى اختيار عباس صادق، على ما أوردته أعلاه، كما أنهما لم يستعملاهما، وكان الأَوَلَى والأجدر أن يشير إلى عنوان الكتاب: (الأفعال الكلامية) الذي استعمله قنيني، ومن ثم الطبطبائي، وهذا ما لم يشر إليه خالد ميلاد.

إلا أن الباحث الكريم قد لحظ ملحظا مهما؛ وهو أن الخلاف بين الباحثين مرده إلى اعتبار الأعمال و اقعة في مجال اللغة أو الكلام، حسب تعبير دو سوسير، ونحن نذهب إلى أن هذه الأعمال لغوية[1]. ويبدو أن هذا كان تمهيدا لاختياره: (الأعمال اللغوية) تمشيا مع المدرسة التونسية، حسب تعبيره.

وعلى هذا الأساس فالباحث الكريم أشار إلى مصطلحين غير موجودين، وترك ما هو موجود، وهذا أمر يحتاج إلى إعادة نظر، مع باحث يعالج قضية اختيار مكافئ عربي لمصطلح غربي. ثم يذهب الباحث بعد هذا العرض إلى تفضيله ترجمة Speech acts بـ (الأعمال اللغوية) استنادا إلى مبررات عديدة منها:

- أن الإثبات والنفي والتعجب والوعد وغيرها معان لا وجود لها في و اقع الأشياء الخارجة عن اللغة وأحكامها ومعانيها، فهي أعمال لا تنجز إلا في اللغة وباللغة، وأن هذه المعاني هي معان إعر ابية صرفية معجمية. وقد استند كل من أوستين وسيرل في استقرائها إلى أن المعجم مستوى من مستويات النحو.... أن الكلام في ثنائية سوسير، وإن اختص بالسمة الفردية الذاتية، فإنه يبقى مشدودا إلى العوامل الاجتماعية التي هي خصائص اللغة وسماتها الأساسية2. لم أستطع أن أفهم العلاقة بين ترجيحه مكافئ: (الأعمال اللغوية)، وبين هذه المبررات حسب تعبيره!! وإن كنت أرى أنها تحتاج إلى وقفة متأنية.

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى؛ فإن النفي والتعجب والوعد على ما أورده الباحث الكريم، وكذلك النداء والتحضيض والأمر والنهي وغيرها لا وجود لها في و اقع الأشياء، فهذا صحيح وأصحاب اللغة يبتكرون ما يعبر عن مرادهم، ولم أجد علاقة بين كلامه وبين اختياره أو بتعبير دقيق: لم أستطع أن أفهم مغزى كلامه!! كما أن ثنائية اللغة والكلام عند سوسير تتسم بسمة الفردية، كان هذا بداية، غير أنها أخذت صيغة الجماعية حين تبناها الوصفيون من اللسانيين طيلة القرن العشرين تقريبا، ولم أستطع فهم هذا العامل كذلك، كما في الأول، أو لم أستطع الربط بين الاختيار والحيثيات التي أوردها. لكن شيئا يطل برأسه في هذا الشأن؛ وهو أن: (اللغة) لها سمة اجتماعية، كونها ترتبط بالمجتمع على ما هو معلوم، غير أن اللافت للنظر أن آن ريبول: يرى أن لها أصولا تنتمي إلى الأعمال الاجتماعية كما عند ريناتش التي أسماها أوستين: (الأعمال اللغوية) على ما بينهما من تداخل3. فهل إلى هذا قصد الباحث الكريم؟

---

1 خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية،ص 499..

2 السابق: الموضع ذاته.

3 ينظر: آن ريبول: نظرية الأعمال اللغوية،ص 46، 47.

2 / 4 : حاشية على قراءة جون لايونز:

يعد جون لايونز واحدا من اللسانيين الذين أولوا نظرية (أفعال اللغة) عناية بالغة، خاصة فيما يتعلق بالاهتمام بأمر المكافئات مثل: الوحدة الكلامية والأعمال الكلامية والجملة والقوة اللاكلامية والخبر والسؤال والأمر ... ومن خلال متابعتي للمؤلفات اللسانية التي تناولت الفروق الحثيثة بينها وجدت اهتمامه الشديد. انتهي جون لايونز في خلاصة بحثه لنظرية أفعال الكلام العامة إلى التمييز بين معنى الجملة ومعنى الوحدات الكلامية1. و انصب بحثه على تحليل الأعمال الكلامية صبا باعتبارها تنماز من الأعمال اللاكلامية أكثر من الاهتمام الذي يوليه عادة الفلاسفة وعلماء اللغة لهذا الموضوع2.

استعمل لايونز عنوان فصله الثامن: الأقوال والأفعال: نظرية أمثال الكلام3. و انطلق من مقولة أوستين إن اللغة لا يمكن أن تصف العالم فقط؛ بمعنى أنه يمكن الحكم على اللغة بأنها صادقة أو كاذبة، بناء على الو اقع الخارجي، كما يقول البلاغيون، ولكن كان أوستين يتجاوز بهذا الكلام، أنه كيف تكون معالجة اللغة باعتبارها مجرد مجموعة من البيانات الوصفية؟4. لقد كان هدف أوستين في البداية، على الأقل، أن يتحدى ما كان يعتبره مغالطة وصفية، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة والوحيدة للغة؛ هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة5.

استعمل أوستين Speech acts وترجمه عباس صادق بـ (الأفعال الكلامية) وهذا ما وضعه لايونز عنو انا لفصله. غير أنه استعمل مصطلح Utterances وقال لايونز: وتسمى Utterances عموما أفعال الكلام6. وبناء على تصوره، فإن طرحه أن المصطلح Speech acts يمكن استخدامه للإشارة إلى عملية النطق أو إلى نتاجات هذه العملية7. بمعنى آخر أن مصطلح: (أفعال الكلام) يمكن تحميله بأكثر من دلالة؛ فقد يدل على عملية النطق: (وليس النطق فقط)، وعملية النطق تمر بمراحل كما أشار إليها أوستين:

- الفعل النطقي: الأصوات والصرف والنحو والدلالة.
- الفعل الانجازي: ما تدل عليه هذه العبارة.
- الفعل التأثيرى: الجانب التأثيرى لهذا الكلام.

ولما كان أوستين يرى أن الأصوات والصرف والنحو تمهيد، وأن الفعل التأثيرى ليس مرتبطا بكل الكلام، ومن ثم فقد جعل الفعل الإنجازي أهم ما يميز الفعل الكلامي. وهذا ما حدا بأحد الباحثين أن يسوِّي بين الأفعال الكلامية والأفعال الإنجازية؛ حين قسم أنواع الأفعال إلى: اللفظي،

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 213.
2 السابق: الموضع ذاته.
3 السابق، ص 188.
4 السابق: الموضع ذاته.
5 السابق، ص 191.
6 السابق، ص 189.
7 السابق: الموضع ذاته.

الغرضي / الإنجازي، التأثيري، وقال: أدرك أوستين أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، وأن الفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا؛ فمنها ما لا تأثير له في السامع أو المخاطب، من ثم كان الفعل الإنجازي عنده أهمها جميعا، فوجه إليه همه حتى أصبح صلب هذه النظرية، وأصبحت تعرف به أيضا، فيطلق عليها أحيانا نظرية الفعل الإنجازي أو النظرية الإنجازية 1.

ويبدو أن ما يشغلنا كباحثين الآن، كان ينشغل به لايونز منذ أمد بعيد؛ نجد أن ثمة فارقا جوهريا بين تعاطينا نحن مع تصورات أوستين وتصورات لايونز عليها، وما نحن مضطلعون به الآن؛ فقد توقف عند دقة مصطلح Speech acts وما يعنيه، فتوصل بداية إلى أن Utterances يعطي معنى: (أفعال كلام) بوجه عام؛ معنى هذا أن هنالك تسوية قائمة بينهما، وإن كان لا ينكر أمرين يؤخذان في الحسبان، أن جون لايونز يعلم أن مصطلح Speech acts فعل الكلام يراد به أن يشمل إنتاج كل من لغة الكتابة ولغة الكلام2. وهذا واضح ونص عليه نصا صريحا، وهذا يعني أنه يركز على الفروق الدقيقة التي تترتب على استعمال Speech acts أو Utterances؛ فقد سوَّى بينهما في المعنى العام، إلا أنه على الرغم مما ذكره من أن الفعل الكلامي يشمل ما أوردته له أعلاه، وهو يستعمل بمعناه التقني؛ بمعنى أنه واضح ومفهوم لدى الباحثين، إلا أنه على الرغم من ذلك يرجح فعل لغوي3. إذن لايونز لديه رؤيتان حول استعمال المصطلح؛ فقد استعمل Speech acts وأكده ولم يرده، غير أنه أضاف إليه مصطلحا وصفيا في عمومه Utterances، ومن ثم فبدلا من أن يقدم مكافئا دقيقا، أضاف مصطلحا آخر، ومن ثم صار لديه:

- Speech acts
- Utterances

هذا ما كان يكابده جون لايونز في لغته الأم!! وعلى الرغم من اعترافه و إقراره بأن المصطلح يدل على اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، إلا أنه لم يركن إليه إلا قليلا؛ بدليل أنه استعمل مكافئا آخر يضارع ما استعمله أوستين، غير أنه يظل لمصطلح أوستين: (القوة الإنجازية) الأولوية لأمرين، أحدهما: أنه من صاحب النظرية، وثانيهما: أنه صار معلوما بالضرورة للباحثين، هذا قول لايونز، إلا أنه كما ذكرت يبدو أنه لم يكن مقتنعا به؛ و آية ذلك ما أوردته أعلاه، فضلا عن أنه قصر الفصل الثامن على معالجة الفروق الدقيقة بين هذه المصطلحات.

ويبدو أن هذا الأمر كان يشغل حيزا كبيرا من تفكيره باعتباره لسانيا؛ فلم يكن مقتنعا بما ذهب إليه من أن: (الفعل الكلامي) يشمل الاثنين معا؛ لأنه لو كان مقتنعا لما أفرد فصلا كاملا لمعالجة الفروق الدقيقة بين هذه المصطلحات. وموجز معالجة لايونز حول الفروق الدقيقة بين المصطلحات التي تشعر بالغموض فيها تحتمل أكثر من معنى.

---

1 د. محمود نحلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية،ص 69، وينظر: أميرة الغساني: الأفعال الإنجازية في الصحف الإماراتية المقروءة،ص 73.

2 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق،ص 189.

3 السابق: الموضع ذاته.

فإذا كان الأمر مع لايونز بهذه الوعورة، فما بال المشكلة في العربية؟! صارت المشكلة مشكلتين، إحداهما: مشكلة المصطلح المحمَّل بالغموض، والأخرى: إشكالية الترجمة، ومن ثم فالمشكلة في العربية تحتاج إلى إبانة شديدة؛ فإذا كان لايونز توقف عندها باعتباره لغويا في الفصل الثامن فيما يتعلق بالمصطلح غالبا، فإننا بناء على ذلك، نحن أجدر وأولى أن نخصص له الدراسات قبل أن نوَّلي وجوهنا شطر النظرية التي لا يرى لايونز أنها نظرية في الأساس. فقد أورد أن أوستين نفسه لم يقدم نظرية متطورة كاملة لأفعال الكلام على الإطلاق1. إذ لم يكن لأوستين كتاب مخطوط، وإنما محاضرات ألقاها على فترات من الزمن، وجمعت جمعا مختلفا، مما أدى إلى تباين النسخ، ومن ثم يقول لايونز: فلا غرابة في ألا نجد صيغة محددة متفق عليها لنظرية أفعال الكلام العامة، بل ليس واضحا، هل كان أوستين يحاول فعلا أن يكوِّن: (نظرية الأفعال الكلام)، حسب مفهوم المصطلح: (نظرية)، كما يفسره العديد من الذين تبنوا آراءه2؟ لقد كان أوستين يتحدى ما كان يعتبره مغالطة وصفية؛ وهي أن فكرة الوظيفة الوصفية الفلسفية الوحيدة للغة، هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة ... أو أن الجمل تكون ذات معنى فقط، إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها3.

وإذا كان ما ذكرته حول اهتمام لايونز بالفروق المصطلحية التي كان يتوقف أمامها باعتباره لغويا. وقد قال بأن: (أفعال الكلام) تعني اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة من الناحية التقنية، إلا أنه كما قلت لم يكن يركن إليه، غير أن الباحثين والمهتمين بقضية المصطلح جعلوه يفرد له الفصل الثامن؛ لأنه وجد نفسه مع مصطلحات فنية دقيقة، لم يستطع في النهاية أن يجزم برأى قاطع فيها.

استعمل لايونز عددا من المصطلحات لتوضيح فكرته، وجعلها تدخل تحت مصطلح: (وحدة الكلام) الذي بدوره يشتمل على مصطلحين أساسين: (نقش الكلام، فعل الكلام)، وهو ما يؤكد رؤيته السابقة؛ أن: (الفعل الكلامي) يشمل اللغة المكتوبة والمنطوقة.

غير أنه يلاحظ بدلا من أن يستعمل: (اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة)، استعمل بديلين لهما: (نقش الكلام، فعل الكلام)، وعلى هذا فقد أضاف إلى المصطلحين السابقين مصطلحين آخرين، بدلا من أن يستثمر الخلاف المصطلحي؛ جعل . فيما سبق . الفعل الكلامي يشمل اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، ومن ثم فالفعل الكلامي يجمع مصطلحين، وعاد . مرة أخرى . وناقض نفسه؛ فجعل: (الوحدة الكلامية)4، تضارع: (الأفعال اللغوية) في النص السابق5، وبدلا من أن يذكر: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة جعلها: (نقش الكلام وفعل الكلام).

وبناء على ذلك، فالمصطلحان العامان هما: (الفعل الكلامي، الوحدة الكلامية)، على الرغم من رده: (الفعل الكلامي) . على ما أوردناه . وجعل الأول: الفعل الكلامي يضم اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، وجعل الثاني: الوحدة الكلامية تشتمل على: نقش الكلام وفعل الكلام. ويتبين من هذا أنه

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 190

2 السابق، ص 191.

3 السابق: الموضع ذاته.

4 السابق: الموضع ذاته.

5 السابق، ص 189.

بدلا من أن يختزل المصطلحات ويحددها، استعمل في اللغة الواحدة أكثر من مصطلح على نحو ما هو وارد، فضلا عن أنه جعل الأول: (الفعل الكلامي) في الأول عاما، يشمل مصطلحين، وجعل الآخر: (فعل الكلام) يقع في إطار ما هو عام وهو: (الوحدة الكلامية)، فمرة عنده الفعل الكلامي عام، وأخرى خاص، فضلا عن التفريعات والتشقيقات، بالإضافة إلى أنه استعمل مصطلحا آخر لم يستعمله أوستين، وعلى هذا فالمصلح عنده ليس واحدا: (الفعل الكلامي)، بل صارت لديه ستة مصطلحات على النحو الآتي:

. المصطلحات العامة: الفعل الكلامي، الوحدة الكلامية.

. المصطلحات: الفرعية / الثانوية:

. الفعل الكلامي: اللغة المكتوبة، اللغة المنطوقة.

. الوحدة الكلامية: نقش الكلام، فعل الكلام.

كما أن هنالك ملاحظة تطل برأسها ترتبت على ما سبق؛ فإذا كان: (الفعل الكلامي) عنده بناء على ما أوردته عاما وخاصا، فإن هذا بالضرورة يترتب عليه أن المعنى في كلتا الحالتين ليس بواحد؛ لأنه يعني في الأول: (اللغة) بوجه عام، بينما في الثاني يقتصر على ما هو منطوق في مقابل ما هو مكتوب. وبناء عليه نستطيع أن نقول إن: (الفعل الكلامي) عنده يدل على شيئين اثنين:

- الأول: العموم ويقصد به اللغة بمعناها الواسع.
- الآخر: اللغة المنطوقة.

إلا أني أعود القهقرى وألحظ أن: (الوحدة الكلامية) عند لايونز التي جعلها قسمين: (نقش الكلام وفعل الكلام)، إلا أن تقسيمه الباقي للتفريع يوحي بشيء آخر؛ أن: (نقش الكلام وفعل الكلام) كليهما غامض لديه ويؤدي إلى لبس؛ وآية ذلك أن: (نقش الكلام) يوحي بالمكتوب، في حين:(فعل الكلام) يشير إلى المنطوق.

غير أن لايونز عاد وقسَّم كلا من: (نقش الكلام وفعل الكلام) إلى قسمين، مما يؤدي إلى اللبس والغموض، ومكمن اللبس، أن فعل الكلام يقسم إلى قسمين، الأول: وسط خطي، نقش مكتوب، والثاني: وسط صوتي (نقش كلامي)، كما جعل: (الفعل الكلامي) في قسمين كذلك؛ الأول: الحدث الخطي: (الكتابة) والثاني: الحدث الصوتي: (الكلام)1؛ معنى هذا أن النظرة السابقة، كانت عامة تحتاج إلى إعادة نظر في ضوء جملة التقسيم، الذي أثار الانتباه، ولم أجد له تفسيرا حتى الآن، ما المقصود بالمصطلحين تحديدا؟ ما دام يشتمل كل منهما على: وسط خطي ووسط صوتي، وفي الثانية: حدث خطي وحدث صوتي؛ معنى هذا أن التقسيمين يشتملان على الجانب الصوتي والكتابي.

غير أنه عاد تارة أخرى فأحدث لبسا في أن التفوه: (نقش الكلام) ذاته دون النطق بالجملة مسألة لم توضح في عدد كبير من المؤلفات الحديثة في علم الدلالة والذرائعية بسبب عدم الدقة التي يستخدم بموجبها المصطلحان: جملة ووحدة كلامية2. وأن أوستين نفسه أخفق في التفريق بين الجمل

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص190.

2 السابق، ص 197.

والوحدات الكلامية1، إلا أنه يرى أنه على الرغم من عدم التحديد الدقيق، بأنه غير واضح في بعض النواحي وناقص تقنيا في نواح أخرى، يعتمد بالتأكيد على إدراكه لحقيقة أن نقوش الكلام المتطابقة صوتيا، يمكن أن تختلف فيما بينها بموجب تعابيرها المكونة وتركيبها النحوي2.

وهكذا نلاحظ أن التداخل بين المنطوق والمكتوب حاصل من لدن أوستين، مما انعكس على تحليل لايونز بشكل واضح. وهذه الملاحظة تقودنا إلى ملاحظة أخرى عند اللغويين العرب؛ أنهم اعتمدوا في استنباط القواعد/ الجملة على لغة منطوقة، فأساس المكتوب منطوق، على الرغم كما يبدو بينها من فروق دقيقة، وهو ما عبر عنه لايونز بأن التطابق الصوتي ليس شرطا ضروريا لتطابق الأمارة والنمط لنقش الكلام ... كما أن تطابق الأمارة والنمط للوحدات الكلامية لا يخضع لأية نظرية3.

حاول لايونز تفسير التقسيم الوارد في موضع سابق4، فقال: يمكننا أن نقسم آراء العمل الكلامي إلى جزئين مستقلين منطقيا، (1) إنتاج نقش في وسط مادي مناسب و (2) تكوين جملة كذا وكذا وكلاهما مستقل منطقيا ... وإذا استخدمنا مصطلحات أوستين، فانه يمكننا القول إن العمل الكلامي هو نتاج: 1- لعمل صوتي ينتج نقشا في الحيز الصوتي للصوت و (2) عمل اعتيادى لتكوين جملة معينة في لغة معينة5. ومن ثم فنقوش الكلام في وسط مادي، يقصد به الكتابة، أما إنتاج نقوش الكلام في وسط غير صوتي خصوصا عندما نكتب ولا نتكلم، فيشمل أفعالا غير صوتية من نوع آخر6. غير أن اللافت للنظر هنا، هو إضافته مصطلحا جديدا، هو العمل الكلامي.

ليس ثمة ما يمكن أن يستنتج من تقسيم لايونز7، إلا أن نقش الكلام يشتمل على اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة وأن الفعل الكلامي يشتمل على اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، إلا أنه يلاحظ أنه في كلتا الحالتين أن الشق الكلامي يأتي أولا ، كما أن شيئا آخر يلاحظ في هذا السياق؛ أنه مع نقش الكلام حين قسمه جعله قسمين على ما أوردناه، وجعله في وسط خطي ووسط صوتي، وما دام في وسط خطي فأحسبه يقصد اللغة المكتوبة، كما أن شيئا لافتا للنظر في الشق الآخر، وهو أنه جعل الشق الآخر: الفعل الكلامي: (أي: فعل لغوي) بمعنى أي حديث لغوي. ولما كانت اللغة المنطوقة تركز على الحدث، ومن ثم جعلها حدثا كتابيا في مقابل الثنائية: الحدث الكلامي. ومن ثم نكون أمام قسمين آخرين، وعلى الرغم من أن كل قسمة منهما تشتمل على المنطوق والمكتوب، إلا أننا نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون إن المصطلحين في القسمين ليسا متساويين من حيث الأهمية؛ فإذا كان نقش الكلام ينقسم إلى نقش مكتوب ونقش كلامي، إلا أن النقش المكتوب هو الأصل، وكذلك الحال مع

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص198.

2 السابق: الموضع ذاته.

3 السابق: الموضع ذاته.

4 السابق، ص 190.

5 السابق، ص 199، 200.

6 السابق، ص 200.

7 السابق، ص 190.

القسم الآخر فعل الكلام: كتابة: (حدث) وكلام: (حدث)، فهنا الأولوية للحدث الكلامي، كما أن في الأولى الأولوية للنقش المكتوب.

وبناء على ذلك، فعلى الرغم من أن القسمين يشتملان على تقسيم آخر، إلا أننا استطعنا وبشق النفس ورشح الجبين تحديد المقصود، وعلى الرغم من ذلك يبقي السؤال: كيف تشتمل كل من الكتابة والكلام على أمرين يبدوان متناقضين أو قل مختلفين في آن واحد؟ غير أنه لم يبق إلا أن كليهما يشتمل على الآخر وتركيز الاهتمام على عنصر دون آخر؛ فإذا كان: (الكلام) فالتركيز على المنطوق مع عدم إغفال المكتوب والعكس، لكن السؤال الذي يطرح نفسه، إذا كان المنطوق يمكن أن يأتي مع الحالة المكتوبة كأن يقرأ الذي يكتب أو يحرك شفتيه؛ معنى هذا أن هنالك حالة من الكلام المنطوق، وإن كان التركيز على المكتوب. صحيح هذه الحالة يمكن التطبيق عليها، لكن كيف يكون هذا مع المنطوق؟ ربما على أساس أن يتصور المتكلم الشكل المكتوب، وإن لم يكتب. هذا ما تبين لي بعدما تدبرت أحداث النص. غير أن الذي لاحظته بعد كل هذا أن لايونز انزلق إلى ما كان يريد ألا يصل إليه؛ إنه أراد أن يحدد مصطلح: (الفعل الكلامي) الذي تفهم معناه الفني والتقني، وإن لم يركن إليه، ومن ثم فضَّل مصطلحا جديدا: (الفعل اللغوي)، لكن ألا ترى أن حصاد هذه المناقشة مصطلحات عامة ومصطلحات خاصة، وقد بدت هذه المصطلحات متداخلة لدرجة الارباك.

حاولت أن أقدم قراءة لما قدمه بالمر في كتابة علم الدلالة وبمتابعة قضايا الكتاب وتحديده في الفصل الذي تناول فيه Speech acts اقترح له أحداث الكلام1. غير أني لم أجد إضافة فعلية زيادة على ماقدمه لايونز؛ فقد جاء كلامه مقتبسا مما أثر على عرض القضية. كما أن ثمة ملاحظة يسيرة في هذا الشأن؛ أن الماشطة ترجم Speech acts بأحداث الكلام، وترجم Utterances بالتفوه2. فهل ثمة فارق جوهري بينهما؟ على الرغم من أن لايونز سوَّى بينهما، ولم أرغيره سوَّى بينهما.

الأحداث الكلامية مصطلح يحمل على اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، خلافا لجانبه الشكلي؛ بمعنى أن الكلام يمكن أن يحمل بجمل كثيرة، خلافا لمصطلح: (التفوه)، فهو لا يعني إلا اللغة المنطوقة.

غير أن شيئا لافتا للانتباه؛ أنه قال إن: (الأفعال الكلامية) تعني اللغة المنطوقة والمكتوبة في معناها التقني، على ما أوردنا؛ معنى هذا أنها في غير التقني: (العادي)، لا تعني إلا اللغة المكتوبة، وهنا نستطيع أن نقول إن لايونز سوَّى بينهما على ما هو وارد لديه، وإن لم يكن على إطلاقة و إنما كما يلي :

أشار إلى معنيين لمصطلح Speech acts المعنى التقني والمعنى الأولي والمباشر، وبين مصطلح Utterances الذي يدل على المنطوق: (التفوه) حسب تعبير الماشطة؛ معنى هذا أنه حين سوَّى بينهما لم يكن على إطلاقه، و إنما على أساس المعنى الأولى المباشر؛ لأن التسوية بين مصطلحين أحدهما يحمل أكثر من دلالة، ربما ليس فيه إنصاف، غير أن من يتابع ما أورده لايونز لا يرى هذه الرؤية، بل يرى أنه يسوِّي بينهما على الإطلاق؛ معنى هذا أن المصطلحين يدلان على المعنى ذاته دون خلاف، سوى أن: (التفوه) ربما المقصود منه الكلام المنطوق ممثلا لكلا الشكلين، بدليل أنه حين يمثل خاصة عند الماشطة يستدل بأمثلة مكتوبة، وعلى هذا فالمصطلحان متساويان من الناحية الفنية، وهو ما حدا

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 187.

2 بالمر: علم الدلالة، ص 187: (الماشطة).

بلايونز أن يسوِّي بينهما، خاصة أننا نتعامل مع مصطلحات غاية في الوعورة والصعوبة وأخذت مأخذا عظيما من الباحثين.

ولما كان لايونز مهموما بتحديد دقة المصطلحات، كما قلت، فقد حاول أن يقدم تحديدا لمصطلحي: الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية الأدائية. فالوحدة الكلامية البيانية تستخدم لإصدار العبارات الخبرية: (فضَّل أوستين بيانية وصفية)؛ لأنه ليست كل البيانات الصادقة أو الكاذبة أوصافا، ولتحقيق أهدافنا يمكن اعتبار المصطلحين متعادلين، أما الوحدات الكلامية الأدائية بالمقارنة، فهي وحدات يؤدي المتحدث أو الكاتب بها عملا أو فعلا وليس مجرد الكلام1.

ولكن ألا نستطيع أن نستخلص بناء على كلام لايونز، أن اللغة في إطارها العام لدى أوستين، إما أن تفيد الوصف أو البيان أيا كان المصطلح؟ لكن اللغة ليست كلها تفيد ذلك، فمنها الوحدات الكلامية الأدائية: (مكتوبة أو منطوقة) حسب النص السابق. وهذا يشير إلى نوع آخر لا يقع في إطار النوع الأول الخبري، الوصفي، البياني. وعلى ذلك فاللغة عنده إما أن تصف، وإما أن تؤدي. ولنا حول ذلك عودة بفضل بيان.

لكن ألا يمكن ملاحظة أن لايونز كما استخدم: (فعل الكلام) واستعمله استعمالا مزدوجا، كما أوردناه، استعمل: (الوحدات الكلامية) استعمالا مزدوجا أيضا؛ فقد قسمها التقسيم الذي تعرضنا له. وهو يقدم له تصورا جديدا، ويبدو أن هذا التقسيم على أساس المعنى، خلافا للتقسيم الأول الذي كان على أساس الخلاف بين: (اللغة والكلام). وعلى هذا فـ (الوحدة الكلامية) نظر إليها لايونز من زاويتين، كما فعل مع مصطلحات أخرى، لكن ألا ترى أن لايونز بدلا من أن يحدد أخذ يفرِّع ويشقق؟ فانزلق إلى هذا التداخل بين هذه المصطلحات ولم يصل إلى المنتهى.

معنى هذا أن التقسيم الثنائي السابق لجون لايونز تقسيم مبني على المعنى: (الوصف، الأداء)، أو هو بتعبير لايونز هو تفريق بين القول والفعل2؛ لأنه يرى أن كل قول هو فعل، الذي تخلى عنه أوستين في آخر حياته3، إلا أنه لم يتخل عن التمييز بين الوحدات الكلامية البيانية والوحدات البيانية غير الكلامية، بل اعتبر الوحدات الكلامية البيانية صنفا من صنوف الوحدات الكلامية الأدائية في آخر نسخة متوفرة لدينا لكتاب أوستن4.

فإذا كان أوستين حسب تصور لايونز5، قسم الوحدات الكلامية إلى بيانة وأدائية، والبيانية تستخدم لإصدار العبارات الخبرية، وليست كل البيانات الصادقة والكاذبة أوصافا، خلافا للأدائية التي يربد المحدث أو الكاتب بها عملا أو فعلا وليس مجرد الكلام 6. ليس كما في الحالات الأولى. غير أنه يلاحظ أن استثناء قائما في الحالة الأولى، وهو أكثر ليست البيانات: (الصادقة والكاذبة) أوصافا؛ معنى

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 192.

2 السابق: الموضع ذاته.

3 السابق: الموضع ذاته.

4 السابق: الموضع ذاته.

5 السابق: الموضع ذاته.

6 السابق، ص 192.

هذا أن هناك أنواعا أخرى لا تقع في الوحدات الأدائية ولا ينطبق عليها الصدق أو الكذب، ومن ثم عاد تارة أخرى وذكر أن الوحدات البيانية صنف من صنوف: (الوحدات الكلامية الأدائية)1.

غير أن أوستين يشير إلى أن: (الوحدات الكلامية) وليست الجمل هي التي تصف بالبيانية وغير البيانية، وإلى أدائية واضحة أو غير واضحة، وعندما يستخدم علماء اللغة مصطلح جملة دعائية، فهم يشيرون عادة إلى جمل مثل: أعد أن أدفع لك خمسة باوندات2.

قلت إن لايونز كانت تساوره الظنون حول التباينات الدقيقة حول ما يدل عليه مصطلح Speech acts، ولما كان يقصده أوستين. وقد أوردت ذلك صدر الحديث عن قراءة لايونز، ولما كان كما قلت لا يركن إلى القول النهائي والأخير له، وإنما إلى الباحثين؛ لأنه كان يعرف الفروق الدقيقة، وأشار إلى ذلك، وهو ما سماه بالمعنى التقني، غير أن هذا المعنى وإن كان معلوما، غير أنه من الناحية اللغوية يحتاج إلى إبانة؛ جعلته يخصص هذا الفصل لبيان رأيه حول هذه القضية، التي لم أر أحدا من الباحثين العرب أفرد لها دراسة، على الرغم من أن معضلتنا معضلتان.

وقد قاده هذا إلى أن: (الأفعال الكلامية) على الرغم من وضوح المعنى الفني لديه، إلا أنه يمكن أن يتقاطع مع مصطلح: (الأعمال اللغوية)، ولما كان الأمر كذلك، أخذ في تحديد المقصود به؛ أن أداء العمل الكلامي هو من إنتاج نقش كلام ذي صيغة معينة ومعنى محدد نوعا ما3. وهذا التوثيق أفادنا بشكل قاطع في تحديد اللبس الذي كان باديا في مخططه4. كما يشير من جهة أخرى إلى السبب الجوهري الذي كان يؤرق اللغويين، هل: (الأفعال الكلامية) يقصد بها اللغة المنطوقة أم للغة المكتوبة؟ وإذا كان لايونز أشار إلى أن المقصود بهما المعنيان معا، إلا أن هذا لديه كباحث لغوي يعرف تحديد المصطلحات؛ لأنه عند آخرين يمكن أن يحمل على الكلام المنطوق.

وهنا تتبدى إشكالية؛ إذا كانت: (الأفعال الكلامية) يقصد بها الكلام المنطوق، اللهجة، لا المستوى العالي من اللغة، وهنا يتبادر إلى الذهن الفروق الدقيقة بين المستويين؛ فيرى لايونز: أن معظم نتاجنا من الأعمال الكلامية ليست جملا، فبعضها ليس نحويا، وبعضها الآخر نحويا، إلا أنه قد حدث فيه حذف ... كما أن البعض الآخر ليس نحويا ولا غير نحوي، ومع ذلك فهناك بطبيعة الحال نوع آخر غير نحوي وغير مقبول بسبب شرود الذهن أو النسيان غير المتعمد أو عجز من نوع ما في الإخراج الحقيقي للعلامات اللغوية5.

ونلاحظ أنه لا يشير إلى التباين التركيبي أو النحوي، وإنما أشار إلى شرود الذهن أو النسيان غير المتعمد أو عجز من نوع ما في الإخراج ... وعلى هذا فقد أخرج القواعد، على الرغم من أنها تمثل فارقا جوهريا بين المستويين، إلا أن الذي يحتاج إلى وقفة، ما اعتبره لايونز غير نحوي بسبب شرود الذهن، أو النسيان أو عدم القدرة على التعبير.

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 192.

2 السابق،ص194.

3 السابق،ص 195.

4 السابق،ص 190.

5 السابق،ص 195.

ونستطيع أن نفهم أن: (الكلام) غير النحوي، حسب تصوره في الحديث اليومي، لا يمكن أن يحمل على: (النحو) بمفهومه عند النحاة، وإنما كما هو ظاهر؛ أن خللا ما بدا في الكلام، وسماه لايونز: (الكلام غير النحوي)، والنحو له مفهوم ينماز انميازا كليا من ذلك؛ فالنسيان وشرود الذهن والعجز عن الإخراج، لا تندرج بحال من الأحوال في غير النحوي؛ بدليل أن الناسي أو شارد الذهن يتكلم وكلامه يكون واضحا ومفهوما، إلا أنه يرتبط بالموقف، وإلا فلماذا عرف المتلقي أن هذا شارد الذهن؟ وكذلك الحال لمن يتعلم ناسيا ... أما الحالة الأخرى فتختلف اختلافا كليا. إذ في الحالتين السابقتين المتكلم يتكلم ويحتاج إلى من يذكره، أن كلامه هذا الذي يقوله ليس هو المطلوب، بدليل أنه مفهوم وليس مناسبا للسياق، أما في الحالة الثالثة فهو عجز من نوع ما في الإخراج الحقيقي للعلامات اللغوية، وهنا لم يستطع أن يبين عن مقصوده. فالتسوية بين الحالات ليس دقيقة وليست منصفة.

ويمكن أن تستنتج من: (الكلام النحوي والكلام غير النحوي)، وهو الحديث العادي؛ هو أن: (الأفعال الكلامية) على الرغم من استعمال الكلام الذي يدل بشكل أوليّ على الكلام المنطوق، الحديث اليومي، إلا أنه باعتباره لغويا كان يفهم ما يدل عليه مصطلح: (الأفعال الكلامية) في معناه التقني والفني؛ أنه يقصد به اللغة في معناها العام؛ أعني اللغة المكتوبة بشكل أولي، خاصة أنها ليس فيها من مشاكل تصاحب المنطوق لا المكتوب.

غير أن شيئا مهما في نهاية هذه القراءة لا بد من ذكره؛ أن لايونز إذا كان مقتنعا أن: (فعل الكلام) به لبس شديد، وأنه اقترح مصطلح: (فعل لغوي)، غير أنه لم يركن إليه إلا قليلا، ومن ثم عاد تارة أخرى، ورجَّح: (فعل الكلام)؛ لأنه قال: إن أوستين أضفى عليه معنى تقنيا، كما أن: (فعل الكلام) لا يمكن أن يغيب عن بالنا أبدا؛ أنه يشمل إنتاج كل من لغة الكتابة ولغة الكلام، شأنه في هذا شأن: (الوحدة الكلامية) من ناحية، والنقش والنص من ناحية أخرى1. سوى أن اللافت للنظر أن لايونز وضع هذا في صدر مناقشته، والسؤال: إذا كان لايونز قد وضع هذا التصور في البداية، فلماذا كل هذه القراءة؟

تبدو الإجابة في تضاعيف قراءته التي حاول أن يجلي جوانب دقيقة بين المصطلحات، وقد استدعاه هذا أن يذكر: (فعل الكلام، والوحدة اللغوية والجملة والتفوه والوحدة اللاكلامية والأفعال اللغوية)، وعلى الرغم مما أورده إلا أن ما لفت الانتباه، أنه رجَّح استعمال: (فعل كلامي، كلام)، لكن على الرغم من هذا التداخل إلا أنه حسم أمر مصطلح: (فعل كلامي وفعل لغوي) بادئ الأمر، وبقية المصطلحات أخذت منه مساحة على سطح القرطاس، ولهذا قلت أعلاه: إنه انزلق إلى بئر سحيق من المصطلحات، لم يستطع أن يخرج نفسه منه. وبدلا من أن يحدد مصطلحا بعينه انزلق إلى عدد من المصطلحات التي تؤدي المعنى ذاته، وما دامت تقوم بما يقوم به الآخر، فلماذا هذا العناء من التحليل؟ وتكمن الإجابة في أنها ملبسة على المختصين بله العاديين، ومن ثم تحتاج إلى جلاء، إلا أنه في النهاية ذكر مصطلحا واحدا: (فعل كلامي) ورجحه على: (فعل لغوي) الذي رآه أكثر دقة، على ما أوردت في أكثر من موضع.

وعلى الرغم من كثرة المصطلحات عند لايونز، إلا أنه يلاحظ أن لديه مصطلحين أساسيين، أحدهما: الأفعال الكلامية، وثانيهما: الأفعال اللغوية، وكلاهما راجح عنده، غير أن المصطلح الأول

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 189.

مضلل بوجه عام، سوى أن له معنى تقنيا، وهذا الذي دعاه إلى أن يستعمل المصطلح الثاني الأقل شهرة، وهو الأكثر قناعة به، ومن ثم استعمل مصطلحين أساسين، بالإضافة إلى مصطلحات أخرى، لكن فيما يتعلق بهذين المصطلحين جعل الأول منهما عنوانا لفصله، ولم يجعل الآخر، على الرغم من اقتناعه به؛ لأن الأول مضلل، أو حسب تعبير لايونز له معنى تقني، وهذا المعنى التقني هو الذي أخرج لايونز من الدائرة الضيقة إلى رحابة المصطلح الثاني، وعلى الرغم من ذلك لم يرق إلى المصطلح الأول الذي جعل له معنى تقنيا، وهذا مخرج، كما أنه جعله عنوانا لفصله، وعلى هذا يلاحظ أنه على الرغم من عدم اقتناعه بالأفعال الكلامية وتفضيله للأفعال اللغوية، إلا أنه في الواقع لم يستطع أن ينفِّذ ذلك وأن يسير فيه إلى نهاية الطريق، ولهذا قلت إن لايونز انزلق إلى بئر سحيق، لم يستطع أن يخرج منه. وهنا يجب التنويه إلى أن ما قام به لايونز لا أستطيع وصفه، فكيف بشرحه؟!

وعلى الرغم من تردد لايونز بين الأفعال الكلامية والأفعال اللغوية، إلا أن الراسخ عندي مصطلح الأفعال اللغوية لما أورده لايونز، ولما أوردته في مواضع منتثرة من البحث، ولهذا جعلت عنوان البحث: الأفعال اللغوية تحرير المصطلح. و إني بهذا لصادق أمين.

<u>5 / 0 : القوة اللا كلامية عند لايونز:</u>

<u>5 / 1 : رؤية لايونز للفعل الكلامي:</u>

إن القول فعل، إلا أن (للفعل say : يقول) معاني يمكن تمييزها، فهو يعني من ناحية: (ينطق) بصورة عامة، أو: (يؤدي عملا كلاميا) على نحو أكثر تقنية، فالقول حسب هذا المعنى للفعل say يقول، يتضمن ثلاثة أنواع مختلفة من العمل:

.فعل إنتاج النقش.

.فعل تكوين الجملة.

.فعل وضع تلك الجملة في سياق معين.

فالنطق بجملة في جميع الظروف الاعتيادية؛ يعني أداء فعل معقد تمتزج فيه هذه الأنواع الثلاثة من العمل، حيث يكون نتاجها إشارة لغوية ذات معنى واضحة المعالم1.

يرى لايونز. بناء على تصورات أوستين. أن القيام بتأكيد أو تقرير جملة خبرية، لا يعني أداء ذلك العمل بواسطة نوع معين من القوة اللا كلامية دون سواه، وبموجب رأى أوستين، تعد الوظيفة البيانية أو الوظيفة الوصيفة: (اعترض فيما مضى على الوصفية) للغة مجرد وظيفة من وظائفها، كما أننا نستخدم اللغة لطرح الأسئلة وإصدار الأوامر وإعطاء الوعود والتهديد والإهانة والتملق. وبطبيعة الحال تستخدم كذلك للقيام بكل الأفعال التي استخدم لها أوستين المصطلح الأدائي، مثل تعميد الطفل في العقيدة المسيحية، وإعطاء تعهد بالزواج وإصدار حكم 2.

<u>5 / 2 : الخبر والسؤال والأمر:</u>

لا بد أن نشير ابتداء إلى أن اللغات تهيء لمستخدميها وسائل للإدلاء بالخبر وطرح الأسئلة وإصدار الأوامر، غير أن اللغات ليست بواحدة في صوغ هذه الفروق في القوة اللا كلامية صياغة

---

1 جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق، ص 202.

2 السابق، ص 203.

نحوية، فتكون هذه الجملة حيادية، من حيث نوعها وصفية فعلها، فهذه الجمل التي لا تنتمي إلى الخبرية أو التقريرية ولا الشرطية ولا الأمرية. ومع ذلك فلا بد أن يكون واضحا أننا نعرف العمل اللا كلامي الذي يجري إنجازه عند نطق إحدى هذه الجمل، ولا يتضح هذا عن طريق السياق فقط، بل كذلك عن طريق التركيب العروضي المضاف إلى محصلة الرمز الكلامي1.

وظاهر أنه لا يقصد الكلام العادي، على ما أوردناه أعلاه، بل اللغة الفصحى، ويؤكد ذلك أنه أضاف الجانب العروضي، وهذا لا يكون إلا في الفصحى. على أن العناصر الصوتية الأخرى تكون في المستويين اللغويين، فقد أعطى مثالا: الباب المفتوح، وقال غير خبرية، وإنما محايدة من حيث نوع الجملة، فعندئذ سيكون بالإمكان نطق هذه الجملة: الباب مفتوح مثلا بتنغيم نازل عند الإدلاء بخبر، وبتنغيم صاعد عند طرح سؤال ... واللغات عديدة ..(تصيغ) الفوارق في نوع الجملة والصيغة صياغة نحوية، كما أن هناك علاقة جوهرية بين نوع الجملة والصيغة من ناحية، وبين ما نسميه الآن القوة اللا كلامية من ناحية أخرى، ولكن ما طبيعة العلاقة؟ وكيف يختلف السؤال والأمر فيما بينها دلاليا2. فضلا أن سوسير يرى أن الجلمة هي النموذج المثالي من التركيب3.

الخبر هو التعبير عن موقف معين تجاه قضية ما ... فعندما يعبر المرء عن قضية معينة يصبح ملزما بها، ولا يعني هذا عليه معرفة صدق هذه القضية أو يعتقد بصدقها، بل يعني أن الجملة الخبرية اللاحقة، يجب أن تكون متوافقة على الاعتقاد بصدق هذه القضية4. أنها تمطر ولكن لا أعتقد بهذا، باعتبارها جملة خبرية، وعند الإدلاء بجملة خبرية يشعر المتحدث أنه يشعر بنقص الالتزام المعنى5.

معنى هذا أن الخبر لا بد أن يحمل معنى محددا بشكل واضح، لا كما في النماذج السابقة، وكذلك في الاستفهام مثل: هل الباب مفتوح؟ سؤال لا أريد أن أسأله جملة مقبولة تماما، ففي هذه الحالة يطرح سؤالا ولا يسأل. ليس إذن طرح السؤال مجرد التعبير عن موقف عدم الالتزام بقضية ما، أي طرح قضية على هيئة سؤال، إنما الغاية من طرحه أيضا أن يوضح المرء للشخص المشترك معه في الحديث على نحو عروضي أو شبه لغوي6.

وبعد هذه الماحظات المتناثرة في ثنايا البحث، ألم تقتنع معي بأنه على الرغم من أن مكافئ: (الأفعال الكلامية) دال على معنيين متمايزين أو بتعبير آخر؛ يدل على مرحلتين زمانيتين متباينتين من حيث معنى المصطلح وما يحمله من معنى، ويدل على مرحلة أخرى؛ مرحلة تختلف اختلافا كليا في التعامل مع المادة اللغوية، وهو اختلاف جوهري. أعود تارة أخرى للحديث عما يدل عليه المصطلح، وهما معنيان مختلفان بناء على ما أوردته موجزا، أحدهما: أنه كان يقصد به في البداية اللغة المنطوقة أو الكلام المنطوق أو ما ترجمه الماشطة بالتفوه، على ما أوردته سابقا، وثانيهما: يقصد به المعنى التقني،

---

1 ينظر: جون لايونز: اللغة والمعنى والسياق،ص 208.

2 السابق،ص 209.

3 بوجراند: إعادة النظر في نحو النص،ص 1525.

4 السابق: الموضع ذاته.

5 السابق: الموضع ذاته.

6 السابق،ص210.

حسب تعبير لايونز. وبناء على هذه الملاحظة نستطيع أن نستنتج أن هذا المصطلح بناء على الماحظتين السابقتين، مرَّ بمرحلتين تطور خلالهما، أنه في مرحلة البحث في الكلام المنطوق كان المعنى محددا، غير أنه بمرور الزمن و اتساع رقعة الدراسات اللسانية؛ بحيث تشمل اللغة المنطوقة والمكتوبة، بدت إشكالية ظاهرة؛ أن المصطلح حُمِّل بمعنى جديد لم يكن موجودا، وهو الذي عناه لايونز بالمعنى التقني، كما يلاحظ أن لايونز لم يطلق على هذا المصطلح المعنى التقني، إلا في مرحلته الأخيرة، وأعني بها تلك المرحلة التي شملت اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، ولم تشمل المرحلة الأولى. ويبدو أن هذا المأزق الذي تعرض له لايونز؛ في أن المصطلح حمل بمعنى جديد خلافا لما كان عليه في المرحلة السابقة، ولهذا لم يجد أمامه سوى أنه ذو معنى تقني، خاصة أنه لا يستطيع أن يغير شيئا في المصطلح إلا من الناحية الفنية، أو من حيث المعنى، فأبقى على المصطلح، أو بتعبير دقيق أبقى الباحثون المصطلح كما هو، وحمل بمعنى جديد، وهو ما سماه لايونز بالمعنى التقني،

وفي الختام، ألا ترى أن دابر هذا الأمر غير مقطوع به بين الباحثين حتى يوم الناس هذا؟ ولهذا تتبعتهم من لدن الشريف حتى نحلة والمبخوت ورفاقهم في تحرير هذا المصطلح. ولم ألُ فيما أوردت وذكرت وفصلت إلا مخلصا ومن الناصحين خدمة للغتنا التي هي خدمة لديننا.

****

المراجع

1. آن ريبول:

. نظرية الأعمال اللغوية، ترجمة شكري المبخوت، ضمن: (القاموس الموسوعي للتداولية)، ص ص46: 82، المركزالوطني للترجمة، تونس، 2010.

2. أشرف عبد البديع: (دكتور):

. دلالة التراكيب عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، مخطوطة، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، 1999.

3. أوستين:

. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 1991.

4. الباجي أبو الوليد: (ت 403 هـ : 474هـ):

. المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، الطبعة الثالثة، 2001.

5. باكلا: محمد حسن باكلا (وآخرون): (دكتور):

. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1983.

6. بالمر:

. علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، وزارة التعليم العالي، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، 1985.

7. الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر عبد الرحم محمد الجرجاني (ت 471 هـ):

. الجمل في النحو، شرح وتحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العملية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1990.

8. ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني (392 هـ):

. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 1986،

9. جون لاينز:

. اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق عبد الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الإعلام، بغداد، 1987.

10. خالد ميلاد: (دكتور):

. الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، كلية الآداب، المؤسسة العربية للتوزيع (تونس)، الطبعة الأولى، 2001.

11. خديجة بوخشة: (دكتور):

. محاضرات في اللسانيات التداولية، د.ت، د.ط.

12. روبرت دي بوجر اند:

. إعادة النظر في نحو النص، ترجمة: د. عبد المنعم السيد، د. أشرف عبد البديع، ص ص 1525 : 1551، المجلد الرابع، المؤتمر الدولي الخامس بعنوان: إسهام العلماء المسلمين في الحضارة العالمية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا: من8 : 10 مارس ، 2009.

13. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ):

. المفصل في علم العربية، دراسة وتحقيق د. فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، البتراء، الأردن، الطبعة الأولى، 2004.

14. سعيد بحيري: (دكتور):

. اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، مجلة علامات في النقد، ج 38، ع 10، ص ص 133 : 222، رمضان، ديسمبر، 1421، 2000.

15. سهل ليلى: (دكتور):

. سهل ليلي: نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، العدد 31، سبتمبر2012.

16. صلاح إسماعيل: (دكتور):

. التحليل اللغوي عند مدسة أكسفورد، دار التنوير، لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

17. الطبطبائي: طالب سيد هاشم: (دكتور):

. نظرية الأفعال الكامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العربن مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994.

18. كلاوس برينكر:

. التحليل اللغوي للنص مدخل إلى دراسة المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة د. سعيد بحيري، نشرة مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 2010.

19. محمد صلاح الدين الشريف: (دكتور):

. تقديم عام للاتجاه البراغماتي، ضمن كتاب: أهم المدارس اللغوية، تونس، 1986.

20 . محمد العبد: (دكتور):

. نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل، م 2، ع 4، ص ص 12 : 52، 2001، شهر يناير، مارس.

21. محمد محمد يونس: (دكتور):

. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت: (لبنان)، الطبعة الأولى، 2004.

22. محمود أحمد نحلة: (دكتور):

. نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، ص ص 57 : 118، ضمن كتاب: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002.

23. مسعود صحراوي: (دكتور):

. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.

24. نعمان بوقرة: (دكتور):

. ملامح التفكير البياني عند الأصوليين، ص ص 105: 136، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشرة، العدد 54، 2002.

****

الفصل الثالث

من أشكال الربط في المساجلات الشعرية الإلكترونية•

من مساهمة حماسة ومصلوح

• لم أشأ أن أترجم مصطلح Electronic بـ(كُهيربي) كما اقترحه مجموعة من الباحثين، خاصة أنها ترجمة حرفية وعصية وغير مستعملة. وقد رأيت أن أبقي على الإلكتروني؛ لأنه أكثر انتشارا واستعمالا من الأول، والاستعمال والصيرورة هي الحكم الذي ترضى حكومته؛ وقد تواصلت مع د. محي الدين محسب (رحمه الله وغفر لنا وله) ود. سعيد بحيري على (البَّراق)، فاقترحا . بعد نقاش ودون لقاء . الإلكتروني. والإلكتروني يقابل الورقي في التصور المفهومي؛ فهنالك الصحف الإلكترونية والمعاجم الإلكترونية واللغة الإلكترونية والصحافة الإلكترونية والبريد الإلكتروني والتجارة الإلكترونية ... إلخ في مقابل الصحف الورقية والمعاجم الورقية واللغة الورقية؛ أي التقليدية / الكلاسيكية والبريد التقليدي والتجارة التقليدية. وعلى هذا فالإلكتروني استعمال وسائل تكنولوجية حديثة (غير تقليدية) لما كان سائدا.

وقد بحثت طويلا عن مصطلح إلكتروني؛ فوجدته أُبتكر ليدل على الحاسوب (العقل الإلكتروني)؛ إذ يقوم بإجراء العمليات الحسابية الدقية بأسرع وقت ممكن. كما تتحول فيه المادة الورقية ويخزنها على أقراص مدمجة. ويبدو أن هذه الفكرة جاءت في مرحلة متأخرة، ثم تطورت من الإلكترونية إلى الرقمية، خاصة أن تخزين المعلومات يأتي من خلال تخزين المؤلفات المكتوبة، ويتعامل معها رقميا، ولهذا يسمى الرقمي (الإلكتروني)، أما صورة التخزين الثانية فتأتي من خلال تحويل الصورة والصوت من خلال التموّج الصوتي، وهو يختلف كليا عن الأول. وعلى هذا يأتي تخزين الكتاب الإلكتروني والفيديوهات والصور على وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها.

إهداء: إلى عزيز العربية محمد حماسة عبد اللطيف في جوار رب غفور ...

××××

1 / 0 : مقدمة تأسيسية:

1 / 1 : ماهية المساجلة:

(1)

ازدهرت المساجلات الشعرية وتنوعت أدواتها ووسائلها وأشكالها على مر العصور؛ وفي العقد الأخير توجه الاهتمام إلى وسائل التواصل الاجتماعي، فأفاد منها الشعراء وغيرهم في نشر أفكارهم ومعتقداتهم وآرائهم وثقافتهم. وهنالك منهم من يرى إن هي إلا مديح وإطراء، ولهذا فهي مفرغة من المضمون؛ إذ يحاول بعضهم بيان قدرته وتفوقه على أقر انه،

وقد وجدتْ في الآونة الأخيرة اهتماما بهذا الفن من قبل بعض الجامعات العربية؛ فقد عُقدت له الندوات وخصصت له الجو ائز، كما أن المنتديات الأدبية مثل سوق عكاظ بدأ يخصص له جانبا من الجو ائز، كما وجدت فيديوهات لمساجلات عدة بالفصحى والعامية على الشبكة الدولية. على أية حال، فإن هذا الفن يعكس وثاقة العلاقة بين صديقين أو أكثر.

ومع إنشاء وسائل التواصل الاجتماعي بدأت المساجلات تأخذ شكلا ينماز من سابقتها، فالشعراء ينشرون على الواجهة، ثم يتدخل آخرون، على نحو ما حدث مع حماسة ومصلوح في مادة الدراسة؛ فقد تدخل التلاميذ والمريدون والأتباع، ويذكرنا هذا بما دار بين أبي تمام وديك الجن، حين تدخل آخرون بالمساجلة معهما. وما حدث بين شوقي وحافظ وغيرهم في العصر الحديث، ليس منا ببعيد.

(2)

تعرف المساجلات الشعرية بأنها بيت أو أكثر بين شاعرين من رواة الشعر وحفظته؛ بحيث يلقي الحَكَمُ بيتا من الشعر، وعلى أحدهما أن يبدأ بالروي الذي انتهى إليه الحكم. ولا يلقي الحكم بالا إلى جودة البيت، المهم فيه أن يكون موزونا مقفى، حسب تعريف قدامة بن جعفر، وألا يكون من الشعر العامي. وهكذا حتى يعجز أحد الطرفين عن إكمال المسابقة. وهي نوعية تنماز من شعر النقائض من ناحية، وشعر الفخر من ناحية أخرى. ولها شر ائط (ينظر: 4/ 1 من البحث). وقد أخذت أشاكلا مختلفة عبر العصور حين كان يتراسل الشعراء فيما بينهم، فيرد الآخر على الأول ويتدخل آخرون، وهكذا يلاحظ تطورا في طر ائقها.

ثم تطورت إلى ما نحن عليه في المساجلات الإلكترونية محل البحث. وقد أدت طبيعة (الواجهة) إلى استحداث وسائل وآليات جديدة لم تكن من قبل (ينظر: 3 / 2 من البحث). فإذا كان حماسة قد كتب المساجلة الأولى، ولم يجد آذانا صاغية من الأصدقاء؛ أو بمعنى آخر لم يجد ردا كما هي الحال هنا، هل كان بإمكانه أن يكتب مطارحات أخرى؟ وبناء عليه، هل كان بإمكاننا أن نعدها مساجلة على ما ذهبنا إليه؟ الإجابة بالسلب . في هذا السياق . منعدمة، والراجح أن تكون الإجابة بالإيجاب،خاصة أننا إزاء شاعرين، فضلا عما يتمتعان به من مكانة علمية واجتماعية؛ وقد بدا هذا جليا في التعليقات.

والشعر مادة الدراسة ليس مسابقة أو مبارزة أو شعرا محفوظا بل مطارحات، وهي هنا مكونة من شخصين أساسيين: (حماسة ومصلوح) وشخوص أخرى تقع الموقعين. وعلى هذا يمكن اعتبار حماسة فريقا ومصلوح فريقا ثانيا والآخرين فريقا ثالثا، وقد دعاني إلى هذه القسمة الثلاثية؛ أني وجدت مساجلات بينهما، والفريق الآخر لا يقع ضمن أحدهما و إنما يقع في إطارهما، خاصة أن ما ورد من مطارحات يخصهما.

كما أنه إذا كانت المساجلات القديمة لا بد أن يأتي الشاعر بالروي على آخر بيت ورد عند الأول، لكن المساجلات هنا ليست بمعناها القديم، بل يطرح الشاعر قصيدة فنجد ردا بمساجلة، وإن كانوا يتلزمون البحر العروضي وحرف الروي، خلافا للمطارحات القديمة التي تعتمد على الحفظ في المسابقات الشعرية، وعلى البيت الواحد والروي الواحد وعلى أغراض عدة، بل في مفهومها الواسع، خاصة أن الشعراء في مادة الدراسة لا يعتمدون على محفوظ الشعر، بل على ما تجود به قريحتهم، كما أنهم ليسوا في مسابقة بالمفهوم الضيق، ولا يجتمعون في صعيد واحد، و إنما يستخدمون وسيلة تكنولوجية، لم تتح لمن كان قبلهم، فهم يلتقون رغم بعد المكان، وعلى هذا يمكن اعتبارها: مطارحات أو مساجلات أو مبادلات أو غزليات ... إلخ.كما أن ثمة سمة ظاهرة مستعلنة لقارئ هذه المطارحات؛أنه يمكن وصفها بأشعار الحكمة، انظر لترى فيها من محاولة الكشف عن مكنون النفس، والبوح واستعادة ذكريات الماضي بكل ما فيها، وقد حوت هذه الموضوعات أشعارا تشتمل على حكم حتى أنها تمثل سمة لهذه المساجلات.

<u>1 / 2 : صياغة العنوان:</u>

حرت في إيراد العنوان على صيغة مقبولة؛ وبعد إمعان نظر وطول تأمل، رأيت أن يكون(من أشكال الربط في المساجلات الشعرية الإلكترونية). وصدَّرت العنوان بـ (من) التبعيضية؛ إذ إن المساجلات لا تشتمل على كل أشكال الربط بنوعيه، كما أني لن أتناول التفاصيل الدقيقة المتعلقة بأشكال الربط، بل سأقتصر على الأشكال التي تمثل خطوطا عامة فيها. وأما الجهة الأخرى من العنوان، فأعني بها العنوان الفرعي (من مساهمة حماسة ومصلوح)، ولم أشأ أن يكون عاما؛ لأنه يعني مساهمات حماسة ورفاقة من ناحية، خاصة أن حماسة له مساجلات مع عدد كبير من الأصدقاء والتلاميذ والمريدين، على ما سيرد في ثنايا البحث، كما أن البحث سيركز على جانب من مساجلات حماسة ومصلوح من ناحية أخرى. ذكرت (من) التبعيضية كذلك في صدر العنوان الفرعي؛ لأن المساجلات بين حماسة ومصلوح تعددت تبعا للمقامات والأحداث، على ما يظهره البحث، ولهذا فهي كثيرة ومتنوعة. كما أن هذا البحث أول بحث يتناول المساجلات الإلكترونية، ومن ثم فمن أهداف هذا العنوان أن يركز العنوان على هذا الفن. وإذا كان الأول هدفا عاما، فإن العنوان الفرعي يعني أنه لا يستطيع أن يركز على كل المساجلات؛ لأنها تحتاج إلى دراسات مستفيضة، وقد آثرت الهدف الأول فاخترت جانبا من مساجلات حماسة ومصلوح، ولهذا جعلت العنوان الرئيس كل المساجلات الإلكترونية، وهذا ليس دقيقا ولا صحيحا، إذ يحتاج هذا إلى تتبع ما هو مكتوب على الواجهة، فجاء العنوان الفرعي تخصيصا للعنوان الرئيس، وهو: من مساهمة حماسة ومصلوح. غير أنه على هذه

الصيغة عنوان واسع، خاصة أن لحماسة مساجلات متنوعة، فضلا عن المساجلات الأخرى على موقع الأستاذ الدكتور محمد حماسة التي لم تذكر في مادة الدراسة1.

جاء العنوان عنوانين، الأول: عام، والثاني: خاص، ولما كانت المساجلات على الواجهة جزءا؛ بمعنى أن ما قام به حماسة ومصلوح يمثل جزءا لا كلا؛ لأن هنالك مساجلات أخرى لم نشر إليها؛ لأنها. كما قلت . تحتاج إلى تتبع وفحص لا مجال له هنا. ولهذا جعلت العنوان الفرعي كاشفا للعنوان الرئيس، وهو: من مساهمة حماسة ومصلوح؛ أي أن العنوان الفرعي سيركز على بعض مساجلات حماسة ومصلوح على الواجهة في فترة زمنية محددة.

<u>2 / 0 : وسائل التواصل الاجتماعي2 ودور حماسة في المساجلات الإلكترونية والبحث اللغوي1:</u>

---

1 ttps://www.h amassa.com

2 يوجد الكثير من أنواع مواقع التواصل الاجتماعي، وهي: مواقع تختص في تبادل وإيجاد المعلومات، وفي الاتصالات، ومن أمثلتها: المدونات الجزئية، والمدونات بلوكس. مواقع تختص في القضايا المهمّة، وجمع التبرعات، ومن أمثلتها موقع الويكي. مواقع الفعاليات،مثال موقع تويتر، وموقع .Meetup مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، التي تستعمل في التواصل المباشر بين المستخدمين، والبحث عن الأصدقاء، ومعرفة كل شيء جديد في حياة المستخدمين، ويقوم المستخدمون بمشاركة فعالياتهم واهتماماتهم في هذه المواقع، ومن أمثلتها: موقع الفيسبوك، وموقع هاي فايف. مواقع تجميع المعلومات. مواقع مشاركة الاهتمامات، ومن أمثلتها: موقع .Good Reads مواقع بناء فرق العمل، والتعاون، ومن أمثلتها: موقع الملاحة الاجتماعية، مثال: موقع .Waze موقع الويكي، وهو موقع خاص بالفرد وأصدقائه. مواقع الأخبار الاجتماعية، مثال .New svine :مواقع المرجعيات، فعند قيام تصفح الإنترنت وحفظ الموقع الخاص بك، ويمكنك مشاركة الآخرين. مواقع تحرير وإدارة النصوص، مثال: موقع بوكس، وجوجل دوكس. مواقع الوسائط المتعددة، ومن أمثلتها: مواقع البث الحي، ومشاركة الفيديو، مثال: فيديو شارنك. مواقع الفن والتصوير، مثال موقع .Flickr مواقع مشاركة الموسيقى، والمقاطع الصوتية. مواقع بث الفيديو، والتخزين، مثال: موقع اليوتيوب. مواقع الاستعراض والرأي، ومن أمثلتها: مواقع الأجوبة والأسئلة الاجتماعية. مواقع استعراض السلع. مواقع الاجتماعية والترفيهية، ومن أمثلتها: مواقع مشاركة الألعاب الاجتماعية. مواقع العالم الافتراضي. ومن أشهر مواقع التواصل الاجتماعي الواجهة (الفيسبوك)، التغريدة (تويتر)، الفايبر، فليكر، تمبلر، بلارك، أوركوت، ما سبيس، ميكسي، والإيمو وغيرها. ويلاحظ أن معرفتنا واستخدامنا لهذه التطبيقات والمواقع محدودة؛ لأنها إما تعتمد على لغة واحدة أو على عدد من اللغات ليست العربية من بينها، وقد تكون هنالك أسباب أخرى، وإذا حاولنا أن نستخلص النسبة المئوية التي نستخدمها من هذه التطبيقات فستكون قليلة جدا؛ وهذا يشير إلى الأمية التكنولوجية المتفشية ومعرفتنا المتواضعة بما هو موجود على الشبكة الدولية للمعلومات.

حين ذكرت مواقع التواصل الاجتماعي كان الأمر يحتاج إلى إيضاح، خاصة أن التطبيقات الأكثر انتشارا في العالم العربي، هي: الواجهة والبراق والتغريدة والفايبر والإيمو والإسكاي بي وبعض التطبيقات الأخرى، وعلى هذا فإن على التطبيقات التي نستعملها،إن هي إلا النذر اليسير مما هو وارد أعلاه. والمعتمد في هذه الدراسة هي الوسائل والمواقع الأكثر تداولا بين المستخدمين في العالم العربي. =

2 / 1 : وسائل التواصل الاجتماعي: آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر :

ظهرت الشبكة العنكبوتية في النصف الثاني من القرن الماضي، ثم تطورت تطورا متلاحقا إلى أن ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي في أو ائل الألفية الثالثة. وقد نتج عن قلة التكلفة لهذه الوسائل. كما أراد لها مبتكروها . أن صارت في متناول الجميع تقريبا، حيث استخدمتها طبقات اجتماعية وثقافية متنوعة، وقد انعكس كل ذلك على استعمال اللغة. وفتحت آفاقا جديدة في البحث اللغوي المعاصر؛ فتنوعت المداخل التي استعملت اللغة الإلكترونية.

= كما حرت في اعتبار (قناتك): اليوتيوب، موقعا اجتماعيا أم لا، إلا أني حين بحث وجدتها تندرج في إطار هذه المنظومة، على ذلك النحو الذي أظهرته في صدر الحاشية. ومن ثم اقتصرت على مو اقع التواصل الاجتماعي، وإن كان مفهومها في العالم العربي مبتورا، ومن هنا لزم التنويه. كما أني بحثت عن ترجمة (You Tube) فوجدته بمعنى الأنبوب، وهي ترجمة حرفية / معجمية، و انتقل الاستعمال إلى المعنى الاصطلاحي (قناتك)، ويبدو أن الذين أنشأوا هذا التطبيق كانوا يقصدونه قصدا، فلم يسموه بـ(القناة) بل (قناتك)، وفي ذلك إشارة إلى ما هم قادمون عليه؛ أن ينشئ كل من يرغب قناة له، ومن هنا لم يجدوا إلا مصطلح (قناتك)؛ أي أن تبث عليها ما يعن لك من أفكار جديدة ومفيدة. إذن نحن الآن أمام مصطلحين، الأول: الترجمة والثاني: التعريب، وكلهما شائع، غير أن شيوع التعريب لا يقارن بشيوع الترجمة، وعلى الرغم من أن الترجمة (قناتك) أقل انتشارا، إلا أن سأتحول إليها لتثبيت وتدعيم المقترح العربي (قناتك) وهو دال، وهو مصطلح يشتمل على ما لم يشتمل عليه المصطلح المعرب (اليوتيوب) ومحتوى الموقع يتنوع بين الأفلام والموسيقى والتلفاز، وكذلك الأفلام التي ينتجها الهواة في قنواتهم الخاصة، ومن كثرة الفيديوهات و انتشار القنوات على (قناتك)، شاع و انتشر مصطلح (اليوتيوبر)، وهو من امتهن اليوتوب وجعله مهنة وحرفة له. وبعد انتشار الإعلانات على (قناتك)، زادت القنوات نتيجة للأموال التي يدفعها الموقع لليوتيوبر. لم أشر إلى المو اقع التي تناولت أسماء هذه المو اقع والتطبيقات على الشبكة الدولية؛ لأنها أكثر من تحصى، ومن شاء فليرجع إليها على الشبكة وربما يجد أكثر مما أوردت. وقد جاءت إشارتي على سنة الاختصار في الحاشية.

1 . تجدر الإشارة إلى أني كنت قد اقترحت في بحث سابق مكافئين عربيين؛ فتبنيت للفيسبوك (الواجهة)، وهي ترجمة مقترحة من قبل د. سعد مصلوح على حسابه على الواجهة، أما الو اتساب فقد اقترحت له (البَرَّاق)، ينظر: مستويات العربية المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي،ص 94: 99. ويلاحظ أن حماسة ومصلوحا والمريدين والتلاميذ استعملوا مصطلح الإنترنت والفيسبوك، على ما استعمله أحمد كمال حين عودة حماسة إلى الواجهة تارة أخرى، فاستقبله بقصيدة يقول في مطلع: قد أشرق (الفيس) وازدادت فضائله (8 ديسمبر 2013)، وقد شاركها د. سعد مصلوح. وقد استعمله حماسة كذلك حين قال في بداية عودته الأخرى إلى الواجهة: حسابه في 23 . 12 . 2013: الأصدقاء الأعزاء. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هأنذا أعود إليكم مرة أخرى عبر صفحات الفيس بوك بعد غيبة سببها الأمية التكنولوجية. واستعملها د. سعيد شوارب في سياق آخر، حين قال: أستدعي قصيدتي "مر ايا " لتكون مساجلة من نوع جديد بعد أن غاب عن الفيسبوك(حماسة)، وهو أعز أطر افها؛ ليظل يملأ الدنيا ويشغل الناس.على الر ابط:

https://www.hamassa.com/2016/03/11/%d9%85%d8%b1%d8%a7%d9%8a%d8%a7-%d8%b4%d8%b9%d8%b1-%d8%af-%d8%b3%d8%b9%d9%8a%d8%af-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%a8-%d9%85%d9%8a%d9%84%d8%a7%d8%af-/%d9%86%d9%88%d8%b9-%d8%ac%d8%af%d9%8a%d8%af-%d9%85

وقد فتحت اللسانيات الإلكترونية مجالات للبحث في مستويات العربية المعاصرة ليس على الواجهة فحسب، بل على وسائل التواصل الاجتماعي والمو اقع الإلكترونية والمدونات وغيرها، كما أن ثمة لسانيات المدونات، وهو مجال بكر لا يزال يحتاج إلى تكاتف الجهود لتناوله. ولا يخفى على المتتبع لوسائل التواصل الاجتماعي بله الباحثين اتساع رقعتها ومدى الكم الذي يكتب في كل لحظة. وقد كشفت الكتابة على وسائل التواصل الاجتماعي حالة التردي التعليمية، التي أدت إلى تدني المستوى الكتابي، فضلا عن شيوع اللهجات المحلية، واستعمال الرموز والاختصارات الضارة باللغة، التي تتفاوت حسب المشاركين،كل هذا يحفز الباحثين إلى أن يتناولوا ظاهرة الأخطاء الإملائية والنحوية والتركيبية ... ومحاولة كشف النقاب عن الأسباب لوضع الحلول. ويحتاج هذا الأمر إلى تفصيل موسع ليس مجاله هنا. كما أن لغة الإعلان شغلت حيزا مرموقا في كل حساب تقريبا على وسائل التواصل، خاصة أن كثيرا من القنوات الفضائية ومحطات الراديو تبث على وسائل التواصل الاجتماعي، مما يجعل البحث في لغة الإعلان في وسائل التواصل الاجتماعي تشمل الإعلام المقروء والمسموع معا. كما أن المقررات الإلكترونية سواء للمرحلة ما قبل الجامعة أم المقررات الإلكترونية الجامعية تدخل في هذا الإطار. وكذلك تخزين المؤلفات العلمية والتعليمية، ومنها كذلك دراسة الظواهر الفنية في الشعر، كما في المساجلات الشعرية، ودراسة المعاجم الإلكترونية وآلية بنائها. هذه الموضوعات وغيرها تحتاج إلى تكاتف الجهود للقيام بها. كما أن الحديث عن مثل هذه الموضوعات في البحث العلمي قبل عقد من الزمان أو يزيد، لم يكن ضربا من الخيال، بل كان في حكم الحديث عن الميتافيزيقا.

تجدر الإشارة إلى أن المساجلات الإلكترونية، تحتاج إلى دراسة تأصيلية حول: مفهومها وأهدافها والمشاركين فيها ومعالجة ذلك في ضوء دراسة لغوية اجتماعية أو دراسة أدبية نقدية... إلخ، خاصة أني لم أجد أحدا تنبه إلى معالجتها. وهذه الدراسة لا تدعي أنها تتصدى لمثل هذا العمل، و إنما تركز على بعض أشكال الربط في عيِّنة من هذا الشعر. وإذا كان هذا البحث مخصصا لحماسة أصالة، فإنه ممن له فضل في إحيائه على (الواجهة) إن لم يكن هو الأول أو الأبرز. ويحتاج هذا الأمر لإثباته إلى تتبع الظاهرة على منصات التواصل الاجتماعي.

<u>2 / 2 : حماسة والمساجلات الإلكترونية:</u>

لم يشر باحث من الباحثين إلى دور حماسة في شعر المساجلات وتميزه؛ إلا إشارة د. سعيد شوارب .بعد وفاته . التي أشرت إليها في سياق آخر من البحث؛ لأن المجالات اللغوية طاغية عنده. وهذه الملاحظة تشير إلى أن حماسة الشاعر لم ينل حظا موفورا من الدراسة والمثاقفة؛ إذ ثمة مناطق كثيرة لا تزال بكرا ومتوارية بالحجاب عنده. كما أن الدرسات التي أقيمت حوله ليست على المستوى الذي أعطاه للعربية. وقد قال حين صدر كتاب تذكاري يحمل اسمه: ليس لي من هذا الكتاب إلا الاسم. ويبدو أنه كان يستشعر أن ما قدمه، وما أكثره! يحتاج إلى أن يقف عنده الباحثون لفحصه وتمحيصه. وأن ما قُدِّم في ذلك الكتاب لا يرتبط به أصالة. ويبدو أن هذه الملاحظة قد تنبه إليها أحد الباحثين،فقال لي في تلك الليلة التي توفي فيها: كنت في جلسة مع د.حماسة منذ ساعتين، ونريد أن نصدر كتابا تذكاريا عنه فو افقت على الفور، غير أنه استدرك قائلا: البحث لا بد أن يكون عن حماسة أصالة، أو بمعنى آخر؛ لا بد أن يتناول جانبا علميا عنده وما أكثرها! وعلى هذا فالكتاب التذكاري الذي صدر أخيرا بعنوان:

(الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف عطاء بلا حدود) بعد وفاته، أحسب أنه لو كان بيننا اليوم لكان به فرحا مسرورا. على الرغم من أني لم اطلع عليه ولم أعرف محتواه العلمي.

وبناء على هذا الاستكتاب أخذت أقلب الأمور وفي تقليبها إزكاء بإنضاجها؛ إذ كنت أتابع ما يكتبه على حسابه، وحاولت أن أجد شيئا مغايرا عما يقدمه الباحثون، خاصة أنهم سيكتبون عن مسيرته و إنتاجه وتوجهه العلمي الذي خدم به العربية. وقد لفتت نظري تلك المساجلات التي يعد حماسة فارسا من فرسانها على الواجهة، فر أيت أن أتناول بعضا منها. ويكفي هذا البحث أن يلفت نظر الباحثين، وأن يوجههم إلى منطقة بكر في فضاءات حماسة الواسعة والمترامية الأطراف.

اشترك حماسة في (الواجهة) في فترة متأخرة (2013)•، ونظرا لطبيعة شخصيته غلب عليه شعر المساجلات؛ إذ كان له شأن مع عدد كبير من الأصدقاء، منهم د. محمد عبد المطلب، ود. سعد مصلوح ود. أحمد درويش ود. سعيد شوارب والشاعرة اللبنانية هدى ميقاتي والإعلامية اللبنانية مي ميقاتي وبعض التلاميذ والمريدين، الذين سترد أسماؤهم بفضل بيان في ثنايا المساجلات محل البحث.

وبناء عليه، فالاهتمام بالمساجلات الشعرية يحتاج إلى دراسة موسعة؛ لبيان دور حماسة في إحيائه على الواجهة، كما يمكن أن يعالج تداوليا في ضوء دراسة علمية في ضوء ما كتبه وما ورد من ردود وتعليقات ثرية، يمكن الإفادة منها بشكل من الأشكال. ولما كان هذا المجال واسعا؛ أعني فن المساجلات، فإنني سأقتصر على بعضها في هذا البحث؛ أعني عناصر الربط في بعضها، تاركا المعالجات الأخرى إلى بحوث قادمة يقوم بها آخرون، ويكفي هذا البحث الإشارة إلى هذه الدراسات فيما يتعلق بحماسة. وإذا كان قد حاول أن يربط بين النحو والشعر، فإنه كان شاعرا مطبوعا. يربط في جل دراساته بين النحو الشعر والنحو والدلالة وتحليل النصوص، و أنا هنا لا أركز على دواوينه المطبوعة، بل أتوجه تلقاء بعض شعر المساجلات المنشور على حسابه على الواجهة بينه وبين مصلوح.

• تعد الفترة التي اشترك فيها حماسة في الواجهة (الفيسبوك) حسب علمي . ابتداء من 23 نوفمبر، 2013 حتى وفاته (30 . 12 . 2015) الفترة الفعلية التي نشر فيها تلك المساجلات. وتجدر الإشارة إلى أنه قد اشترك قبل تلك الفترة، إلا أنه على ما يبدو لم تكن له مشاركة فعلية من المساجلات؛ لأنه لم يذكر عنها شيئا، إلا أنه قال على حسابه في 23 . 12. 2013: الأصدقاء الأعزاء . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هأنذا أعود إليكم مرة أخرى عبر صفحات الفيس بوك بعد غيبة سببها الأمية التكنولوجية، وعندما حاولت استعادة صفحتي أو حسابي كما تسمونه كانوا يعرضون عليّ وجوها يطلبون مني تعرف أسماء أصحابها، ومن هنا وقفت أمام قبول صداقة من لا أتذكر وجوههم، واعتذار مني لكل (من) أجلت قبول صداقته، التي أعدها شرفا لي وآمل أن يكون عذري مقبولا. ولكم جميعا تحياتي. انتهى.

ويلاحظ أن حماسة لم يذكر شيئا عن تلك الفترة السابقة، هل ذكر فيها شعرا من قبيل شعر المساجلات؟ هل كانت فترة طويلة أم قصيرة؟ وبناء عليه يمكن أن نستنتج شيئا يتعلق بتلك المساجلات التي ذكرها قبل توقف حسابه، وهذا الأمر يحتاج إلى بحث في هذا الشأن؛ لأنه يمكن إضافة مساجلات أخرى تعكس قضايا اجتماعية وثقافية لحياة حماسة المليئة بالأحداث والمفعمة بالإنسانيات. غير أني في موضع آخر، أوردت أن د. محروس بريك أورد على موقع الدكتور حماسة عددا من المساجلات، منها ما هو موجود ومنها ما ليس موجودا (ينظر: 2 / 3 من البحث). ويحتاج هذا الأمر إلى بحث استقصائي.

2 / 3 : حماسة والبحث اللساني المعاصر 1:

ضرب حماسة بسهم و افر في مجالات العربية المختلفة؛ ففي العروض والقافية، كتب: البناء العروضي للقصيدة العربية. والقافية في الشعر العربي، فضلا عن تمكنه في الشعر. أما الجملة وأركانها من نحو تقليدي، فقد أنجز: العلامة الإعر ابية في الجملة بين القديم والحديث. وفي بناء الجملة العربية. والجملة في الشعر العربي. والتو ابع في الجملة العربية. وظاهرة الإعلال والإبدال في العربية. والتحليل الصرفي للفعل في العربية. والتحليل الصرفي للأسماء في العربية. وأما مجال تحليل النصوص فقد كان له أكثر من سُهمة، مثل: الإبداع الموازي، والتحليل النصي للقصيدة: نموذج من الشعر القديم. ومنهج في التحليل النصي للقصيدة. كان حماسة نحويا شاملا، فقد كان يتعامل مع النحو كما فهمه سيبويه وعبد القاهر الجرجاني لا كما فهمه متأخرو النحاة. ويبدو أن هذا الملحظ قد تنبه إليه المجمعي فاروق شوشة، فقال في استقبال حماسة حين تم انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة: نحن أمام عالم لغوى من طراز جديد مختلف، له مدرسة فى النقد اللغوى، وهى مدرسة تعيد علم العربية - النحو- إلى سابق دائرته الكبرى ومفهومه الأوسع وعلاقاته الحية بالإبداع الأدبى شعرًا ونثرًا. نحن أمام عالم لغوى يتابع ما بدأه عبد القاهر الجرجانى فى ربط المعانى النحوية بمدلول النص الأدبى، وأرجع كل مزيَّة فى التعبير إلى المعانى النحوية لا غير.

كان الشعر متمكنا منه، فقد كان حاضرا في أغلب أبحاثه؛ إذ كان يمزج بين اللغة والنحو بالمفهوم القديم لهما وبين لغة الشعر. إذ حاول أن يربط النحو بالشعر في أبحاثه؛ أعني: الضرورة الشعرية في النحو العربي. وقد كانت رسالته للماجستير. ثم الجملة في الشعر العربي، ثم ظواهر نحوية في الشعر الحر: دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور. ثم اللغة وبناء لغة الشعر. أما متابعته للنظريات الحديثة وتطبيقها على النحو العربي، فيكفي أن نقرأ: من الأنماط التحويلية في النحو العربي. وقد وصفته موسوعة ويكيبيديا بأنه: نحوي وأديب وشاعر، من أبرز علماء العربية في العصر الحديث؛ لتعدد مجالاته في علوم العربية.

وإذا كان حماسة تميز في مجالات عدة للعربية؛ فضلا عن أنه كان شاعرا مطبوعا: (صدر له: ثلاثة ألحان مصرية بالاشتراك، ونافذة في جدار الصمت، حوار مع النيل، سنابل العمر) خلافا لما هو منشور على الواجهة، وهو ما نود التركيز عليه في هذا البحث، سوى أن التركيز على شعر حماسة كاملا يحتاج إلى دراسات موسعة•، ومن ثم سنتوجه تلقاء ظاهرة شعرية قديمة، أحياها حماسة في ثوب جديد بعدما توارت بالحجاب أو كادت، وهي المساجلات الشعرية.

أعاد حماسة ذلك الفن للظهور من جديد، فاتخذ شكلا منمازا من تلك، من حيث الهدف والشكل الذي ظهر به والآلية المستخدمة، وإن كان ظهور هذا الفن على يده يعود في الأساس إلى ذلك

---

1 أورد موقع https://www.lisanarb.com/2019/07/pdf_954.html?m كل مقالات د. محمد حماسة عبد اللطيف، لمزيد من التفصيل، لمن شاء الرجوع إليه.

• بدأت هذه الدراسات في الكتاب التذكاري الذي صدر مؤخرا بعنوان (الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف عطاء بلا حدود)، فضلا عن الدراسات المنشورة على موقع الأستاذ الدكتور حماسة، بالإضافة إلى الدراسات العلمية التي تناولته ولا تزال.

الإحساس بالآخرين؛ الذي جعله يمتلك قلب كل من عرفه؛ فقد امتلك شخصية علمية نادرة، لم تتأت إلا لحفنة قليلة، كما امتلك قلبا نقيا، فضلا عن قوة الشخصية. وهذه الصفات خلافا لما ذكره فاروق شوشة، وما ذكرت هذه الصفات إلا بعد معايشة له زادت على ربع قرن.

سيعالج هذا البحث عددا من المطالب، بحيث تجلي العنوان وتغطي جوانبه وفقا للترتيب والانتظام ذاته فيما يستقبل من حديث ببيانٍ شافٍ. وقد جاء هذا التصور بعد طول تدبر وإنعام نظر في مادة الدراسة.

3 / 0 : المساجلات الشعرية الإلكترونية:

3 / 1 : لماذا مصطلح المساجلات الإلكترونية؟:

تعددت المقترحات لاستعمال المصطلح المعبر عن هذه النوعية من الشعر في المتن والتعليقات من قبل حماسة والذين معه كما يلي: (المساجلة، إخوة / الإخوانيات، المداخلات الشعرية، الغزليات، المنتدى، المطارحة، المبادلات الأخوية) وهي خلاصة إحصاء. كما أن هذه المصطلحات جاءت عفوية ولم تكن أن مقصودة أن تسمى بها هذه المساجلات على هذا النحو الذي تبنيناه.

. المصطلح الأول: المساجلة/المساجلات: هي أكثر استعمالا من قبل حماسة ورفاقة، فقد استعملت خمس مرات هكذا:

أ. استعملها حماسة في صدر بعض مساجلاته يقول:من المساجلات الشعرية: 10/ 12/ 2015.

ب . أحمد عادل عبد المولي: ما أجمل هذا السجال الشعري بين العلمين الكبيرين، هذا السجال الذي أعادنا لأيام شوقي وحافظ ... : 7 / 12 / 2013.

ج . أحمد إسماعيل: لا طرب بعد هذه المساجلة الطروب، الله الله الله ... : 10 / 12 / 2015.

د . عبير الياسمين الياسمين: مساجلات شعرية جميلة روعة: 10 / 12 / 2015 .

هـ . وداد معروف: الله، مساجلة ولا أروع لقامتين شاهقتين: 10 / 12 / 2015.

. المصطلح الثاني: الغزليات: ورد مرة واحدة، فمن شدة فرط العلاقة بين حماسة ومصلوح اقترحها الفيلسوف المصري وقال: غزليات حماسة ومصلوح ما أجملها! (24 / 12 / 2013)، ولم ترد إلا مرة واحدة.

. المصطلح الثالث: المطارحة/المطارحات،في قول د. أحمد حمودة: أثارتني المطارحة الشعرية بين العلمين الشامخين والأستاذين الكبيرين سعد مصلوح ومحمد حماسة (7. 12. 2013).

. المصطلح الرابع: (إخوة) ومشتقاتها وردت كما يلي:

أ. إخوة: استعملها حماسة في إحدى تعليقاته مرتين:

1. إلى كل من أبدى شيئا من الإعجاب ببعض ما قلت أزجي شكرا خالصا غير مشوب وخاصة إخوة الصدق الذين أعهدهم ويعهدونني، كما أقول للإخوة الذين عرضوا صداقتهم متكرمين فلم يسعني إلا القبول ... (12 / 12 / 2013).

2. قبل نص قصيدته لأحمد مجدي: إلى صديقي أحمد مجدي قطب وإخوانه من أهل الصدق ممن أعرف: (10 / 12 / 2013)، فضلا عن صيغتين مختلفتين للدكتور أحمد عزت:

ب . الأخوية: بهذه المبادلات الأخوية النابعة من معين الخير: 9 / 12 / 2013.

ج . الإخوة: وردت مرتين كما يلي:

1. ما يؤكد مشاعر الإخوة الطيبة النفحات ... (7 / / 12 / 2013).

2. قول حماسة:و اقبل يا سعد مِنِ الْإِخوة جَهْدَ الحرِيص(البيت رقم 113في ترتيب المساجلات).

د . إخوانيات: وردت مرتين:

1 . تعليق لغتي هويتي: أبدع ما يكون في شعر الإخوانيات بين عملاقين في اللغة والأدب: (10/22 / 2012) .

2 . كما ورد في تعليق أحمد عرفات القاضي: هذه الإخوانيات الصادقة ستصبح يوما كنزا ثمينا لشباب الباحثين الراغبين في التميز: (9 / 12 2013)، ومن ثم فقد وردت (إخوة) ومشتقاتها كما يلي: (إخوة، الإخوة، الأخوية، إخوان، إخوانيات) (سبع) مرات بصيغ مختلفة.

وقد وردت (إخوة) في القرآن الكريم بمعان عدة، منها: (إخوة المنهج والتوجه العام)، فتوجهت نحوه، خاصة أن لها سندا وعضدا من القرآن الكريم؛ فيسمي القرآن أسماء السور بما ورد فيها؛ فسُميت البقرة؛ لأنها ذكرت فيها وآل عمران والنساء والتوبة .. إلخ. وأما المساجلات فقد أوردها حماسة في المتن وفي تعليق له ضمن التعليقات على ما ورد أعلاه، كما استخدمها كثير من أصحاب التعليقات وكلهم من ذوي الخبرة والفضل في هذا المجال.

وقد توقفت بالنظر في أن يكون العنوان (شعر الإخوة) كما وردت في المساجلات أو (شعر الإخوان)، فوجدت مادة (أخ) تجمع على (إخوة) وعلى (إخوان)؛ فأما الأولى فالمقصود بها إخوة الدم، قال تعالى (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) يوسف/ 58، وأما الأخرى فالمقصود بها أخوة المنهج والقيم، كما في قوله تعالى (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) الحجر/ 47، وبناء على هذا الاستنتاج، فالمقصود الآخر لا الأول، الذي ارتضيته عنوانا. ثم بدا لي شيء آخر، أن يكون (شعر الإخوان) فرأيت أن به لبسا واقع، فغيرته بإضافة ياء النسب، فصارت (إخواني) وأضفت إليها الألف والتاء، كما في رسائل إخوان الصفا، لكن ربما يقول قائل: إنها جاءت على صيغة (إخوان) وليست (إخوانيات)، وبين الصيغتين ما نحاول جبره، ففي (إخوان الصفا) من الإضافة ما يزيل اللبس والإبهام، أما هنا فجعلناها على الإخوانيات. كان هذا في صدر عهدي بالبحث، غير أني غيرته بعد حول كامل، وجعلته على ما هو عليه: من أشكال الربط في المساجلات الشعرية الإلكترونية.

. <u>المصطلح الخامس:</u> (منتدى شعري) لم يرد إلا مرة واحدة في التعليقات لحسين بركات في قوله: هذه منتديات شعرية رائعة يتبارز فيها أعلام الشعراء النحاة ... (8 / 12/ 2013).

. <u>المصطلح السادس:</u> (المبادلات الأخوية) ورد مرة واحدة في قول د. أحمد عزت: (... بهذه المبادلات الأخوية النابعة من معين الخير في عمقه ... : (9 / 12 / 2013).

.المصطلح السابع: (مبارزة) جاء مرة واحدة في قول سحر صلاح: حضرتك يا دكتور Mohamed Hamassa تذكرنا بالشعراء القدامى حينما يراسلون بعضهم بعضا بالشعر وكل واحد فيهم يظهر مهارته في اختيار ونظم الكلمات لنستمتع نحن بهذه المبارزة الشعرية ... (30 / 10 / 2015).

.المصطلح الثامن: (المداخلة الشعرية) استعمله حماسة حين قال: كتب لي الصديق الشاعر الجميل الدكتور Ahmed Balboula أبياتا جميلة في مداخلة شعرية بين العالم الشاعر الدكتور سعد مصلوح: (28 / 10 / 2013)،

وبناء على ذلك فالمداخلة تكون في التعليقات، خاصة أن المساجلات الأساسية تكون بين اثنين فيتدخل أصحاب التعليقات وكلهم من المريدين والتلاميذ للتعليق على ما بين حماسة ومصلوح أو على ما بين حماسة وغيره، أما المساجلات الأساسية فتكون في المنشورات على صفحات أصحابها، وسيفيدنا هذا الاستنتاج حين تقسيم هذه المساجلات في الجانب الإمبريقي.

وبناء عليه، فالذين استعملوا مساجلة (الجمع مساجلات) جلهم من أهل الشعر والأدب، فضلا عن أن حماسة سماها مساجلة، وعلى هذا فإني استعملت مصطلح (مساجلات) في العنوان اتساقا مع أورده أهل الاختصاص، فضلا عن أن المصطلح يعكس ظلالا تاريخية تشير إلى الغرض من هذه النوعية من الشعر، التي لم يخل منها عصر من العصور، وإن تنوعت أشكالها تبعا لأهدافها، قد تطول كما هي هنا، وقد تقصر، كما في شكلها التقليدي أو تزيد قليلا، كما كان بين شوقي وحافظ. وهكذا تعددت الأشكال وتنوعت السياقات التي تعكسها.

على أني أستطيع أن أقول وأنا مطمئن إن مصطلح (مساجلة) أكثر المصطلحات دورانا بين الشعراء وبين المشاركين في التعليقات، أما مصطلح (إخوة) فإنه دال غير أنه حمال أوجه، أما (المطارحة) فهي أن يطرح الشاعر قصيدة وعلى الآخر أن يطارحه بمطارحة جديدة على الفور لا التراخي، وهو ليس مقصودا في مادة الدراسة، أما (المساجلة)، فهي قريبة من المطارحة، مع الوضع في الاعتبار أن الأولى ينتظر الشاعر أن يساجله لكن ليس على الفور بل على التراخي، وهي ضمن الموائز بين المساجلات القديمة والمساجلات الإلكترونية.

كما أشير إلى التفريق بين المساجلة والقصيدة؛ أن المساجلة أخص، فلحماسة مساجلات ولمصلوح أخرى وللرفاق مساجلات كذلك، ومن هنا فهي أخص مقارنة بالقصيدة التي تمثل مجموع المساجلات؛ فحين أستعمل المساجلة أعني أني أتحدث عن جزء من كل، بينما إذ استعملت قصيدة، فالمقصود كل المساجلات. وجدير بالذكر أن هذا التصور لا يمكن تعميمه على المعنى العام لهما، وإنما هو تصور خصصته في هذه الدراسة؛ ليكون دالا على أن هذه المساجلات بينها من أشكال الربط، بحيث تصير قصيدة مسبوكة محبوكة. وسيتضح هذا التصور بشكل واضح في الجانب التطبيقي.

3 / 2 : وصف المساجلات الإلكترونية:

الإحساس سمة جوهرية ينماز بها الشعر من غيره من أنواع الكلام؛ فيكتب شاعر قصيدة في صديق أو مريد أو تلميذ فيرد الآخر. وتسمى هذه النوعية من الشعر: (مساجلة أو مطارحة أو مبادلة) حسب تعبير أصحابها في مادة الدراسة. بل أن هنالك آخرين يشاركون في هذه المساجلات على حساباتهم، وتظهر هذه المشاركات بوضوح؛ وهذا ما بدا ظاهرا عند حماسة؛ حين بلغت مشاركة بعض

مطارحاته (تسعا وثلاثين) مشاركة، وهذا يشير إلى أمرين، الأول: انتشار هذه المطارحات، والثاني: مترتب على الأول: وهو شخصية حماسة التي ساعدت على بلورة هذا الفن في ثوب جديد، ويتبدى هذا بوضوح ليس في المشاركات فحسب، بل في التعليقات وردوده عليها. على ما أورده د. سعيد شوارب في غير هذا الموضع. غير أن اللافت للنظر أن هذا الفن تشكَّل حديثا في ثوب جديد؛ نتيجة التطور التكنولوجي الهائل؛ متمثلا في وسائل التواصل الاجتماعي وما يتو افر عليها.

وقد أدت إلى التقارب والالتقاء الافتراضي إلى اتساع رقعة المشاركين مقارنة بما كان قديما، وأن جمهور المستمعين أخذ شكلا ومفهوما جديدا؛ فقد صار المشاركون فاعلين ومؤثرين، كما أن المساجلات كانت قديما تستغرق وقتا محددا خلافا للمساجلات الإلكترونية، فضلا عن جو انب أخرى نستظهرها في مطلب قادم (ينظر: 4 / 1 من البحث).

كما ينبغي التنويه إلى أن الشعر العربي الحديث يأتي في نوعين: الحر، والعمودي. ولم يلغ الشعر الحر الشعر التقليدي، وشعر المساجلات ينتمي إلى النوع الثاني الذي يعتمد على عروض الخليل بن أحمد (ينظر: 2 / 6 من البحث). على أن ثمة أمرا لا يمكن إغفاله؛ أن المساجلات الإلكترونية (مادة الدراسة) تأتي بين الأصدقاء والمريدين والتلاميذ، وهذا يشير بوضوح إلى أنها ترتبط بالمدح والإطراء، وما يدخل في إطاره من بوح بما في مكنون النفس، أو استعادة ذكريات الماضي، أو ذكر صفات معنوية حميدة يتصف بها هؤلاء الأصدقاء، وهو ما عالجت جو انبه بشكل أو بآخر في الجانب التطبيقي، ولهذا قلت إنها تقع في إطار المدح أو البوح أو الشكوى، خلافا للمساجلات القديمة التي لا ترتبط بغرض شعري بعينه.

<u>3 / 3 : توثيق المساجلات الإلكترونية:</u>

تم نشر هذه المساجلات على حساب Mohamed Hamassa[1] وجانب منها على حساب Saad Masloh على الواجهة، فهل يمكن أن نتصور أن هذه المساجلات الواردة أكثر من نوع؟ والإجابة عن هذا السؤال موضوع المطلب القادم. وجدير بالذكر أن إنتاج حماسة من المساجلات أغزر لتعدد أصدقائه ومريديه في كل أرجاء العالم العربي، فضلا عن طبيعة شخصيته، ولهذا قلت حين تناولت دوره في إحياء هذا الفن: إنه كان له شأن مع عدد كبير من الأصدقاء، منهم د. محمد عبد المطلب، ود. أحمد درويش، ود. سعد مصلوح ود. سعيد شوارب، والشاعرة اللبنانية هدى ميقاتي والمذيعة اللبنانية مي ميقاتي وبعض تلاميذه الآخرين، الذين سترد أسماؤهم بفضل بيان في نص المساجلات.

وتجدر الإشارة إلى أن المساجلات (مادة الدراسة) ليست كل المساجلات بين حماسة ومصلوح فقد وجدت مطارحات أخرى على موقع (فن الإعراب) بين الشاعرين، وإن كانت تدور حول ذات المعنى، ولهذا قلت إنها تحتاج إلى جمع في كتاب؛ خشية عليها من الضياع. كما أشير على جهة التنبيه إلى أني وجدت د. محروس بريك قد نشر جانبا منها على موقع الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف (19 . 4 . 2019)، كما وجدت مساجلات أخرى على الموقع ذاته، وكتب في مستهلها ما يؤكد ما ذكرته فيما يتعلق بشخصية حماسة العالم والإنسان. كل هذا يؤكد أن تجمع هذه المساجلات والتعليقات كما هي على الواجهة وبخط أصحابها، لتكون مادة لغوية لم يتدخل فيها أحد بالمحو أو التعديل.

---

1 جاء ذكر الأساتذة دون الألقاب العلمية؛ إذ أتعامل مع شاعرين في االأساس.

فالمساجلات التي عرضها د. محروس بريك، ليست كل المساجلات بين الشاعرين من ناحية، على ذلك النحو الذي ورد على موقع فن الإعراب؛ إذ أورد جانبا لم تقع عليه عيني، كما أن د. عيسى شحاته، أرسل لي مساجلة أخرى للدكتور سعد مصلوح. غير أن ما تفضل به د. محروس يوحي بأنها كل المساجلات بين الرجلين، وهذا ليس صحيحا؛ ومن ثم فإن مادة البحث لا تدعي أنها كل المساجلات بين الرجلين، بل ما وقعت عليه عيني، في فترة زمنية ليست بالقليلة. كما أن الجمع الذي أعنيه هنا ليست المساجلات بين حماسة ومصلوح فحسب، بل بين حماسة وأصدقائه وأن تجمع المساجلات مجتمعة مع التعليقات الواردة من الأصدقاء والمريدين؛ لأن هذه المادة اللغوية الواردة في التعليقات لا يمكن عزلها عن المساجلات، كما أن هنالك مساجلات وردت في التعليقات من حماسة و الأصدقاء والمريدين.

ومن هنا، تعد التعليقات جزءا لا يتجزء من المساجلات، خاصة أنها شارحة ومفصلة لما ورد فيها. ومن ثم فإذا نشرنا المساجلات دون التعليقات؛ معنى هذا أننا اقتطعنا جزءا عزيزا. و أقترح أن تكون كما هي على الواجهة، لا أن تنقل مكتوبة أو يقتطع جزء منها؛ بمعنى أن تنشر كما وردت على الواجهة، وبما فيها من تصويب أو تصحيح أو أخطاء؛ لأن كل هذا له دلالته، ويمكن للباحث أن يفيد منه. ومن ثم فإن ما تم نشره في مواضع على المو اقع الإلكترونية إهدار لمجهود حماسة ومصلوح. وجدير بالذكر أن هذه المساجلات ليست كل المساجلات التي أوردها حماسة ومصلوح لما يأتي:

-<u>الأول</u>: إن هنالك مساجلات بين حماسة وعمر مخلوف ومحمد عبد المطلب وسعيد شوارب وهدى ميقاتي ومي ميقاتي وأحمد درويش وأحمد مجدي قطب وأحمد إسماعيل وأحمد عرفات القاضي وأحمد بلبولة وأحمد حمودة.

-<u>الثاني</u>: إن د. محروس بريك أشار إلى بعض المساجلات بعنوان: ذكريات من دفتر الحب: مساجلة شعرية بين د. محمد حماسة ود. سعد مصلوح (ينظر تفصيلا في المطلب القادم).

-<u>الثالث</u>: إن ابنة د. حماسة ناشدت . على حسابه على الواجهة . طلابه وتلاميذه ومريده، بأنها ستقوم بإذن الله بجمع أشعار الوالد المنشورة على صفحته على الفيسبوك وترجو من كل من كتب له الدكتور حماسة أشعارا في تعليق أو على الخاص بإسالها للأسرة عن طريق ابنته الدكتورة Noura Hamassa ... (5.1 .2016: على حساب Mohamed Hamassa)، وهذا يعني أنهم لا يمتلكون كل أشعاره أو مساجلاته المخطوطة، وربما كانت هنالك مساجلات وأشعار مخطوطة غير معروفة لهم، وهذ يؤكد أن جمع هذه المساجلات يحتاج إلى تكاتف الجهود.

-<u>الرابع</u>: من خلال ما ورد في النقطة الأولى، أستطيع أن أقول إن المساجلات الشعرية التي اطلعت عليها بلغت ستا وعشرين مساجلة بين حماسة ومصلوح على النحو الآتي:

- أولا: أورت في نص القصيدة خمس عشرة مساجلة، تشتمل على: (117): مائة وسبعة عشر بيتا.

. ثانيا: هنالك مساجلات موجودة على حساب حماسة على الواجهة، ولم أذكرها في مادة الدراسة، وقد أحصيت ثمانية مساجلات، وقد ذكرت أسماء الشعراء في النقطة الأولى أعلاه.

. ثالثا: إذا كان دكتور محروس بريك ذكر تسع مساجلات، على فترتين من عام 2016، على ما سيرد في المطلب القادم، فإن ما ورد هنا خمس عشرة مساجلة، تعد لحمة واحدة.

-رابعا: المساجلات التي ذكرتها تحت عنوان (نص القصيدة) كما على حسابه، وفيها زيادة على ما أورده الباحث في الموضعين المشار إليهما في المطلب القادم.

-خامسا: أوردت خمس عشرة مساجلة، ود. محروس بريك أورد أربع مساجلات غير مكررة، وأحصيت ثمانية،أشرت إليها دون ذكرها لما أوضحته أعلاه، وبناء عليه، بلغ المجموع الكلي للمساجلات ثماني وعشرين مساجلة.

××××

كما أن هنالك ملاحظات أخرى حول توثيق المساجلات فضلا عما ورد أعلاه، أوردها فيما يلي:

-أولا: رأيت أن الدكتور محروس بريك نشر بعض المساجلات بين حماسة ومصلوح، وعنون لها: عندما يصدح الشيخان: مساجلة شعرية طويلة بين د. محمد حماسة ود. سعد مصلوح[1]. ويشير العنوان إلى أن ما أورده الباحث هو كل ما كان بينهما، وهذا ليس صحيحا بل ذكر جانبا وترك مساجلتين لحماسة، صحيح هي جاءت عقب ذلك التاريخ، لكن صنيعه يوحي أنها كل المساجلات بين الشيخين؛ فقد ترك واحدة عقب ذلك التاريخ 25 ديسمبر 2013، ومطلعها: جزى الله ميمات بشعر تهيضنا، والأخرى في 30 أكتوبر، 2015، ومطلعها: يا سعد والأيام محفورة. وأعادها في المساجلة الأخرى.

-ثانيا: إن الباحث الكريم اقتصر على مساجلات حماسة ومصلوح، وهذا يوحي للقارئ أن حماسة لم تكن له إلا هذه المساجلات، وهذا غير صحيح كذلك؛ إذ كتب حماسة في ذلك الوقت مساجلات أخرى مع شعراء آخرين.

-ثالثا: إن د. محروس لم يشر إلا لمساجلتين من المساجلات التي بين حماسة ومصلوح، وكان الأولى بل الأجدر أن يشير إلى المساجلات الأخرى؛ لأنها قصيدة واحدة وإن اختلف شعراؤها وتباعد زمانها.

-رابعا: هنالك مساجلات أخرى بين حماسة ومصلوح ذكرها الباحث، ومنها المساجلة التي مطلعها: جزى الله ميمات بشعر تهيضنا، وقد جاءت بين الشيخين بعنوان: ذكريات من دفتر الحب: مساجلة شعرية بين د. محمد حماسة ود. سعد مصلوح[2]. وقد اشتملت على خمس مساجلات؛ ثلاث لحماسة وثنتان لمصلوح على النحو الآتي:

---

1 على الرابط:

http://www.hamassa.com/2016/03/07/%D8%B9%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7-%D9%8A%D8%B5%D8%AF%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%B7%D9%88%D9%8A%D9%84%D8%A9/

2 على الرابط:

http://www.hamassa.com/2016/10/04/%d8%b0%d9%83%d8%b1%d9%8a%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d8%af%d9%81%d8%aa%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%ad%d8%a8-%d9%85%d8%b3%d8%a7%d8%ac%d9%84%d8%a9-%d8%b4%d8%b9%d8%b1%d9%8a%d8%a9-%d8%a8%d9%8a%d9%86-%d8%af/

1. محمد حماسة ومطلعها: لكُمْ -آلَ مَصْلُوحٍ- مِن الشِّعْرِ نِصْفُهُ ولِلنّاسِ كُلِّ النّاسِ نِصْفٌ مُقَسّمُ!
2. سعد مصلوح ومطلعها: يَراعُكَ في الإفصاحِ أحكى وأحكمُ ** وباعك في الإسماح أقوى و أقْوَمُ.
3. محمد حماسة ومطلعها: أتَتْني بجَوْفِ اللّيلِ والناسُ نُوّمُ قصيدةُ "سَعدٍ" وهْيَ دَنٌّ مُفَدّم.
4. سعد مصلوح ومطلعا: يقاولني بالشعر ربُّ سَفينِهِ ومن بكمين القول أعلى وأعلمُ.
5. محمد حماسة ومطلعها: جزى اللهُ ميماتٍ بشعر يهيضنا ** فمنهن طير ساكنات وحُوَّمُ.

ويلاحظ عليها ما يلي:

-أولا: لم يتكرر من هذه المساجلات أيا مما ذكره الباحث في المساجلات الخمس.

-ثانيا: لم يذكر تاريخ نشر هذه المساجلات ولا مكانها.

-ثالثا: لم أجد على حساب Mohamed Hamassa على الواجهة إلا المساجلة التي مطلعها: يا سعد والأيام محفورة في 10/30/ 2015، فهل يعني هذا أن هذه المساجلات نشرت في تلك الفترة على أساس الجمع بينها أم أنها نشرت في الفترة الأولى من إنشاء حماسة لحسابه قبل أن تغلق ويعاود تنشيطها تارة أخرى؟ وإن كنت أرجح الرواية الأولى، على أساس أنها مساجلات نشرت في فترة متقاربة، وإلا فما الأساس الذي بنى عليه جامع هذه المساجلات مع بعضها؟ لكن الشيء الذي لم أجد له علة؛ أني لم أعثر على هذه المساجلات، ولم أجد لها أثرا على صفحته، على الرغم من أني عاودت تقري ما ورد فيها بتأن وتؤدة على فترات من الزمن.

رابعا: إذا كنا قد اهتممنا بجمع المساجلات بين حماسة ومصلوح، فلا ننسى المساجلات بينه وبين بعض الأصدقاء والمريدين والتلاميذ، لا تقل أهمية عن الأولى، فإذا اقتصرنا على الأولى؛ معنى هذا أننا أخذنا شطرا وتركنا آخر، وبناء عليه يكون عملنا منقوصا، والهدف الأكبر والأسمى هو جمع هذا التراث اللغوي الذي يندر وجوده.

خامسا: هنالك مساجلة أخرى غير مذكورة على حساب حماسة على الواجهة ، غير أني وجدتها على موقعه الذي أنشئ بعد وفاته، وقد ذكرها د. محروس كذلك، وهي تلك التي ذكر مصلوح فيها قصيدة بمناسبة بلوغه عامه السبعين، وقد بلغت ثلاث مساجلات، ثنتان لحماسة وواحدة لمصلوح كما يلي:

1. فرد عليه حماسة بمساجلة مطلعها: عُقبَى لسبعِين أخرى .:. تفيض فيهن فيضا.
2. فرد مصلوح بمساجلة مطلعها: شَيْخَ القوافي وَيا من .:. أعطى جزيلًا وأرضى
3. فرد عليه حماسة بمساجلة مطلعها: يا (سعدُ)، لستُ أجاريكَ اليوم في الشّعر رَكْضا.

ويلاحظ عليها ما يلي:

-<u>أولا</u>: الباحث لم يشر. كما في المساجلات السابقة. إلى الموقع الذي نشر هذه المساجلة، ولا إلى تاريخها.

-<u>ثانيا</u>: يترتب على النقطة الأولى، أننا لم نعرف هل هناك تعليقات إذا كانت على الواجهة؟ فإذا كان قد نشرها في الفترة من 2013. 2015، لكنت واجدها.

-<u>ثالثا</u>: وهذه النقطة تتقاطع ما ورد في الملاحظات على المساجلات التي نشرها د. محروس بريك: أن كلا ينشر جانبا ويترك جانبا، مما يجعل الإلمام بها أمرا عصيا.

-رابعا: يمكن أن يقول قائل: ربما تكون هنالك مساجلات بين حماسة ومصلوح أو بينه وبين بعض الأصدقاء الآخرين مذكورة في بعض دواوينه، وهي منشورة، غير أني أذكر ملاحظتين تتعلقان بهذا الأمر:

-الأولى: إنني أقتصر فقط على المساجلات الموجودة على حسابه على الواجهة؛ لأنها مذكورة في فترة زمنية محددة، وواضح فيها التاريخ، ويستطيع أي باحث الاطلاع عليها.

-الثانية: المساجلات في الدواوين الشعرية . إن كانت موجودة . لا يتوفر فيها ذكر التواريخ الذي نستطيع من خلالها تحديد البداية والنهاية.

-الثالثة: إذا كان د. محروس بريك قد نشر. أكثر من مساجلة . على ما رأى. الأولى: 7 / 3 / 2016: وهي جزء لما هو وراد على واجهة حماسة ومصلوح، والثانية: 4 /10 / 2016، غير أن الثانية لم أر لها وجودا على الواجهة خلافا للأولى.

الرابعة: ذكر د. محروس في المساجلة الأولى أنها نشرت في الفترة ما بين 6، 7، 8 ديسمبر 2013، ولم يشر إلى أنها نشرت عبر حسابهما على الواجهة، غير أن الملفت للنظر أنه لم يصنع الصنيع ذاته مع المساجلات الأخرى.

-خامسا: نُشِرتْ مساجلة لحماسة ومصلوح على موقع فن الإعراب[1] بعنوان: مساجلة شعرية على حرف الصاد، في الأول من أكتوبر 2017؛ أي بعد وفاة حماسة بما يناهز الحولين، ولم تنسب إلى ناشر بعينه، ويلاحظ أنها موجودة على حساب Mohamed Hamassa، كما كانت المساجلات الأولى للدكتور محروس بريك، غير أنه اقتصر على المساجلات بينه وبين مصلوح، أما المذكورة على موقع فن الإعراب، فكانت أوسع مما أورده د. محروس، و أقل من حيث الكم مما أوردتُه هنا، فقد أورد موقع فن الإعراب مساجلة لأحمد بلبولة وأحمد درويش وسعيد شوارب وسعد مصلوح.

-سادسا: ما أورده الباحثون على المواقع وما أوردته هنا ليدل على صدق ما أدعو إليه؛أن هذه المساجلات موجودة ونحن نقتطع منها ما نراه يحتاج إلى نشر، أو كل يكون له توجه معين تجاه فكرة، ومن ثم ينشر جانبا ويترك آخر دون أن يبدي أسبابا حول هذا التصور. وخطورة الأمر أن هذه التصورات بعد حين من الدهر تصير مشكلة عصية، خاصة بعد تبدل الحسابات على الواجهة، ولم نعد نملك منها إلا المساجلات المتناثرة هنا وهناك، وربما يحدث هذا جدلا أن كلا يمتلك الحقيقة، وهذا ليس صحيحا، إذ تكون المادة اللغوية الأصلية يومئذ قد ضاعت،

-سابعا: نشر المساجلات مجتمعة كما هي على صفحات كل منهما بما تشتمل عليه من تعليقات لا أن تنقل نصوص المساجلات دون التعليقات؛ لأننا إذا فعلنا هذا اقتطعنا جزءا عزيزا من النص، كما أن التعليقات موضحة ومفسرة لها، كما قلت، فضلا عما ورد فيها من أشعار من التلاميذ والمريدين، على ما أوردته.

---

1 على الرابط:

https://www.facebook.com/MutAtallarab/posts/1681539565191456/

-سادسا: هنالك مساجلة على موقع الأستاذ الدكتور محمدحماسة بعنوان حماسة وأنا (من المساجلات الشعرية) د. أحمد حمودة1، وقد نشرها د. محروس بريك في 13. 5. 2013، ويبدو أن د. أحمد حمودة قد نشرها على حسابه على الواجهة ثم أعاد د. محروس نشرها، ثم ما كان من ذكرلتاريخ هذه المساجلات والتدقيق في ذكر الأحداث التي تعطي تصورا معقولا. ويلاحظ أنه:

. لم يذكر تاريخ النشروتوثيقها.

. لم يذكر مكان نشرها، وإن كانت إشارته تشير ضمنا إلى أنها على الواجهة وإن لم يقل هذا صراحة.

. في هذه المساجلات ذكر د. أحمد حمودة مساجلات شعرية بينه وبين حماسة لم أجدها على حساب حماسة على الواجهة، وهذا يؤكد أنه يجب أن تتكاتف جهود الباحثين لجمعها.

-سابعا: مساجلة بين حماسة ومصلوح على موقع الأستاذ الدكتور محمد حماسة بعنوان: ذكريات من دفتر الحب: شعر د. محمد حماسة و د. سعد مصلوح2. وهي عبارة عن أربع قصائد؛ ثنتان لكل من حماسة ومصلوح، غير أن لمصلوح واحدة بصوته والرابط لا يحتوي إلا على ثلاثة منها، وقد سجل مصلوح قصيدته بمناسبة بلوغه عامه السبعين، فرد عليه حماسة، وهي ليست موجودة على حساب حماسة على الواجهة.

-ثامنا: نشر د. محروس بريك على موقع الأستاذ الدكتور محمد حماسة مساجلة بين حماسة ومصلوح وبعض تلاميذتهم بعنوان: من فن المساجلات الشعرية: سينية درعمية فريدة، د. حماسة ود. سعد مصلوح وتلامذتهم، نشرت 10 مارس، 2016 3. ويلاحظ أنها نشرت على حساب حماسة على الواجهة، على الرغم من أن د.محروس لم يشر إليها، ولم أجد منها شيئا مذكورا غير مساجلتين لحماسة:

. إحداهما: لأنَّك يا (محروس) ذو الفَهْم والحِجا ...

---

1 على الرابط:

http://www.hamassa.com/2016/05/13/%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%88%D8%A3%D9%86%D8%A7-%D9%85%D9%82%D8%AA%D8%B7%D9%81%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%AC%D9%84%D8%A7%D8%AA-/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1

2 على الرابط:

https://www.hamassa.com/2016/10/19/%d8%b0%d9%83%d8%b1%d9%8a%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86- %d8%af%d9%81%d8%aa%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%ad%d8%a8-%d8%b4%d8%b9%d8%b1-%d8%af-%d9%85%d8%ad%d9%85%d8%af-%d8%ad%d9%85%d8%a7%d8%b3%d8%a9%d8%8c-%d9%88/

3 على الرابط:

https://www.hamassa.com/2016/03/10/%d9%85%d9%86-%d9%81%d9%86-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b3%d8%a7%d8%ac%d9%84%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%b4%d8%b9%d8%b1%d9%8a%d8%a9-%d8%b3%d9%8a%d9%86%d9%8a%d8%a9-%d8%af%d8%b1%d8%b9%d9%85%d9%8a%d8%a9-/%d9%81

.والثانية: جزى اللهُ عني صادقينَ بلَوْتُهم ...

وهما المساجلة الأخيرة وما قبل الأخيرة في المساجلات مادة الدراسة، كما يلاحظ أن هذه المساجلات لم تأت جميعا في النشر الأساسي، بل جاء بعضها في التعليقات، وما رأيته أن مساجلتي حماسة المذكورتين وردتا في التعليقات. كل هذا يجعل طباعة المساجلات بتعليقاتها وتفصيلاتها مجتمعة ضرورة بل غاية وهدفا، خاصة بعد أن رأيت نشر المساجلات على أكثر من رابط، وقد تبين من خلال كل ذلك ما يلي:

-الأول: أن طباعة هذه المساجلات جعل الشك حقيقة، واستوت المساجلات الأساسية بالفرعية.

-الثاني: أن نشر هذه المساجلات التي منها ما هو موجود على حساب حماسة ومنها ما ليس موجودا، مما يجعل التمسك بفكرة طباعتها كاملة بتعليقاتها أمرا غاية في الأهمية؛ لما يأتي:

. أن جمعها كاملة أو بتعبير آخر طباعتها كما هي يقطع الشك باليقين بأنها منشورة على حساب حماسة ويوثقه.

. أن طباعة المساجلات كما هي، نستطيع أن نستنتج منه، هل تم نشر هذه المساجلات على أي حساب وتاريخه وتوثيقه؟ مما يجعل الوصول إليها أمرا ميسورا.

. أن هذا التوثيق بهذه الآلية، يحسم الخلاف؛ لأني لم أجد كثيرا من هذه المساجلات على حساب حماسة على الواجهة، فما الحكم الذي ترضى حكومته؟

. على الرغم من أن التلاميذ نشروا بعض المساجلات؛ منها ما هو موجود ومنها ما هو غير موجودا، وفي هذا إضاءة مهمة في ذكر ما ليس موجودا، وعلى الرغم من ذلك تظل هنالك مساجلات أخرى كثيرة لم تنشر ومذكورة على حساب حماسة على الواجهة.

××××

0/4: من وجوه الاتفاق والانمياز بين المساجلات التقليدية والمساجلات الإلكترونية والنص التقليدي والنص الإلكتروني:

4 / 1 : من وجوه الاتفاق والانمياز بين المساجلات التقليدية والمساجلات الإلكترونية:

4 / 1 / 1 : المساجلات التقليدية مسابقة في حفظ الشعر وسرعة البديهة، والمساجلات الشعرية مادة الدراسة من بناة أفكار الشاعر.

4 / 1 / 2 : المساجلات التقليدية تقام في مكان وزمان محددين ويكون لها حكم، بينما المساجلات الإلكترونية ليس لها مكان وزمان محددين، وعلى الطرف الآخر أن يحدد الزمان والوقت المناسب له. والحكم فيها هو الجمهور (المشاركون في التعليقات).

4 / 1 / 3 : الغرض في المساجلات الشعرية التدريب على حفظ الشعر وبيان الموهبة في الحفظ والتركيز، بينما الغرض من المساجلات مادة الدراسة الود والألفة بين الأصدقاء.

4 / 1 / 4 : إذا كانت المساجلات التقليدية تعتمد على الحفظ، وأن يبدأ الشاعر بالحرف الذي انتهى إليه الشاعر الآخر، فإن الجودة والتحسين لا مكان لها، خاصة إذا كان الشعر موزونا،خلافا لما هو في مادة الدراسة.

4 / 1 / 5 : الشعر في المساجلات التقليدية لا بد يكون موزونا مقفى، وفي مادة الدراسة ورد على هذه الشاكلة، غير أن المساجلات وردت الأبيات فيها كل تفعيلة في سطر، وهذا لا يخرجها عن طبيعة الوزن، خاصة أن كل سطرين يشكلان بيتا موزونا مقفى. ويبدو أن طبيعة الكتابة الإلكترونية هي التي فرضت أو أدت إلى الكتابة بهذه الصيغة، خاصة أن السطر الواحد لا يتسع لكتابة الشطرين معا، وهذه ملاحظة فنية، أشار إليها حماسة منها د. أحمد بلبولة(23 . 10 . 2015)، وأشرت إليها في سياق آخر.

4 / 1 / 6 : في المساجلات التقليدية ينسب المتسابق البيت إلى قائله، ويمكن للجنة التحكيم أن تتغاضى عن هذا الشرط في حالات خاصة، بينما المساجلات مادة الدراسة لا ينطبق عليها هذا الشرط؛ لأن الشعر من بناة أفكارهم.

4 / 1 / 7 : المساجلات التقليدية تكون مسابقة لها غرض وهدف ووقت معلوم، في حين أن مثل هذا ليس موجودا في المساجلات مادة الدراسة.

4 / 1 / 8 : في المساجلات التقليدية المسابقة آنية؛ بمعنى أن المتسابق لا بد أن يستجمع ذاكرته للرد في سرعة،اعتمادا على قوة الحفظ، بينما الأمر في مادة الدراسة يعتمد أساسا على قدرة الشاعر على الرد، بينما الشعر في مادة الدراسة يعتمد على التراخي في الرد مقارنة بالنوع الأول.

4 / 1 / 9 : الهدف في المساجلات التقليدية إظهار قوة الحفظ وحفظ التراث الشعري لدى الأجيال، بينما المساجلات الشعرية الإلكترونية هدفها مختلف تماما.

4 / 1 / 10 : في المساجلات التقليدية جوائز مادية وعينية، بينما الهدف في المساجلات الإلكترونية نفسي معنوي.

4 / 1 / 11 : إذا كان الهدف من المساجلات التقليدية حفظ الشعر، فإنها تركز على حفظ الشعر الفصيح، وليس العامي، والمساجلات الشعرية الإلكترونية على هذا المنوال.

4 / 1 / 12 : لا يقبل تكرار البيت من أحد المتسابقين في المساجلات الشعرية التقليدية، وهذا ليس موجودا في المساجلات مادة الدراسة.

4 / 1 / 13 : في المساجلات التقليدية لا يقبل البيت المختل في الوزن وربما يكون التركيز على حرف الروي؛أي يمكن التغاضي عن كسر البيت مؤقتا، والمساجلات الشعرية مادة الدراسة موزونة شعريا، لا تقبل الكسر.

4 / 1 / 14 : إذا كان للمساجلات التقليدية أهداف ثقافية، فإن هذا يؤدي إلى أن البيت فيها لا بد أن يكون مستقل المعنى لتحدث الفائدة والمتعة المرجوة منها. بينما المساجلات الإلكترونية مختلفة، فالأبيات آخذ بعضها برقاب بعض، كما سنرى في التحليل.

4 / 1 / 15 : في المساجلات التقليدية لا بد من تحديد السن؛ لأنها تعتمد على الحفظ، بينما المساجلات مادة الدراسة الأمر ليس مباشرا، خاصة أن الشعراء في المساجلات ينتمون إلى مرحلة عمرية معينة، وإن كان سيتدخل معهم تلاميذ ينتمون إلى مراحل عمرية أقل، كما في التعليقات الموجودة على مادة الدراسة.

4 / 1 / 16 : في المساجلات التقليدية لا يقبل البيت الذي يكون حرفه الأول مثل حروف الروي الذي تبنى عليه القصيدة، وهذا ينطبق على المساجلات محل الدراسة.

4 / 1 / 17 : يفترض في المساجلات التقليدية أن يكون المتسابقون حافظين لعدد لا بأس به من الشعر، وهذا ينطبق أيضا على المساجلات مادة الدراسة؛ ومن هنا يتفقان وإن كان بشكل ضمني.

4 / 1 / 18 : الشعر في المساجلات التقليدية يعتمد على البيت الواحد وعلى التدريب وإظهار ملكة الحفظ لدى المبتدئين من الشعراء غالبا، بينما في المساجلات مادة الدراسة تعتمد على القصائد الكاملة، لأنهم شعراء لا مبتدئين.

4 / 1 / 19: المساجلات التقليدية ذات هدف .كما أوردت أعلاه .ومادة الدراسة في المساجلات لها هدف آخر؛إظهارجوانب إنسانية أخرى، فضلا عن المتعة والإثارة.

4 / 1 / 20 : الجمهور في المساجلات التقليدية قليل مقارنة بالمساجلات الإلكترونية، خاصة إذا نظرنا إلى أعداد المشاركين في التعليقات والإعجاب، وهذا يؤدي إلى أنه يمكن استنتاج مستويات التلقي لدى جمهوروسائل التواصل الاجتماعي.

4 / 1 / 21 : المشاركون في المساجلات التقليدية على علم مسبق بها، سوى أنها في المساجلات مادة الدراسة ليس لهم علم مسبق بها، خاصة في المساجلة الأولى، ويبقى المتلقي هو الفيصل في تحديد الزمن والرد.

4 / 1 / 22 : المشاركون أو الحضورفي المساجلات التقليدية ليس لهم هدف غير الامتاع والاستمتاع، في حين في المساجلة الإلكترونية دورهم قائم بالمشاركة التي تتباين بتباين المشاركين التي وصلت إلى حد المشاركة بالمساجلات، إذا بلغت خمس مطارحات.

4 / 1 / 23 : المساجلات التقليدية تعتمد على الإلقاء والأداء، بينما المساجلات الإلكترونية تعتمد على الكتابة، وشتان ما بين الحالتين.

4 / 1 / 24 : التعديل في المساجلات التقليدية صعب؛ لأنه يعتمد على اللحظة الآنية، بينما التعديل في المساجلات الإلكترونية أيسر، إذ يعتمد على إبداع القريحة.

4 / 1 / 25 : المساجلة التقليدية فريقان، بينما في المساجلة مادة الدراسة ليست كذلك، بناء على تقسيم أنواع المساجلات في موضع آخر.

4 / 1 / 26 : المساجلات التقليدية تعتمد على البيت الواحد، ومن ثم التحليل النصي فيها عصي، بينما التحليل في المساجلات الإلكترونية أكثر مناسبة؛ لأنها تعتمد على النص، والبيت / الشاهد من سمات نحو الجملة، في حين أن النص من سمات نحو النص.

4 / 1 / 27 : إذا كانت المساجلات التقليدية تبدأون بالروي الذي ينتهي إليه الأول، فإن المساجلة التي بدأها حماسة، كما في نص المساجلات، تنتهي بحرف الروي (الدال)، ثم تليها هاء تسمى (هاء الوصل)، ثم (هاء) الخروج، وحرف مد ناشئ عن إشباع حركة (هاء الوصل)، إذا كانت محركة بإحدى الحركات الثلاث. فهذا جعل المساجلات الأساسية بين محمد حماسة وسعد مصلوح، تنتهي بحرف الروي (الدال) مع الانتهاء بحرف الوصل (الهاء التي زيدت فيها حرف الألف نتيجة تحريك وإشباع الحرف (هاء الوصل). وهذا يؤكد ملاحظة أوردتها تاليا؛أن مساجلات حماسة ومصلوح أساسية خاصة ما وردت منها في المتن وليس في التعليقات.

4 / 1 / 28 : الشاعر في المساجلات التقليدية على استعداد نفسي وفني للمساجلة، وربما لم يقصد حماسة إلا أن يكتب قصيدة في صديق، فجاء رده عليه فأشعل (الواجهة)، خاصة أن لهما مريدين وطلابا، ثم جاءت المشاركات الفرعية الأخرى التي أوردتها في نص المساجلة لاحقا.

4 / 1 / 29 : تعدد الأغراض في المساجلات الشعرية القديمة، بناء على أن الحكم فيها يلقي بيتا ينتهي بروي محدد، فيأتي المتسابق الأول بروي ينتهي بذات الروي السابق، وعلى الآخر أن يبدأ بروي انتهى إليه السابق، وهذا كله لا يرتبط بالغرض بل بالروي، ولهذا يستنتج أن الأغراض الشعرية في المساجلات التقليدية متعددة، خلافا للمطارحات مادة الدراسة التي بين الأصدقاء.

4 / 1 / 30 : المساجلات القديمة أخدت أشكالا عدة؛ فيكتب الشاعر شعرا في صديق، فيرد عليه الآخر،وكانت الوسيلة هي المراسلة، فيطير الشعر فيتدخل آخرون، ويؤدي هذا إلى طول المدة الزمنية، أما على الواجهة فالمشاركة والتعليق والمداخلة متاح لمن أراد أن يلقي السمع وهو شهيد، كما أن كل من يريد أن يكتب دون إذن أو لقاء، على الرغم من تباعد الديار.

4 / 1 / 31 : التعليقات في المساجلات التقليدية غير متاحة، بينما في المساجلات الإلكترونية موجودة وتستغرق وقتا طويلا، ولا أدل على ذلك من أن هنالك تعليقات بعد وفاة حماسة بفترة من الزمن على آخر مشاركة له على الواجهة.

<u>4 / 2 : تقويم لساني للموائز بين النص التقليدي والنص الإلكتروني:</u>

4 / 2 / 1 : النص التقليدي يتخيل الكاتب مشاركا افتراضيا في الحوار، بينما المشاركون النص الإلكتروني فعليون، على تفاوت بينهم.

4 / 2 / 2 : التفسير والتحليل في النص التقليدي، لا بد أن يكون مقبولا ومعقولا لكي ينشر؛ إذ يحتاج إلى دوائر نشر،كما أن الاطلاع عليه لا يقارن بالنص الإلكتروني ؛ إذ هو أسرع نشرا و انتشارا في آن واحد.

4 / 2 / 3 : تفسير للنص التقليدي يستغرق وقتا طويلا، كما أنه يقتصر على فئة محددة من المثقفين والمختصين، خلافا للنص الإلكتروني الذي يشارك فيه المختصون وخلافهم.

4 / 2 / 4 : إذا كان المشاركون بالتفسير في النصوص الإلكترونية كثر مقارنة بالنص التقليدي، فإن هذا يؤدي إلى أنها ليست كل المشاركات فيها في الأخيرة فاعلة، خلافا للتفسير في النص التقليدي.

4 / 2 / 5 : كثرة وسهولة المشاركات وسرعتها وقلة تكلفتها في النص الإلكتروني، مقارنة بالنص التقليدي جعلت من الأول أكثر أهمية ومن الثاني أقل، بناء على ما ورد في بعض النقاط أعلاه.

4 / 2 / 6 : المشاركة بالتفسير والتحليل في النص التقليدي أكثر ثراء فيما يتعلق بمحتوى المادة، والمشاركة في النص الإلكتروني أقل ثراء؛ لأن في الأولى المشارك / المحلل واعي أو مثقف أو متخصص، بينما في الثانية خلافا لذلك.

4 / 2 / 7 : التفسير والتحليل في النص التقليدي أكثر قيمة وينماز بالعمق، بينما النص الإلكتروني تتعدد فيه وجوه ومستويات المشاركة بين فاعل حقيقي وسطحي وأكثر سطحية ... إلخ، وإن غلب على طابعها العام المجاملة والإطراء.

4 / 2 / 8 : التعديل والتصويب في النص التقليدي يستغرق وقتا أطول، بينما في النص الإلكتروني أسرع و أيسر، ومن ثم فهو آني. كما حدث حين عدّل حماسة بعض المواضع، مثل في 8 ديسمبر2013 في قصيدة سبتني، وفي تعليقه على صديقه سعد مصلوح في 9 ديسمبر 2013، وفي 10 ديسمبر 2013 على سبيل المثال.

4 / 2 / 9 : المشاركون في الحوار في النصوص الورقية يكون أشخاص افتراضيون، كما قلت في النقطة الأولى من هذا المطلب، بينما المشاركون في النصوص الإلكترونية ربما يكون شخصا واحدا، كما في الكتابة على الخاص، وقد يكون أكثر من شخص، وليس للمشاركة بالتعليق على النصوص الإلكترونية حدود تحدها.

4 / 2 / 10 : المشارك الافتراضي في النص التقليدي، ينتمي إلى اللحظة الآنية التي يُكتب فيها النص، في حين في النص الإلكتروني ينتمي المشاركون إلى أزمنة متعددة؛ إذ قد يكون آنيا، وقد يكون لاحقا؛ ومن ثم تتباين التفسيرات زمنيا؛ بمعنى أن التعليقات لا حدود لها من حيث التفسير،

4 / 2 / 11 : المشاركون في تفسير النص التقليدي غالبا ما ينتمون إلى أزمنة مختلفة، وكذا النظر إلى النص من زوايا عدة، بينما المشاركون في النص الإلكتروني . وإن تباعدوا زمنيا، إلا أنهم لا يقارنون بالنوع الأول.

4 / 2 / 12 : المشارك بالتفسير والإيضاح في النص التقليدي، يقدم رؤية قد تتفق أو تختلف مع رؤية الكاتب،مع . غالبا . عدم معرفة رد فعل الكاتب، خلافا للنص الإلكتروني، الذي تعد المشاركة فيه آنية مع الكاتب بشكل مباشر.

4 / 2 / 13 : الهدف من تحليل النصوص التقليدية أن يقدم رؤية متكاملة في مجال بعينه، ولهذا تتعدد رؤى النظر إلى الموضوع الواحد. بينما في في النص الإلكتروني الإيضاح ليس مقصودا قصدا،و إنما تقديم رؤية سريعة وموجزة ودالة.

4 / 2 / 14 : التحليل في النص التقليدي غالبا ما يستغرق وقتا، مقارنة بما يستغرقه في النص الإلكتروني؛ ولهذا وسمت الأول بالعمق غالبا، والثاني بالسطحية أكثر.

4 / 2 / 15 : تحليل النص التقليدي يكون ذا هدف أكاديمي أو ثقافي غالبا، بينما الهدف في المشاركة أو تقديم رؤية موجزة في النص الإلكتروني.

4 / 2 / 16 : النص التقليدي سهل الحمل وسهل النظر فيه والتعامل معه في أوقات وأزمنة مختلفة، لا يتغير النص، بل يتغير النظر إليه، في حين أن النص الإلكتروني يصعب معه كما مع النوع الأول.

4 / 2 / 17 : الكتابة الإلكترونية أيسر؛ لأنها من وراء حجاب، بينما الكلام المباشر صعب؛ إذ قد يتعثر إما حرجا وإما أن الشخص لا يجيد الكلام، ويجيد الكتابة.

4 / 2 / 18 : التصويب في الكتابة الإلكترونية والتعديل أسهل وأسرع، والتنبيه عليه أفضل، خاصة أنه من وراء حجاب، بينما في أثناء الكلام العادي سرعة لا تعطي فرصة للتعديل، وربما يكون الحرج علة قوية فيها.

4 / 2 / 19 : النص التقليدي مكتوب، بينما النص الإلكتروني منطوق مكتوب في آن واحد.

4 / 2 / 20 : بيان رأيك في النص الورقي صعب مقارنة بما في النص الإلكتروني؛ لأن الأول يحتاج تفصيلا، أما الثاني فرؤيته خاطفة.

4 / 2 / 21 : في النص الورقي الإدلاء برأيك يحتاج إلى مقومات كثيرة، أما في النص الإلكتروني، فلا يحتاج إلى تلك.

4 / 2 / 22 : في النص التقليدي الإدلاء برأيك يكون بين مجموعة محددة من المثقفين أو النقاد أو المفسرين، بينما في النص الإلكتروني مفتوح لكل الفئات.

4 / 2 / 23 : المشاركة في النص التقليدي يكون فرديا من حين لآخر، بينما في النص الإلكتروني يكون جماعيا في آن واحد.

4 / 2 / 24 : المشاركة بالتفسير في النص المكتوب، غالبا ما تكون فعالة، خلافا للنص الإلكتروني،إذ قد تشتمل على نوعي المشاركة، الفعالة وغيرها.

4 / 2 / 25 : التفسير في النص التقليدي يكون طويلا غالبا، ومن ثم يستغرق وقتا؛ إذ يعتمد آليات محددة، بينما في النص الإلكتروني التفسير موجز، لا يعتمد الآليات السابقة.

4 / 2 / 26 : النص التقليدي يستغرق وقتا في نشره، بينما خلاف ذلك في النص الإلكتروني.

4 / 2 / 27 : النص التقليدي يذكر فيه تاريخ النشر (غالبا)، بينما في النص الإلكتروني يكون التوثيق فيه أكثر دقة، إذ يشتمل على سنة النشر وتاريخ النشر وساعته، فضلا عن الموقع أو الحساب.

4 / 2 / 28 : قياس درجة الإعجاب في النص التقليدي والتفاعل صعبة القياس، بينما في النص الإلكتروني سهلة.

4 / 2 / 29 : النص التقليدي يطول ويقصر، بينما النص الإلكتروني طويل مقارنة بالنوع الأول.

4 / 2 / 30 : الأخطاء في النص التقليدي قليلة (اللغة العالية) بينما في النص الإلكتروني كثيرة، وغير مقصودة، بعضها بسبب العجلة، وبعضها يعود إلى الوسيلة، وبعضها يعود إلى عدم المعرفة، وكلها غير متوفرة في النوع الأول.

وقبل القرءاة الأخيرة لهذه الورقة، وقعت على كتاب (المحاورة مقاربة تداولية)، ووجدت فيه عنوانا: بعض مظاهر الاختلاف بين التواصل الشفهي والتواصل الكتابي. وهو عنوان قريب مما اقترحته هنا، على ما بينهما من فروق،غير أنه في عاقبة الأمر نقل عن (S.Moscovici) نقاطا أربعة، بعضها يتفق . في مجمله . مع ما ذكرته وبعضها الآخر يختلف[1]. كما أنه عاد نزلة أخرى وأضاف فروقا أخرى، سوى أنها من وجهة نظر مجموعة من الباحثين الذين ينتمون إلى علم النفس التجريبي[2]. وعاد ثالثة وذكر أسباب التمايز بين الحالتين[3]، ولهذا لزم التنويه.

****

---

1 د. حسن بوح: المحاورة مقاربة تداولية، ص 73.

2 السابق، ص 74، 75.

3 السابق، ص 75، 76. تجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق هنا وفي النقطة السابقة منقولة.

5 / 0 : نص المساجلات الإلكترونية و أنواعها وآليات الترتيب والاختيار:

5 / 1 : نص المساجلات:

الترقم العام للمساجلات	الترقيم الداخلي للمساجلات	نص المساجلات وترقيمها وتوثيقها
		(1)
1	1	إذا أنت في شــأن اللغات تعــذرت عليك أمور أو تأبى صعودها
2	2	فوكل بها (سعدا) فسعد بســرها عليم ولاتخفى عليه قصودها
3	3	فقد سلمته من قديم زمامـــــها فطابت ثمار العلم واخضر عودها
4	5	ومن شعره فاضت عيون قصيدها فأشرقت الأيام و ابيض سودها
5	5	فعشت لنا (سعد) و أنت منعــم مضيئا على الأيام إنك عيدها
		محمد حماسة: 6 ديسمبر، 2013.
		(2)
6	1	طحا بك قلبٌ في الديار يـــرودُها وجاءك من درّ القوافي فريدُها
7	2	إليك يزجَّيها على نـــــأي داره زهيرُ القوافي واحداً ولبيدُها
8	3	قؤولٌ على عرش القصيد متـوجٌ بكل شَرودٍ لا يُنادى وليدُها
9	4	أبا حاتمٍ مَن للمُعنّى تـــذوده قبائلُ من أشجانه ويذودُها
10	5	يضمّ إليه الليلُ أطفالَ همّــــه فيرأمها رفقاً بها ويزيدُها
11	6	أبا حاتمٍ أذريتَ في العين دمعـةً توقّدُ حتى ليس يخبو وقيدُها
12	7	وألبستني من باذخ النظم خلعةً يخُبّ بها خطوي ويبقى جديدُها
13	8	لك الشكرُ مني ما تراخت منيتي بدأتَ بأفضالٍ و إني معيدُها
		سعد مصلوح 6 ديسمبر، 2013، الساعة 10:03 مساءً.
		(3)
14	1	تفجر منك الشعر جزلا كأنني بصم القوافي قد رأت من يصيدها
15	2	تخيرها كالصير في مهـــــارة يخير ويفلى تاركا ما يذودها
16	3	إلى أن دنت في غير جهد يرى لـه فيحسده من حسنهن لبيدها
17	4	وما الشعر إلا نفخة قدسيـــة يجود بها الرحمان من لا يبيدها

18	5	نسخن كلامى بالبيان، و إننـــى	لمبتدئ أنشودة قد أجيدها
19	6	أأن قلت حقا خلتنى لك مادحا؟	وما قولتى إلا بقلبى نشيدها
20	7	وليس لسانى غير ريشة كاتـــب	وقلبى دواة والحنين وريدها
21	8	فداؤك نفسى من هموم تواطأت	فأنت لدار العلم فينا عمودها
22	9	بعدت ولم تبعد فإنك قائـــم	بنبض قلوب تستقيم عهودها
23	10	سواء علينا أن دنا بك منـــزل	وأن شحطت داروناء بعيدها
24	11	على أننى راج لقاء يضمـــــنا	بأرض بها النيل العظيم يجودها
		محمد حماس: 7 ديسمبر، 2013.	
		(4)	
25	1	أبا حاتمٍ أتعبتَ من جاء تاليـــا	وما قَسْمُه في الخطوِ إلا وئيدها
26	2	وتلك الجياد الصافنات مغـــيرةً	سراعا لِغايٍ لا يُرامُ شهودها
27	3	وتطوي سجلّ الأَرْضِ ضبْحــــاً	على المدى سواءٌ عليها غورُها
28	4	أجِدّكَ لا تنبُتْ دفيناً وَدَعْتُـــهُ	غياباتِ نفسٍ مُقرَحاتٍ كُبودُها
29	5	تكابد من عمري سنين خوادعــاً	جَهِدْن به زرعا ، ونزرٌ حصيدُها
30	6	تجافيتُ عن دارٍ طهورٍ صعيدُها	تجاوبَ فيها عادُها وثمودُها
31	7	لئن فُزّعَتْ طيرٌ أنيسٌ بوكـــرها	فماذا عليها أن أتى من يصيدُها
32	8	لخيرٌ لها مِن ذاك عرفاءُ جـــيألٌ	وكَشّةُ أفعى والعَمَلّسُ سيدها
33	9	وتالله يدري من تقلقل. جنبــه	إذا أضمرتْه الأرضُ أنّى يعودُها
34	10	على أنني راجٍ لقاءً يضمـــــنا	بأرضٍ بها النيل العظيم يجودُها
		سعد مصلوح: 7 ديسمبر، 2013.	
		(5)	
35	1	لأنك يا محروس ذو الفهم والحجى	وفي العلم سبَّاق وفي الفن فارس
36	2	وفي الدرس تمليه بكل تمكـــن	فتثقف عنك العقول الدوارس
37	3	أخاف عليك العين من كل حاس	فوثيت "محروسا" وربك حارس
		محمد حماسة : 7 ديسمبر، 2013، الساعة 8: 4 مساء.	
		(6)	
38	1	سبتنى قواف محكمات تليـــدها	طريف بأبيات أتانى بريدها
39	2	يجود بها (سعد) بنول بيانـــه	ويرسلها عصما بعيدا طريدها
40	3	فجاءت من الغيد الحسان تفردا	ولكن من الفردوس والحور غيدها
41	4	وترفل فى ثوب دمقس وحلـــة	ويحلى من الياقوت والدر جيدها
42	5	وينشدها عشاقها كل واحـــد	يظل بها يبدى وأخرى يعيدها
43	6	فتعلو بهم حينا وتهبط تلعـــة	ولو نزلت جرداء تخضر بيدها
44	7	وتعنو لها أذن امرئ القيس ترتوى	وعلقمة يرنو لها يستزيدها

45	8	ويختال ثم الشنفرى أن لمحتــه فما بال مثلى إذ حواه نشيدها
		××××
46	9	فيا (سعد) قد أوجعت قلبى بقولكم ودرت بعينى حالبات تجودها
47	10	عسى (سعد) أن نلقاك فى الداربيننا فنرجع أياما غذانا بعيدها !!
		محمد حماسة: 8 ديسمبر، 3013.
		(7)
48	1	طربتُ إلى شيءٍ وكنت هجرتُــه وهاجت بي الذكرى شجونا أُعيدُها
49	2	فيا أيها الشيخان أحييتما امْـرأً عفت روحُهُ النجوى ورثَّ جديدُها
50	3	ألحّ عليها الشِعرُحتى أقامهــاعلى متنه خضراءَ يهتزُّعودُها
		××××
51	4	أبا حاتم يا من عرفنا جلالـــه وكم عَثَّرت بالعارفين جدودُها
52	5	تر انا حَياءً مُطرِقين وحولَــنــا أحاديثُ زَوْرٍليس يُحصى عديدُها
53	6	تميدُ بنا - إمّا اعترتنا جـــراءةٌ إلي القول - أرضٌ، قبلُ كنا نُميدها
54	7	أبا حاتمٍ لا أوحشَ اللهُ قبـــةًيفيءُ إليها الناسُ، أنت عمودُها
		××××
55	8	ويا سعدُ، إمّا نازعتْك صبابــةٌ فثَمّ بشيرُ الخيرِجاء يقودها
56	9	لكم قَدَمٌ في كل قلبٍ ومــوطنٌ وهذي قلوبُ الناس نحن بريدُها
57	10	ويا سعدُ لا يحزنك شـــــيءٌ فكم فتى أرادت به الأوطانُ ما لا يريدها
58	11	لئن أشحَطَتك الدارَبغيا وضَلَةً فهذي العوادي قد تَعاقَبَ سُودُها
59	12	ترى كلَّ أرضٍ سادها أمــراؤها وساد بلادَ النيل رَغما عبيدُها
60	13	إذا أنكَرَت حُرًا بلادٌ أَحَبَّـــها تَناءَت بها الدُّنيا وحُقّ وعيدُها
		د. أحمد حمودة : 8 ديسمبر، 2013، الساعة 01:1 صباحا.
		(8)
61	1	قد أشرق (الفيس) وازدادت فضائله وغردت فرحا طرا بلابله
62	2	و أينعت ثمرا أفنان دوحتــــــه و أنشأت عزفا حلوا أنامله
63	3	وأذهبت سحب الإعراب عجمتــه وتاب فيه من الملحون قائله
64	4	وقال كل (جروبٍ) في مو اقعـــــه إلى (حماسةَ) تروينا مناهله
65	5	أما ترون فإن النحو ديدنـــــه وذي الدلالة أثرتها نو افله
66	6	وما العروض بناءٍ عن براعتـــه وذي الدلالة أثرتها نو افله
67	7	ما زال يتحفني علما ومعرفـــــة (بناء جملته) الميمون قائله
68	8	و(فتنة النص) لا تنفك عــن درر ينال منها غناء العمرسائله
69	9	قصدت في (مصرللتعمير) منزلــه لعرض بحثي إذ تمت مسائله

فكان حاتمها والجود خادمـــــه وآب قلبي وقد قرت بلابله	10	70
إن كان باعدني من طيب حضـرته طول الطريق ومن دهري شواغله	11	71
فكم حُسدتُ على (إشر افه) حسدا لو كان في جبل لانهدَّ كاهله	12	72
وكم فخرت على قوم فأسكـــتهم كوني (حماسيا) غرا رسائله	13	73
أحمد كمال: 8 ديسمبر، 2013.		
(9)		
جزى الله عني صادقين بلوتهـــم بأفضل ما يجزي كرام فوارس	1	74
هم طيَّروا ذكري بكل فضيلــة وما ضيعوني حين تندى المجالس	2	75
وما كان مني غير أني أودهـــموما ساورتني في الوداد الوساوس	3	76
فكل فضل فضـل عليّ ونعمـــــــة سأشكرها ما كان للروح حابس	4	77
محمد حماسة: 10ديسمبر، 2013: الساعة 10:40.		
(10)		
رأينك لما فرّق الناس مطمــــعٌ وبرقُ هوى من جامح الوهم خُلّبُ	1	78
جمعت خصال البروالبرُّضائعٌ كأنك جَدٌ للمكارم أو أب	2	79
فإن فرّق الناسَ التماسُ مذاهبٍ فليس لنا إلا حياضَك مذهبُ	3	80
د. أحمد حمودة:10 ديسمبر، 2013، الساعة 11:4 .		
(11)		
ليس بيني وبين صحبي حجــاب ليس ما بيننا سواه ، شراب	1	81
خالص لاتقله الأكــــــواب نتساقاه فى كلام حميم	2	82
وسؤال يضيع منه الجـــواب ثم نمضى وكلنا يتمنى	3	83
لو يطول اللقاء والإطـــراب طرب معجب وما من مغن	4	84
محمد حماسة: 10 ديسمبر، 2013، الساعة 06:07 مساءً.		
(12)		
جزى الله ميمات بشعـــر تهيضنا فمنهن طير ساكنات وحوم	1	85
يظل بهن القلب نهبا معلقـــــا فيهدأ أحيانا و أخرى يدوم	2	86
ولن يستقر القلب مادام حبــــه فيهدأ أحيانا و أخرى يدوم	3	87
فعشت لأهل العلـم ظلك وارف ب"سعد "قرين العمر يسمو ويعظم	4	88
ودام لأهل الشعر وردك صافيا نفىء إليه في الهجير وننعم	5	89
ومهما تكن في أي أرض فعـــش يروح ويغدو في حماك ترنم	6	90
جزى الله ميمات بشعـــر تهيضنا بها ستهفو لك الأرواح منا تسلم	7	91
محمد حماسة: 25 ديسمبر، 2013.		
(13)		

92	1	أتتني بجوف الليل والناس نوم	قصيدة "سعد" وهي دن مقدم
93	2	سكرت بها لما فضضت خاتمها	وظلت بها نشوان لا أتقدم
94	3	فناديت شعري فاستعاذ بوهيه	وقال: لعمري ما نسيجي محكم
95	4	فقلت: دعاني الحب والحب غالب	فقال: أحب الحب ما كان يكتم
96	5	.فقلت: دعاني الشكروالشكرواجب	فقال: إذن شكر الكريم مقدم
97	6	وقال: استعن بالله فالشكر حقه	فقلت: و أنى لي؟ الشكر أعظم
98	7	فيا "سعد" عفوا عن بيان مقصر	وعفوك عنه بعض ما تتكرم
		محمد حماسة 25 ديسمبر 2013: 10:48 صباحا.	
		(14)	
99	1	له مذهبٌ فى العلم عزّوجـــــودُه	ونحلةُ أخلاقٍ عصىٌّ وجـودها
100	2	بيانٌ مضىءٌ ، جاهلىٌّ معاصـــــرٌ	وشعرٌكما خطَّ القصيدَ وليدُها
101	3	وإن شئتَ ف"الأعراف" خيرُقصيدةٍ	سيبقى على سمع الزمان نشيدُها
102	4	هى السحرُ، قد كانت محالا فأمكنت	طاعتْ عِواصيها ، ولانَ حديدُها
103	5	فدمتَ لنا شيخا كريما وشاعـــرا	وروضةَ علـمٍ لا تجفُّ ورودُها
104	6	فما أنت سعـدٌ واحـدٌ، لا، و إنـــــما	سعـودٌ كرامٌ قد توالتْ سعـودها
		شريف ر أفت : 14 يونيو، 2014، الساعة 8,18 مساء.	
		(15)	
105	1	يا سعد والأيام محفـــــورة	في القلب عنها ما له من محيص
106	2	ما زلت تلقي الشعر تأتي بـه	ذا بهجة يفرّج الهم النغيص
107	3	مجلو أبيا بنظم جــــــلا	أنفاسه حسن كوجه نميص
108	4	فإن جا فالهجو من لفظـه	ينفذ جرحا كسلاح محيص
109	5	ومن هجا يمض في ذلـــة	في الناس تلقاه بقدر نقيص
110	6	وإن يكن مدح فإن الــذي	يمدح يزدان بتاج عقيص
111	7	فتحت للصاد علينا الكوى	وليست الضاد الروي الدليص
112	8	فأصبحت تجري كسيل وفي	في محكم الشعر وليست تديص
113	9	فافتح خبئ الشعر يا سعد	و اقبل من الإخوة جهد الحريص
114	10	لززتني في قرن واحـــــد	مع ابن مصلوح و إني رهيص
115	11	وعلمه كالشمس رأد الضحى	وليس لي من ضوئها من بصيص

116	12	والمدح إما كان ناقـــــد	مثلك يغلي الشيء وهو رخيص
117	13	قدمت للنقد على قمـــته	منه، لك الأمجاد فيها قميص
		محمد حماسة: 30 / 10 / 2015	

××××

- **ملاحظات شارحة تتعلق بالجدول أعلاه:**

وضعت ترقيما عاما للمساجلات وآخر داخليا، ورتبت الجدول على ما هو وارد عليه لما يلي:

أولا: أن الترتيب العام يشير إلى أن هذه المساجلات على الرغم من تباين المقامات في تأليفها، إلا أنها تمثل قصيدة واحدة.

ثانيا: أن الترتيب الداخلي لكل مساجلة على حدة مفيد في التحليل، فمن شاء الرجوع إلى الأرقام المستخدمة في التحليل يكون الأمر عليه سهلا ميسورا.

ثالثا: وضعت عقب كل مساجلة اسم صاحبها والتاريخ والتوقيت كلما أمكن ذلك.

رابعا: وضعت بداية كل مساجلة رقما خاصا بها، ابتداء من 1 حتى 15، وهذا مفيد حين الرجوع إلى المساجلات بأرقامها.

خامسا: جدول يلخص المساجلات وعدد أبياتها في نص القصيدة ونسبها وكذلك المساجلات مادة الدراسة:

م	أسماء الشعراء	المساجلات وأرقامها في الجدول	عدد الأبيات	النسبة العامة	أرقام المساجلات مادة الدراسة في الجدول ونسبها		
					أرقام المساجلات	عدد الأبيات	النسبة
1	محمد حماسة	1، 3، 5، 6، 9، 11، 12، 13، 15	64	%55	1، 3، 6	26	% 59
2	سعد مصلوح	2، 4	18	% 15	2، 4	18	% 41
3	أحمد حمودة	7، 10	16	% 13,6	-	.	.
4	أحمد كمال	8	13	% 11	-	.	.
5	شريف ر أفت	14	6	% 5	-	.	.

جدول يوضح عدد ونسبها في المساجلات في نص القصيدة والمساجلات المعتمدة في الدراسة (في الجدول السابق)

5 / 2 : أنواع المساجلات الإلكترونية وآلية ترتيبها:

يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع كما يلي:

. الأول: المساجلات الأساسية: مطارحات حماسة ومصلوح؛ لأنهما المطارحان الأساسيان؛ إذ إنهما سبب مباشر في المساجلات الأخرى، وعليهما بنيت؛ باستثناء مطارحتين لحماسة لبعض تلاميذه وردتا في التعليقات، فضلا عن أنهما ليسا في مصلوح وأخذتا منحى آخر من حيث المكان والشخوص،

ولهذا عددتها من النوع الثاني الفرعي. وقد بلغت مطارحتهما إحدى عشرة مطارحة؛ هي: الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة، والثالثة عشر والخامسة عشر. كان نصيب حماسة منها تسع مطارحات، الأرقام: (1، 3، 5، 6 ، 9، 11، 12، 13، 15)، بينما كان نصيب مصلوح اثنتين، الرقمان: (2، 4). شريف رأفت، الرقم: (14)، وأحمد حمودة اثنتان، الرقمان: (7، 10)، وأحمد كمال واحدة، الرقم: (8).

. الثاني: المساجلات الفرعية؛ مطارحات المشاركين الآخري؛ أعني بها المساجلات التي كانت من قبل التلاميذ والمريدين●، مثل: مساجلة أحمد حمودة، محمد كمال، وشريف رأفت، ومحروس بريك، وأحمد مجدي؛ فقد كان لكل واحد منهم مساجلة باستثناء أحمد حمودة الذي كانت له مطارحتان: أحمد حمودة، محمد كمال، شريف رأفت، وأحمد مجدي قطب على الأهمية الواردة في النص الإلكتروني، وقد جاء هذا الترتيب لأن أحمد حمودة خصه حماسة بمساجلة1، كما أن له مطارحتين. وقد جعلت قصائد المشاركين فرعية، ليس لأنها أقل أهمية، بل لأنهم شاركوا الشاعرين، خاصة أن حماسة له مطارحات شارك فيها بعض تلاميذه، كما هو وارد في مادة الدراسة أعلاه. ومن ثم، فقد شارك بتسع مطارحات من (خمس عشرة) مساجلة.

-الثالث: التعليقات : من الأصدقاء والمريدين والتلاميذ كثيرة وموثقة على الواجهة، وتحتاج إلى أن توثق في فصل مستقل، إذ تعد تراثا يندر وجوده أو إعادته تارة أخرى، خاصة بعد وفاة العلامة حماسة. وهي كاشفة عما هو وارد في المساجلات وجالية لجوانب كثيرة في التحليل.وفيما يلي تفصيل ما ورد عاليه.

وإذا اعتبرنا هذه المساجلات قصيدة واحدة. فلهذا علاقة بقضية تماسك أبنيتها اللغوية سواء بين حماسة منفردا أم مصلوح أم غيرهما، على الرغم من أنها تنتمي إلى عدد من الشخوص، وكتبت في فترات زمنية متقاربة تاريخيا لا مكانيا، على ما يوضحه تاريخ النشر: (2013)، خلافا للمساجلة الأخيرة التي نشرت: (3 0/ 10 . 2015م)؛ أي قبل وفاة حماسة بقمرين كاملين، وبعد المساجلات السابقة بحجتين، إلا أن العلاقة بينها ليست بخافية، ويستطيع الناظر إذا رجع البصر أن يستظهر جوانب

● لم أرفي الفترة التي قضاها حماسة في الكتابة على الواجهة كثيرا من أصدقائه وزملائه باستثناء سعد مصلوح وأحمد درويش وسعيد شوارب ومحمد عبد المطلب من الأصدقاء، ومن المحبين الشاعرة اللبنانية هدى ميقاتي والناقدة رجاء ميقاتي وغيرهم، وبعض تلاميذه، أمثال أحمد حمودة ومحمد متولي ومحروس بريك وأحمد بلبولة وغيرهم، وهم من الدكاترة الشعراء من الشباب، كما يلاحظ أن هنالك خلقا كثيرا ممن تتلمذوا على يديه سواء في قاعات الدرس أم على مؤلفاته في الجامعات المصرية والعربية، وهذا الصنف يتغير من آن لآخر.

1 كان لأحمد حمودة مساجلات مع حماسة، وكانت وثيق الصلة به؛ على ما أوردت، وقد جمعها عقب وفاة حماسة ووضعها على موقعه، وقد رثاه ليلة وفاته بقصيدة من أجمل قصائد الرثاء العربي، وكلها على الرابط الآتي:

https://www.hamassa.com/2016/05/13/%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%88%D8%A3%D9%86%D8%A7-%D9%85%D9%82%D8%AA%D8%B7%D9%81%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%AC%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1/

الربط بينها. وعلى هذا الأساس نعدها قصيدة واحدة، مقسمة إلى عدد من المساجلات بترقيم واحد مع المساجلات الأخرى، وبترقيم آخر بين المساجلات لما يأتي:

.أولا: أن الغرض واحد :(المدح والإطراء)، والممدوح بدا واحدا (حماسة ومصلوح)، ثم تفرع إلى شخوص آخرين، تمثلت في الشخوص الفرعيين، ثم الشخوص المشاركين في التعليقات.

.ثانيا: أن كل مساجلة تقدم ملمحا لا تعبر عنه الأخرى.

.ثالثا: أن كل المساجلات وردت على بحر الطويل خلافا للأخيرة.

كما يلاحظ أن الشاعر كتب مطارحاته كلها خلافا للأخيرة، بطريقة توحي أنها من شعر التفعيلة، على الرغم من أنه التزم فيها بالوزن العروضي، ويبدو أنه استعمل الطريقة السابقة؛ لأن النشر على الواجهة وتحديدا الكتابة من خلال الهواتف الذكية لا تتيح مكانا، وفي هذا إشارة إلى:

-أولا: أن كل مجموعة مما هو وارد في نص المساجلة الأخيرة يمثل بيتا قائما بذاته.

-ثانيا: ربما أراد أن يلفت نظر القارئ إلى أن هذه المساجلات قصيدة واحدة موزونة عروضيا.

-ثالثا: أن هذا الفعل الذي جاء متأخرا، بعد ملاحظة أنه ربما يلتبس على القارئ، خاصة أنه ليس كل من يقرأ الشعر يقرضه. وقد أشار حماسة إلى هذه الماحظة في التعليقات حينما طلب من أحمد بلبولة: اكتب كل عجز تحت صدره حتى لا تختلط الأبيات على غير الشعراء: (23 . 10 . 2015). وأشير على سنة الاختصار أن هذا الصنيع، لا يمكن مقارنته بما قام به أحمد حمودة الذي أورد تعليقا على مساجلة مصلوح الثانية: (7 / 12 / 2013)، حين جاءت مطارحته في أقسام ثلاثة؛ وهو تقسيم يوحي أنه قائم على المعنى، وأن علاقة الأبيات داخل المساجلة لا تخفى على القارئ.

5 / 3 : آلية الاختيار:

.محمد حماسة: تسع مطارحات.

.سعد مصلوح: مطارحتان.

.أحمد حمودة: مطارحتان.

. شريف ر أفت: مطارحة واحدة.

. أحمد كمال: مطارحة واحدة.

وسأقتصر على مطارحات محمد حماسة وسعد مصلوح لما يلي:

-أولا: إن المساجلة بين محمد حماسة وسعد مصلوح .وهما المعنيان بالمساجالات.

-ثانيا: إن مطارحتيهما وردت في المتن، خلافا لبعض المساجلات التي أوردها حماسة في التعليقات ردا على بعض تلاميذه. وإن كان هذا لا يقلل من قيمتهما الفنية.

-ثالثا: استثناء المساجلات الأخرى، نتيجة أنها لم تلتزم بالروي الذي أقام عليه حماسة ومصلوح رويهما، وهو الدال الذي تُلي بهاء الوصل، وما تبعها بهاء الخروج.

-رابعا: التركيز على قصائد بعينها لحماسة ومصلوح، يعمق التركيز على أشكال الربط فيها.

-خامسا: إن المساجلات الأخرى متباعدة زمانيا، خلافا لمطارحات حماسة ومصلوح، التي كتبت في أيام ثلاثة، ما بين 6 و 8 من ديسمبر، 201؛ أعني مادة الدراسة، خلافا للمطارحات الأخرى بينهما.

-سادسا: استثنيت التعليقات، وهي كثيرة وتحتاج إلى دراسة موسعة.

فإذا كانت الدراسة ستركز على بعض مطارحات حماسة ومصلوح، فلماذا تم إدراج المساجلات الخمس عشرة في مادة الدراسة؟ الإجابة على هذا أن الهدف من هذا البحث، فضلا عما ذكرته، ينبه الباحثين إلى هذه المادة اللغوية، ومن ثم فإن إدراج هذه المساجلات في مادة الدراسة يعد حفظا لها، كما أنها مجتمعة تعطي تصورا كاملا عن المساجلات مما يظهر جوانب نيرة.

6 / 0 : من أشكال الربط في المساجلات الإلكترونية:

6 / 1 : توطئة:

ما أوردته من مساجلات بين حماسة ومصلوح ليس كلا بل بعضا، ولهذا سأحاول أن أتوقف عند بعض المساجلات بينهما، وهي تتفق مع ما أورده د. محروس بريك1. المذكورة وكذا في نص القصيدة تحت الأرقام: (1، 2، 3، 4، 6)، ففي بعض المساجلات بين حماسة ومصلوح مذكورة في المساجلات لم تذكر عند د. بريك، ولهذا سيكون التركيز على المساجلات الخمس بين حماسة ومصلوح، وربما يسأل سائل: إذا كان د. بريك ذكر مساجلتين لهما، فلماذا اخترت واحدة وتركت أخرى؟ و تركت الأخرى، لأني لا أعرف لها مصدرا ولا تاريخا، أما المعتمدة هنا فتمثل نقطة لقاء مع ما أورده الباحث الكريم. وبناء عليه، تركت ست مساجلات لحماسة (والسادسة) مع مصلوح وغيره لبحوث قادمة. ويمكن تقسيم المساجلات المعتمدة في هذا البحث تقسيما عاما كما يلي:

1. المساجلة الأولى: الأبيات: (1 : 5)، وترتيب موضوعاتها كما يلي:
   . الأولى: البيت الأول: قضية عامة.
   . الثانية: . تفصيل العام: (اللغات): البيتان: الثاني والثالث.
   . الثالثة: تفصيل التفصيل كما يلي:
      . تخصيص العام: (الشعر): البيت الرابع.
      . تخصيص التخصيص: (سعد) بالدعاء: البيت الخامس.
2. المساجلة الثانية الأبيات: (6 : 15)، وترتيب موضوعاتها وفق ما يلي:
   أ . تخصيص العام الشعر: (الأبيات: 6 : 7).
   ب . الوصف: حالة وصفية: (الأبيات: 9 : 11).
   ج . حديث الذكريات: حديث عن الصداقة: (سعد): (الأبيات: 12 : 15).
3. المساجلة الثالثة: (الأبيات: 26 : 41): وترتيب موضوعاتها كما يلي:
   . حديث مفصل عن الشعر، أو وصف للحالة الشعرية التي عليها سعد: ترتبط بالبيت الرابع من المساجلة الأولى.

---

1 على الرابط:

http://www.hamassa.com/2016/03/07/%D8%B9%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7-%D9%8A%D8%B5%D8%AF%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%B7%D9%88%D9%8A%D9%84%D8%A9/

4. المساجلة الرابعة: (الأبيات: 26 : 41): وصف شاعرية حماسة.

5. المساجلة الخامسة: (الأبيات: 39 : 48): وصف شاعرية مصلوح.

وتمثل المساجلات قصيدة واحدة مكونة من مجموعة من المساجلات التي تباينت فيما بينها في عدد الأبيات، كما تباينت في الأفكار لكنها تفصيل للسابقة، وإذا كانت هذا المساجلات تكوّن بنية لغوية واحدة، فإن ضمن هذه الروابط ما لا تخطئه العين قضية الشعر عند مصلوح. وهي نقطة الارتكاز في المساجلات. وإذا كانت القضية العامة الأولى الواردة في البيت الأول قضية اللغات، فإن حماسة أوردها في بيتين، سوى أن ما يلاحظ أن سعدا لم يولها اهتماما يذكر. وقد رتبت بترقيم متسلسل، على أساس أنها تمثل قصيدة مسبوكة محبوكة، جاءت في نفحات شعرية، يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

. النفحة الأولى: (الأبيات: 1: 5): محمد حماسة.

. النفحة الثانية: (الأبيات: 6 : 12): سعد مصلوح.

. النفحة الشعرية الثالثة: (الأبيات: 16 : 25): محمد حماسة.

. النفحة الشعرية الرابعة: (الأبيات: 26 : 41): سعد مصلوح.

. النفحة الشعرية الخامسة: (الأبيات: 42 : 46): محمد حماسة.

جعلت النفحة الخامسة ضمن النفحات الأخرى، على الرغم من أنها كتبت في فترة متأخرة. ويلاحظ ما يلي:

الأولى: أن النفحات على الرغم من تباينها زمانيا وشخصيا وموضوعاتيا، إلا أنها محبوكة.

والثانية: أن النفحات الأولى والثانية والثالثة، تتفق، كما يلاحظ، حول عدد من الجوانب على النحو الآتي:

1. أن الوزن العروضي واحد، وهو بحر الطويل: (فعولن مفاعيلن)، وقد وقع في كل تفعيلاته القبض فقط.

2 . تتفق في قرب المدة الزمنية التي أنجزت فيها، كما تشير تواريخ النشر، كما أنها تنتهي بهاء الوصل المحركة بألف الخروج؛ لأنها في حالة الإشباع (هاء الوصل) تقع عقب حرف الروي وتقدر بالنظر، على ما تورده المصادرالعروضية.

3 . النفحة الأخيرة تختلف عن سابقاتها من حيث ترتيبها الزمني من ناحية، وبما يلي من ناحية أخرى:

أ . تباين النفحات السابقة من حيث المدة الزمنية، فقد نشرت في 30 / 10 / 2015، بينما النفحات الأخرى في ديسمبر 2013.

ب . جاءت كل المطارحات على وزن بحر الطويل، بينما جاءت مساجلة (2015):

يا سعد والأيام محفورة ... على بحر البسيط، وبروي مختلف وهو الصاد.

نال الشعر حظا موفورا من حماسة ومصلوح؛ لأنه ربما يمثل قاسما مشتركا، ألا يعد الشعر قاسما مشتركا بينهما وبين الآخرين؟ وقد بدا أن هذا الاهتمام أخذ جانبا منه يتبدى لدى حماسة في مساجلته الأولى؛ حيث جعله النصف، إلا أن مصلوحا في مطارحاته الأولى: (طحا بك قلب في الديار

يرودها) بدأ مركزا على الشعر لدى حماسة، ولهذا قلت إنه يمثل قاسما مشتركا ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ألم يتميز حماسة في اللغة كما تميز في الشعر؟ (ينظر: 1 / 3 من البحث).

وإذا كانت الإجابة أعلاه غير كافية ولا و افية، فإنه يتعين أن تكون هناك إجابة أخرى، خاصة أن حماسة صاحب البداية وصاحب المشروع الذي دفع مصلوحا والآخرين دفعا للمساجلة، إلا أن مصلوحا توجه تلقاء الشعر، ويبدو أنه ركز عليه؛ لأنه يرى أنه لا يمثل قاسما مشتركا بينه بين حماسة فقط، بل بينه وبين الآخرين من التلاميذ والمريدين، وهو يعلم أن مجاله وساحته على (الواجهة)، وأن الذين يقرأونه ويتداولونه سيكونون أكثر أهمية، خاصة حين التعامل مع وسيلة جديدة، وهي (الواجهة)، وهي أكثر وأسرع انتشارا. وإذا كان لحماسة ثلاث مساجلات، هي الأولى والثالثة والسادسة، فإن لمصلوح مساجلتين، هما الثانية والر ابعة في ترتيب المساجلات (الأبيات: 1: 48) باستثناء (الأبيات: 36، 37، 38). و أبدأ في استظهار جو انب الربط فيما يستقبل من حديث. وسيكون التركيز على ملمحين في تحليل المساجلات الخمس:

.<u>الأول</u>: من أشكال الربط في المساجلات.

.<u>الثاني</u>: أشكال أخرى للربط في المساجلات.

<u>6 / 2 : الوزن العروضي ودوره في الربط النصي:</u>

جاءت المساجلات على بحر الطويل (فعولن مفاعيلن) الذي تكرر أربع مرات في كل شطرة؛ أي جاء تاما. وهو من البحور المختلفة بين الخماسية والسباعية، وينتمي إلى دائرة المختلف، الذي يضم ثلاثة بحور هي: الطويل والمديد والبسيط، وسميت بهذاالاسم لاختلاف في أجزائها بين خماسية: (فعولن، فاعلن) وسباعية: (مفاعيلن، مستفعلن). كما أن هذا البحر من البحور التي استعملت كثيرا في الشعر العربي القديم.

ويعد القبض من أهم الزحافات التي تصيبه. غير أن الملاحظ على هذه المساجلات أنها لم يصبها من الزحاف إلا القبض، وهي ملاحظة تستوجب التوقف أمامها. فالقبض هو حذف الخامس الساكن، ويقع في التفعيلتين، ف :(فعولن) حين يصيبها القبض تصير (فعولُ) وأما (مفاعيلن) فتصير(مفاعلن)، وعروض هذا البحر دائما مقبوضة. ومن المفارقات أن القبض يقع في تفعيلتي البحر، فضلا عن أن عروضه وضربه مقبوضتان في كل المساجلات المعتمدة في التحليل بين حماسة ومصلوح. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يلجأ الشاعر إلى الزحاف والعلل في المساجلات؟ الزحاف والعلل أشبه بأوتار عود يعزف الشاعر عليها ألحانه وأشجانه وأطراحه و أفراحه؛ فالشاعر حين يريد أن يعبر عن أفكار سريعة يلجأ إلى البحور المجزوءة أو يحدث زحافا في البيت تناسب حالته، واستعمال هذه الزحافات والعلل في قصيدة وعدم استعمالها في أخرى يكون مقصودا ويمكن توظيفه بما يناسب المقام.

وإذا كنت قد أوردت (ينظر: 1 / 3 من البحث): أن المساجلات فيها من البوح والتثري والشكوى والفخرواستعادة الماضي ... إلخ، كل هذا يتو افق مع استعمال هاء الوصل، على الرغم من أنها ليست حرف الروي في المساجلات، ومن الملاحظ أن المساجلات على بحر واحد وتنتهي بهاء الوصل، خلافا للمساجلة الأخيرة، التي ربما فيها من المد ما يناسب موضوع المساجلة.

7 / 0 : من أشكال الربط في المساجلة الأولى:

إذا كان الباحثون قد قسموا الربط إلى نوعين؛ السبك المعجمي، وهو ما يتعلق بظاهر النص، وعندي أنه يرتبط بظاهر النص وعالمه معا، ويضم التكرار بأنواعه، والمصاحبة المعجمية وما تشتمل عليه، فإن قسيمه الآخر الربط من خلال العلاقات المفهومية، تشتمل على العلاقات الرابطة والعلاقات بالتبعية، ويشتمل كل منهما على أقسام، فتضم العلاقات الرابطة: (الإضافة، العطف، الفصل والوصل)، أما القسم الآخر فيضم: (الإجمال والتفصيل، العموم والخصوص، الشرط، التبعية). ونظرا للتداخل في التحليل بين هذه المكونات، سأحاول أن أعالج هذه القضايا مجتمعة؛ لعدم التكرار. وسأفصل القول في السبك المعجمي على ما هو في نص المساجلة.أما التحليل المتعلق بالجانب المفهومي، فسأقتصر فيه على عنصرين كاشفين؛ الربط بالعطف والربط بالإجمال والتفصيل؛ لأنهما العنصران الظاهران في نصوص المساجلات، ولهذا وجب التنويه.

7 / 1 : حبك النص: الإجمال والتفصيل :

تتكون المساجلة من خمسة أبيات، يمكن تقسيمها كما يلي:

-القضية الأولى: قضية اللغات:

. البيت الأول: الإشكالية: (القضية).

. البيت الثاني: حل الإشكالية والتخصيص.

. البيت الثالث: تفصيل التفصيل.

.القضية الثانية: الشعر: تمكنه منه وما يترتب عليه.

. القضية الثالثة: مترتبة على القضيتين الأوليين. ويتمثل في البيت الأخير الذي يشتمل على جانبين: الأول: الدعاء لسعد بإطالة العمر في نعماء. والثاني: مضيئا على الأيام: إنك عيدها. على الرغم من أن البيت الخامس والأخير في المساجلة، إلا أنه جاء نتيجة للأبيات السابقة، كما أنه يمكن تسميته بالخلاصة، أي أن قوله: (إنك عيدها) ليس نتيجة لصدر البيت فقط، بل خلاصة لكل الأبيات السابقة ومترتبا عليها ونتيجة لجانبين؛ الأول: لما ورد في البيت الأول، والثاني: لما ورد في كل المساجلة. فإذا كان التركيز على سعد في قضيتين أساسيتين، فإن البيت الأخير: (إنك عيدها) يمثل خلاصة الأبيات، وتأتي الجملة التي أنهى بها القصيدها؛ لتمثل نتيجة النتيجة، وهي مترتبة على كل ما سبق: (إنك عيدها). يمثل البيت الأخير خلاصة الرسم الشعري؛ لأن فيه دعاء بالصيغة الخبرية: (و أنت منعم. مضيئا على الأيام)، ومن ثم، فتنوع صيغ السيمات اللغوية في البيت يمنحه تكثيفا دلاليا بين الخبر والإنشاء على النحو الآتي: (فعشت لنا سعد، أنت منعم. مضيئا على الأيام إنك عيدها)، وكأنه يريد أن يقول أكثر من هذا، سوى أن الوزن العروضي لا يسمح بذلك.

ولمَّا لم يكن ليستطيع أن يكمل هذه الأدعية في البيت الأخير ختم بجملة خبرية: (أنت منعم) التي تمثل نتيجة لما ورد في القضية الأولى والثانية، وفي النتيجة التي تمثلت في البيت الأخير، وهو فيه ما فيه من الدعاء، إلا أن عبارة استدراكية أخيرة على ما فات من الأدعية، أنهى بها القصيدة. وكأنه يقول

إن ما قلته عن سعد في القضية الأولى والثانية والنتيجة لنرى العبارة الأخيرة، يكون لها تأثير، إذ لم تذكر الصيغة الاستدراكية، وكأنها تمثل نتيجة النتيجة، فإذا كان البيت الأخير نتيجة: (فإنك عيدها) نتيجة النتيجة، التي حاول أن تكون نتيجة ليست للبيت الأخير فحسب، بل لكل أبيات المساجلة؛ إذ بوجوده: (سعد) أشاع البهجة والفرحة التي يمثلها العيد، ومن ثم جاء اقترانه به.

كما بدا أنه يرتبط بالبيت الأخير، فإذا كان الشاعر في الشطر الأول دعا لسعد بطول العمر وأن يعيش في نعماء، وأكمل في الشطرة الثانية التي جعلها نتيجة وليس صفة، على الرغم من أن موسيقى الشعر لم تتأثر، فقد جاءت الشطرة الأولى والثانية من العروض مقبوضة: (فعولُ مفاعلنْ: /// ////) وهذا يحدث توازنا إيقاعيا يريح الأذن، كما أن هذا القبض الذي حدث في الشطرتين أربع مرات، يؤكد الفكرة التي عرضت لها سابقا، وكأنه يريد أن يذكر صفات أخرى لصديقه، غير أن الوزن العروضي حال بينه وبين الإطالة، كما أن إحداث القبض في الحالتين، يشير إلى محاولة الشاعر ذكر أكبر عدد ممكن من الصفات، فكان يختصر في البنية اللغوية لإضافة صفات أخرى، كلما وجد إلى ذلك سبيلا.

كما أن تلك الفكرة تؤكد عدم إكمال صفاته الأخرى، وأنه في المساجلة الأخيرة يذكر له صفات أخرى؛ كالمدح والهجاء والنقد ... إلخ. كما أشير إلى قضية أخرى ترتبط بموسيقى المساجلة؛ إذ ذكر أنه حاول أن يقدم دعاء في صور متباينة، ويبدو أن هذا كان واضحا في ذهنه منذ البداية؛ فقد جاء بالتفعيلة الأولى مقبوضة: (///)، ويبدو أن الحديث حين يكون عن صديقه يطيل، ومن ثم لا يقبض، كما حدث في جوانب أخرى من المساجلة، فجاءت التفعيلة في: (لنا سعد) ووزنها العروضي صحيحة: فعولن: (////)، وكأنه يتلذذ بذكر اسم (سعد)، فلم يقع معه القبض، وجاءت التفعيلة صحيحة، مما يشير إلى سعادته حين ذكر صاحبه، ومما يؤكد هذا الملحظ أنه حين ذكر: (سعد) لأول مرة في المساجلة: (من البيت الثاني)، جاء الوزن العروضي صحيحا: (////). وما يؤكد هذا الملحظ أني تتبعت في المساجلات مادة الدراسة اسم (سعد) فوجدت أن وزنه عروضيا جاء صحيحا؛ لم يصبه شيء من الزحافات والعلل. كما أن الوقوف على التفعيلات التي جاءت صحيحة في القصيدة، يمكن أن تكون ذات دلالة حاصلة، فحين الحديث عن:

- البيت الثاني: (أنه لا تخفى عليه).
- البيت الثالث: (ثمار العلم).
- البيت الثالث: (أشرقت الأيام).
- البيت الرابع: (مضيئا على الأيام).

يلاحظ انتشار التفعيلة كاملة الوزن، وتوزيعها على النحو الآتي:

- التفعيلة الثانية من الشطرة الأولى عدا البيت الثالث.
- التفعيلة الثانية من الشطرة الثانية عدا البيت الثالث.

وكأنه يريد أن يقول إنه سيركز على جانبين من كل بيت: (الإشكالية ووضع الحلول)، فإذا وردت الإشكالية في الشطر الأول: وهو الحديث عن سعد ضمنا، فيطيل وتأتي الشطرة الثانية حين يبدأ في الحل، فيطيل التفعيلة الثانية في الشطرة الثانية، وهذا إعجاب، حين نرى إشكالية: (شأن اللغات) وأكثر إعجابا حين يقدِّم سعد لها حلا، وعلى هذا تتسق إطالة التفعيلتين حين تأتيان صحيحتين (///)

لأنهما يناسبان إعجاب حماسة، كما أن هذا التفسير يتسق مع ما ورد في البيت الأول الذي يعد الركيزة الأساسية لكل أبيات المساجلة وغيرها من المساجلات الأخرى.

يلاحظ أن حماسة بداية جعل البيت الأول مفتاحا للمساجلة، وهو على رأي البلاغيين، مجمل، في حين تأتي المساجلة تفصيلا للبيت الأول. فحين أراد الشاعر أن يتحدث عن صديقه تناول جانبين، الأول: اللغات، والثاني: الشعر، وجاءت البقية الباقية من الأبيات تفصيلا، فإذا كان البيت الأول تناول اللغات، فإن البيت الثاني جاء تفصيلا للقضية العامة وسردا لها، ثم يستفيض في البيت الثالث، وكأني أرى أن (البيت الأول) إجمال الإجمال في مقابل البيت الثالث تفصيل التفصيل، ويأتي البيت الثاني وهو التفصيل، وهو الذي يمثل مرحلة الانتقال من إجمال الإجمال إلى تفصيل التفصيل.

<u>7 / 2 : العلاقات الرابطة: الربط بالعطف والشرط:</u>

يلاحظ . بناء على ما أوردنا . أن الحديث عن سعد يمثل المحور الأساسي. ركزت المساجلة على نقطتين؛ اللغات والشعر، فإذا كان البيت الثاني والثالث تفصيلا للبيت الأول، فإنه استعمل في صدر البيتين الثاني والثالث: (الفاء) الدالة على السرعة والتعقيب؛ دلالة على الارتباط بين الأبيات بينهما مع البيت الأول، وهذا يؤكد الاستنتاج الذي توصلت إليه في المطلب السابق. أما في القضية الأخرى الخاصة بالشعر، فقد استخدم (الواو) الدالة على الجمع والمغايرة، وفي هذا ملمح آخر؛ أنه سيتوجه تلقاء قضية أخرى، وهذا يؤكد الاستنتاج السابق. وبناء عليه يمكن تقسيم الروابط الظاهرة في نص المساجلة على النحو الآتي:

. البيت الثاني: فوكل.

. البيت الثالث: فقد.

. البيت الرابع: ومن شعره.

. البيت الخامس: فعشت لنا سعد.

ومن ثم انحصرت الروابط الظاهرة في: (الواو، والفاء) في سيطرة واضحة للفاء، فيما لم ترد: (الواو) إلا مرة واحدة. وعلى الرغم من ذلك فإن معاني الواو ليست بواحدة، وبيان ذلك فيما يستقبل أدناه.

يأتي الربط في الأبيات ليوثق عرى العلاقات المتشابكة التي تمثلها هذه القضايا مجتمعة، وتحديدا ليربط بين هاتين القضيتين: (اللغات والشعر)، ويبقى رابط آخر داخلي سنشير إليه في قادم من هذا المطلب.

يلاحظ انحصار الروابط في: (الواو والفاء) اللتين تدلان على العطف، إلا أن كليهما له خصوصيته، ويتمثل ذلك في (أو)الدالة على التخيير في البيت الأول، أما (الفاء) في البيت الثاني في: (فطابت) فدالة على استئناف الحديث عن سعد، كما أن فيها تفصيلا، والعلاقة بين التفصيل والمفصل ظاهرة، وإن كانت ضمنية. أما (الفاء) في: (فسعد بسرها ...)، والواو في: (واخضر عودها) دالة على جمع الصفات المتعددة، وعلى هذا فالربط يتجاوز حدود الجملة، صحيح هي تربط بين جملتين لكنها تتجاوز هذا الربط الضيق. وعلى هذا فالعلاقات الرابطة داخل البيت يمكن استظهارها كما يلي:

. الفاء: في (فوكل بها سعدا): ربطها عام؛ ربط هذا البيت بالبيت الذي سبقه، فضلا عما سبق من روابط أظهرتها في المطلب السابق الخاص بحبك نص المساجلة.

. فسعد بسرها عليم ... : وهنا تأتي: (الفاء) الأولى استئنافا على ما بينت أعلاه؛ لتعديد صفات سعد، وهذا نوع يؤدي إلى حبك بنية النص. ويمكن التوقف أمام هذا البيت أن: (فوكل بها سعدا) عامة، وتأتي: (فسعد بسرها عليم ...) تفسير لمضمون العبارة السابقة: (فوكل بها سعدا)، وتأتي: (ولا تخفى عليه قصودها) للجمع والعطف للمغايرة، فضلا عن أنها مفسرة كذلك. ويمكن أن نمثل عناصر الربط داخل البيت كما يلي:

. فوكل بها (سعدا): عامة للبيت ومفسرة للبيت الأول.

. فسعد بسرها عليم: تفسير لصدر البيت: فوكل بها سعدا ... .

. ولا تخفى عليه قصودها: إضافة وعطف وتفسير في الوقت ذاته.

وهكذا يستبين الإجمال والتفصيل داخل البيت الواحد، كما أن هذا الربط الداخلي يمثل نواة للربط الكلي والفرعي داخل الأبنية اللغوية لنص المساجلة. ويأتي البيت الثالث تفصيلا وتفسيرا وتكميلا لما ورد في البيت الثاني، ولا أدل على ذلك من: (الفاء) في صدر البيت: (فقد سلمته) ونتيجة لهذا التسليم: (فطابت ثمار العلم واخضر عودها)، وهي نتيجة سببية لما ورد في البيت الأول، والارتباط بين السبب والنتيجة ظاهر واضح، وهو ربط مفهومي. ثم تأتي البقية الباقية من البيت: (واخضر عودها) عطفا على ما سبق، وتفصيلا على ذلك النحو المذكور في البيت السابق: (الثاني). وإذا كان البيت الثاني والثالث والرابع تفصيلا للبيت الأول، فإن هنالك ملحظا آخر يؤكد تلك الرؤية التي ذهبت إليها، وهو كما يلي:

البيت الثاني والثالث والرابع تفصيل للحديث عن سعد عن اللغات الخاصة به، فقد بدأ البيتان بحرف الربط: (الفاء) للدلالة على السمة المشتركة التي تجمع هذين البيتين، وتعدد صفات مصلوح. وعلى الرغم من التباين في التفاصيل إلا أن ما يجمعهما أن كل جملة واقعة عقب كل عنصر ربط تعد تفسيرا وتوضيحا لما يليها. كما اشترك الرابطان الأخيران (الفاء) في البيتين أنهما تفصيل وتفسير وتوكيد لما قبلهما.

غير أن حماسة في البيت الخامس والأخير لم يفعل كما فعل في البيت السابق؛ لأنه لا يتصف بصفتيهما، وإنما اتخذ بنية لغوية مغايرة؛ تبعا لتغير حالته، وأنه يمثل ملمحا مغايرا. فجاء حبكه منمازا؛ فإذا كان قد استعمل: (الفاء) في: (فعشت لنا سعد)، وهذا ربط بالبيت الأول ضمنا، والثاني بشكل مباشر (ظاهر)، فإنه في الوقت ذاته، لا ينفصل عن البيتين: (الثالث والرابع)؛ لأنهما تفصيل للبيت الأول. وإذا كنت قد قلت إننا يمكننا تقسيم أبيات المساجلة إلى:

. البيت الأول: عام.

. البيت الثاني والثالث: تفصيل للأول.

. البيت الرابع: الحديث عن الشعر.

. البيت الخامس: (الأخير): الدعاء لسعد.

فإن هذا التقسيم له سند وعضد من البنية اللغوية للمساجلة؛ فإذا كان البيت الثاني بدأ بحرف العطف: (الفاء)، فإنه في البيت الرابع لم يبدأ به واستعمل رابطا آخر: (الواو)؛ لأن البيت الثاني والثالث نتيجة وتفصيل، فاستعمل: (الفاء) الدالة على التعقيب والارتباط الحثيث بين هذه الأبيات، وأنها تمثل ملمحا مغايرا، عما سيأتي لاحقا، ولهذا جاء البيت الرابع ليضم صفات أخرى مغايرة لما سبق، فاستعمل الواو، وهذا هو سر تغاير الأداة الربطة في صدر البيت الأخير عن الأبيات السابقة؛ إذ تغيرت النظرة والوظيفة الدلالة فتغيرت تبعا لها البنية اللغوية. فتغير البنية الدلالية أدى إلى تغير الأدوات الرابطة؛ فالبيت الثاني والثالث تفصيل، وإن شئت قلت إنها تقع جوابا لأداة الشرط: (إذا) في البيت الأول، ولهذا استعملت: (الفاء) في صدرهما.

جاء البيت الرابع مضيفا صفة أخرى، فجاءت (الواو) دلالة على التغاير بين التفصيل الذي يشير إليه هذا وبين التفصيل في البيتين السابقين: (الثاني والثالث)، على الرغم من اشتراكهما في التفصيل والبيان. ويأتي البيت الأخير ليمثل مرحلة مختلفة عن سابقيه، ولهذا جاء الرابط: (الفاء) دلالة على أنه مرحلة قائمة كما في الأبيات السابقة، ثم استعملت (الواو) الاستعمال السابق: الدعاء دلالة على الحالية، ثم استخدم الوصف بالحالية (مضيئا) وفي هذا استمرارية في حبك بنية البيت اللغوية، ثم جاءت العبارة الأخيرة: إنك عيدها وصف لسعد كما في السابق، من دون رابط، وفي ذلك تفصيل و إيضاح؛ فتباين البنية الدلالة أدت إلى تباين البنية اللغوية والعكس. وهكذا تتنوع الأدوات الرابطة داخل بنية المساجلة بين الربط اللغوي متمثلا في الربط بالأدوات العاطفة والربط بالوصف والربط بالاستئناف والربط حين تكون جوابا للشرط، وبين الربط المفهومي (الحبك).

<u>3 / 7 : أشكال أخرى للربط:</u>

<u>1 / 3 / 7 : السبك المعجمي:</u>

وسأقتصر فيه على ما يقع داخل المساجلات فقط:

1- التكرار:

نشير ابتداء إلى أن الباحثين منفكون حول موقعية التكرار، هل يرتبط بالبنية اللغوية أم بالبنية المفهومية، فهذا د. سعد مصلوح يجعله يشمل الاثنين معا1. كما يلاحظ أن هنالك من الباحثين من يوسع دائرته، فيجعل التكرار يشمل، خلافا لما أورده البلاغيون والنحاة، التكرار بالترادف والمشترك والتضمين والتضاد والتقابل2.

أ. التكرار الخالص:

.سعد: (البيتان: 2 : 5).

ب. شبه التكرار:

.فطابت، فاضت: (البيتان: 2 : 4).

.عودها، عيدها: (البيتان: 3، 5).

.بسرها، سودها: (البيتان: 2، 4).

---

1 ينظر: د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، ص 158.

2 ينظر: د. أشرف عبد البديع: سورة الجن نموذج للتضافر بين أبنية السبك و أبنية الحبك،ص 35.

.صعودها، قصودها، قصيدها: (الأبيات: 1، 2، 4).

ج .تكرار المعنى:

وهو أن يكرر ضميرا يحيل ويشير إلى الذات أو الموصوف في موضع سابق، وهي إحالة رابطة، غير أنها لا تنتمي إلى التكرار الخالص، ومن ذلك ما نلاحظه من ذكر الموصوف (سعد)، ثم أعادته في البيت الثاني والثالث بالإحالة، فاستعمل ضمير الغائب: (الهاء)، ثم ختم البيت الخامس والأخير بإعادة اسم الذات تارة أخرى، وكأن الإحالة بالضمائر في البيتين السابقين تفصيل لما في الأبيات السابقة، أو أبيات الإحالة ما بين قوسين، وما بين الأقواس مفسر دائما.

د .تكرار التوازي:

يلاحظ أن تكرار التوازي لا يقع في المفردات بل في التراكيب خلافا للتكرار الخالص والجزئي زشبه التكرار والتضاد والتقابل ... إلخ ووقوعه في بين الجمل يريح الأذن وبتناغم التوازي الذي يؤدي إلى الربط الضمني.

.فأشرقت الأيام، و ابيض سودها: (البيت الثالث).

. واخضر عودها، و ابيض سودها: (البيتان: 3، 4).

.أنت منعم، إنك عيدها: (البيت الخامس).

.تأبى صعودها / فاضت عيون قصيدها: (البيتان: 2، 4).

.فأشرقت الأيام و ابيض سودها / مضيئا على الأيام إنك عيدها: (البيتان: 4، 5).

. عليك أمور أو تأبى صعودها / عليم ولا تخفى عليه قصودها: (البيتان: 1، 2).

.إذا أنت في شأن اللغات تعذرت / فعشت لنا (سعد) و أنت منعم: (البيتان: 1، 5).

.تأبى صعودها، عليه قصودها: (البيتان: 1، 2).

ويمكن إيجاز تكرار التوازي في القسمين: (اللغات والشعر) في المساجلة على النحو الآتي:

.عليك أمور أو تأبى صعوها: (البيت الأول).

.عليم ولا تخفى عليه قصودها: (البيت الثاني).

.ومن شعره فاضت عيون قصيدها: (البيت الرابع).

×××

.فطابت ثمار العلم واخضر عودها: (البيت الثالث).

.فأشرقت الأيام و ابيض عودها: (البيت الرابع).

.مضيئا على الأيام إنك عودها: (البيت الخامس).

يلاحظ الترابط والتوازي في القسمين كما يلي:

.القسم الأول: يضم البيت الأول والثاني والرابع.

.القسم الثاني: يضم البيت الثالث والرابع والخامس.

.كما يلاحظ أن القسمين يأتيان مرتبين، وكذا توازي المعاني،

.يلاحظ أن: صعودها، وقصودها، وقصيدها في أنماط مختلفة.

. لاحظ: عودها، وقيدها، جديدها، معيدها: (الأبيات: 6، 7، 8).

. درالقوافي، زهيرالقوافي: (البيتان: 1، 2).

وبعد، فهل تعانق الأبيات وتداخلها، كما تظهرها الأبيات توضح دورتكرار التوازي في سبك وحبك بنية نص المساجلة؟

هـ. التكراربالترادف:

.تعذرت، تأبى: (البيت الأول).

.فأشرقت، مضيئا، و ابيض: (البيتان: 4، 5).

7 / 3 / 2 : المصاحبة المعجمية:

1. التضاد:

.عليم، تخفى/ سودها، أبيض: (البيتان: 2، 3).

.ابيض، سودها: (البيت الرابع).

2. علاقة الجزء بالكل:

.البيت الأول: (كل اللغات) والجزء يقسم إلى:

.البيت الثاني والثالث: (تفصيل).

3. علاقة الجزء بالجزء:

.البيت الثاني والبيت الثالث.

وإذا أردنا إضافة، بناء على هذا، فهل يمكن اعتبار علاقة: (الشعر) في البيت الرابع من هذه المساجلة من باب علاقة الكل بالجزء؟ أي أن ما ورد في مساجلة حماسة كل تفرع عنه الحديث في المساجلات الأخرى بدرجات متفاوتة، ولذا فهو أصل وما تفرع عنه فرع.

أحسب أن الوزن العروضي يؤدي دورا متميزا في الصياغة الشعرية، ولهذا فدوره لا ينكر في التأثير في البنية اللغوية، وأظن أن شبه التكرار أو تكرار المباني وتكرار المعاني، يعود الفضل فيه إلى الجانب العروضي، ولهذا جعلت الوزن الشعري قسما قائما بذاته خلافا للنوعين السابقين، وأما البحر الشعري في المساجلة فهو:

.بحر الطويل: عروضه مقبوضة.

.استخدام هاء الوصل في المساجلة.

فهل يمكننا استنتاج أن التكرار بأنواعه والتضاد وعلاقة الجزء بالكل وكذلك البحر الشعري، تقدم ربطا على المستوى: (الداخلي) داخل أبيات المساجلة؟ وعلى هذا يمكن أن نجعل الربط داخل هذه المساجلة نوعين:

.الأول: الربط الأوسع: الإجمال والتفصيل.

.الثاني: الربط الداخلي: التكراروالمقابلة والوزن العروضي ... إلخ.

××××

<u>8 / 0 : من أشكال الربط في المساجلة الثانية:</u>

<u>8 / 1 : حبك النص: الإجمال والتفصيل:</u>

تتكون المساجلة من: (ثمانية أبيات)، يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

.القسم الأول: تفصيل وإجمال: الشعر: (البيت الأول).

.القسم الثاني: تفصيل وإجمال لما ورد في البيت الأول: (الأبيات: 2 : 3).

.القسم الثالث: الشكوى: تفصيل: (الأبيات: 4 : 5).

.القسم الرابع: تفصيل: لما ورد في المساجلة السابقة: (الأبيات: 6 : 8).

جاء القسم الأول من المساجلة ربطا بالقضية الثانية: (الشعر) لدى حماسة في مساجلته الأولى، وجعله مصلوح منطلقا ومدخلا له، وعلى هذا تظهر العلاقة بين هذه المساجلة ومساجلة حماسة الأولى، التي تعد تمهيدا وإجمالا لما سيرد. وإذا تناول في البيت الأول: الشعر: (القسم الأول هنا)، فا الأبيات التالية تفصيل لما في البيت الأول، فالبيت الأول رابط لما سبقه من مساجلة حماسة الأولى، وفي الوقت ذاته مجمل لما يليه من أبيات. ومن ثم فالأبيات اللاحقة تفصيل لبيت الشعر الأول من المساجلة. ويأتي القسم الرابع: (التفصيل) لتفصيل ما ورد في المساجلة الأولى. وتنوعت ما بين (أذريت في العين دمعة، وألبستني من باذخ النظم خلعة، ولك الشكر ما تراخت منيتي). وعلى هذا الأساس عددتها تفصيلا لما ورد في سياق آخر.

البيت الثاني وهو القسم الثاني من المساجلة: (إليك يزجيها ...) ثم البيت الذي يليه: (قؤول على عرش القصيد...)، يلاحظ أن هذين البيتين تفصيل للبيت الأول، خاصة أن مصلوحا تناول الحديث عن الشعر الذي جعله مدخلا في البيت الأول، وعلاقة الإجمال والتفصيل بين البيتين ظاهرة.

ثم يأتي القسم الثالث: (أبا حاتم ...) استدراكا للربط مع حماسة، ومن ثم فالعلاقة بين القسمين الأول والثاني ظاهرة؛ في القسم الأول حديث عن شعر حماسة ورد في الوقت ذاته على بيت حماسة في المساجلة الأولى، ومن ثم فالقسم الثاني جاء تفصيلا لما ورد في القسم الأول، أما القسم الثالث فقد تناول جانبا إنسانيا؛ إن مصلوحا أخذ يبوح بما في مكنون نفسه. ويلاحظ أن الحديث وإن جاء مفصلا، إلا أنه جاء على جهة العموم، وهو الذي أدى إلى القسم الثالث: (الشكوى). وجدير بالذكر أن: (الشكوى / البوح) يكون لصديق صدوق، سوى أنها على الرغم من ذلك تبقى عامة، خاصة أنه لا يستطيع ذكر التفاصيل التي تبقى حين لقاء يجمعهما.

وفي القسم الثالث: (الشكوى/البوح) الذي قلت إنه ربط استدراكي، لسببين، الأول: أن مصلوحا يتحدث إلى حماسة، والثاني: أن مصلوحا استعمل الاستدراك، وهو نوع من الربط الضمني، ويأتي البيت الثاني من القسم الثالث تفصيل لما جاء في البيت الأول. فهو يفصِّل القول فيما ورد في البيت الأول، ويمكن أن يعد استكمالا لما ورد في البيت الأول من هذا القسم، ثم يعاود الحديث عن حماسة والربط مستخدما الكناية؛ وفي التكنية تفخيم: (أبا حاتم أذريت في العين دمعة)، واللافت للنظر أن هذا البيت يستخدم بعد وفاة حماسة كثيرا في التعليقات على حسابه، وكأن مصلوحا يستشرف آفاق المستقبل، أو كأنه ينعي حماسة قبل وفاته.

ومن المفارقات أن حماسة شرب من كأس المرارة والألم الذي شرب منه مصلوح الذي أدى به إلى الشكوى والبوح، غير أن المفارقة بينهما؛ أن مصلوحا تجرع مرارة الألم غريبا، بينما تجرعها حماسة في وطنه وبين أهله وإخوانه، وإن كان السبب واحدا، وهذا ما زاد من شدة المأساة ووقعها على حماسة، فكلاهما تجرع، غير أن حماسة واسى مصلوحا، ولم يلحق مصلوح أن يواسيه؛ فلم يستطع حماسة أن

يتحمل ما لم يكن يتوقعه من أقرب الأقربين منه، فمات كمدا وحزنا، ويصلح عنوان المقالة التي كتبها الدكتور محمود الربيعي لهذا المقام: صديقي محمد حماسة مات مكتمل الهيئة موفور الكبرياء[1].

وجدير بالذكر أن حماسة بعد أنهى عمله في كليته، أصابه ما أصابه، وكان حسابه على الواجهة فيه ليس تلميحا بل تصريحا سواء منه أم من المعلقين، وفي هذه الفترة تكاتف طلابه ومريدوه، ومن كثرة هذه التعليقات قال حماسة في إحداها: يعجبني بيت لفاروق شوشة يقول فيه: (و أنا أستعيره تعليقا على ما يحوط بي):

قد يطاق هذا الجمال فردا ولكن

كل هذا الجمال كيف يطاق؟ (19 . 9 . 2013).

وأسوق بعض الأمثلة على ما كان يكابده في السنوات الأخيرة وخاصة: (2015) كما يلي:

1 . تلك القصيدة التي كتبها ردا على تعليق الدكتور محمد متولي: (15 . 12 . 2013)، وهي تظهر مدى المعاناة، وقد بدأها بقوله:

وطفقت أمضي والنوازل ترتمي مسعورة وغذاؤهن دمائي

وأنهاها بقوله:

يا نفس هانذا إزاءك حائر أتحيرين الكائنات إزائي؟

إني أقول لها وما بي من جنة أنا قد شقيت فصرت في السعداء

2. القصيدة التي كتبها إلى الدكتور أحمد بلبولة: (23 . 10 . 2015)، أقتبس منها:

و إني حريص أن أعود لساحها وغيري على غير الرجوع حريص

3 . آخر ما كتبه على حسابه: (2015/12/29):التي جُعلت أيقونة على موقعه على الشبكة الدولية، يقول:

لمْ أفعلِ العُرفَ لا خَوفًا ولا طَمَعًا

لكنّهُ اللهُ والأخلاقُ و"الدارُ"

ما كنتُ أبغي سوى حُسنِ الوِدادِ بهِ

وقَد جُزِيتُ كما يُجزَى سِنِمّارُ

يكفي جَزائيَ أنِّي قد سَعِدتُ بِما

أَتَيتُ مِن عملٍ ، واللهَ أختارُ

هذا ما كان يخالجه وعبر عنه شعرا! فما بالك بما هو نثر؟! في مثل قوله: لن أعيش بدونكم أيها الأحباب. وقوله: لا تغاروا أيها الأحباب كلكم عندي سواء ... قارن بين ألم مصلوح في المساجلتين في مادة

---

1 نشر د. الربيعي هذه المقالة في مجلة فكر و إبداع، ثم أعاد نشرها د. محروس بريك على موقع الأستاذ الدكتور محمد حماسة على هذا الرابط:

www.hamassa.com

هذه مقالة موجزة مركزة مؤثرة، قال في آخرها: لكل أجل كتاب" صدق الله العظيم، ولكل نهاية سبب، وقد ترسبت المرارة في حلقه حتى خرجت، وكانت آخر ما قال وقد جزيت كما يجزى سنمار. ... فأواه يا صديقي! وأواه يا عدل! أحسب أن هذه المقالة من أنبل ما كتب في مناسبات التأبين، كتبها الربيعي بمشاعر وأحاسيس قبل الكلمات .

الدراسة وبين ما كان يعتصر حماسة اعتصارا، والفارق أن الألم عند حماسة أكثر مكابدة، ويبدو أن هذا كان سببا مباشرا في وفاته؛ لم يستطع حماسة أن يتحمل كل هذا!! وكما قال د. الربيعي: لقد أوذي صاحبي في حياته كثيرا؛ عطلت ترقيته، ولم يجرؤ مسئول على إعلان السبب الحقيقي في هذا التعطيل، و أُنهي عمله: (وهذه كلمة تعني فصله) من كليته، التي عاش فيها ولها، أكثر من نصف قرن من الزمان، لقد كان طالبا متميزا، وشاعرا موهوبا، وأستاذا باحثا منتجا، وصاحب أسلوب في التدريس لا يشق له غبار، وربما كانت هذه المؤهلات هي التي استحق من أجلها تعطيل ترقيته أكثر من مرة، ثم فصله من كليته وجامعته نهائيا في آخر المطاف1.

ألا تظن أن حماسة بهذا الشعر والنثر الذي كان يتجرع من خلاله الألم والحسرة على الواجهة؛ بمعنى أنه كان يبث ألمه وهمه لأصدقائه ومحبيه ومريديه، وبناء عليه، هل يمكن استنتاج أن حماسة كان يعد حبه لهؤلاء سندا وعضدا له؟ ومن ثم، كان يشاركهم همه، كما شارك مصلوحا قبلا، ويبدو أن هذا كان صحيحا، فقد كان يجد مواساة على ما هو فيه من هؤلاء جميعا، حتى أنه أنهى قصيدته: أنا قد شقيت فصرت في السعداء؛ لأنه لم يجد سببا فعليا لما هو فيه.

جاءت هذه المساجلة السعدية ردا على المساجلة الحماسية الأولى، وهو ما يظهر الانمياز في عدد الأبيات، إلا أن هذه السمة تغيرت مع المساجلة الثانية لحماسة،إذ ربما أدرك أنه بحالة غير تلك التي كان عليها في الأولى، ولهذ أطال حتى اقتربت من المساجلة السعدية التي بلغت ثمانية أبيات، في حين بلغت مساجلة حماسة أحد عشر بيتا، وهو عدد يعكس تصورا آخر؛ أنه كان مدركا أنه بحال مساجلة، خلافا للمساجلة الأولى، خاصة أن البيت الأخير لدى حماسة يعد إغلاقا وقفلا، وعلى هذا تكون قصيدة حماسة عشرة أبيات، ومصلوح ثمانية.

غير أن الملفت للنظر أن مصلوحا في رده على مساجلة حماسة، لم يعر قضية اللغات التي شغلت حيزا كبيرا من حماسة: (ثلاثة أبيات) من المجموع الكلي الذي بلغ خمسة، وتوجه تلقاء الشعر الذي لم يشغل من مساجلة حماسة الأولى إلا بيتا واحدا، ولم أدر ما الذي جعل مصلوحا يغض الطرف عن قضية اللغات ويتوجه تلقاء الشعر؟ هل لأنه يتوجه إلى جمهور عريض من القراء وكثير منهم من الشعراء والأدباء والمتذوقين للشعر؟ فأراد أن يركز على القاسم المشترك وبينهم.

وهذه تمثل مفارقة بين المساجلتين، تعمل على تماسك نص مساجلة الشيخين. توجه مصلوح إلى التركيز على الشعر الذي لم يشغل مساحة مكانية في مساجلة حماسة الأولى إلا في بيت واحد، فهل يمكن اعتبار هذا مقابلة من جهة أخرى؟ أقصد الإجمال في مساجلة حماسة والتفصيل في مساجلة مصلوح، والإجمال والتفصيل لا يكون إلا في موضوع واحد، والقضية المشتركة هي الشعر. كما أن المقابلة عنصر رابط مفهومي.

فهل يمكن بناء على ذلك أن نعد مساجلة حماسة الأولى مدخلا لمساجلة مصلوح الأولى ؟ وإذا توصلنا إلى ذلك، فإن مساجلة حماسة كانت حافزا لمساجلة مصلوح، وعلى هذا فإن عرى الوثاقة بين المساجلتين ظاهرة. وبناء عليه، فإن مساجلة حماسة إجمال ومساجلة مصلوح تفصيل بل تفصيل التفصيل، وإليكم التفصيل.

---

1 د. محمود الربيعي: صديقي محمد حماسة مات مكتمل الهيئة موفور الكبرياء،ص582، 583.

على الرغم من أن أبيات حماسة في المساجلة الأولى خمسة، إلا أنها جاءت مجملة، في حين أن الأبيات لدى مصلوح على الرغم من أنها تناهز الضعف، إلا أنها لم تركز إلا على: (الشعر)، ويبدو أن التركيزعليه جعل مساجلته تتسم بالتفصيل.

مثّل البيت الأول من مساجلة مصلوح تفصيلا لما في البيت الرابع من مساجلة حماسة الأولى، غير أن البيت الأول في الوقت ذاته يعد عاما ومجملا لسائر أبيات المساجلة، وعلى هذا فالبيت الأول مفصل ومجمل، مفصل لبيت حماسة، على ما أوردت، ومجمل لما هو في المساجلة؛ لأنه تناول قضية عامة، الشعر، ثم أخذ يفصل فيها، كما سأستظهره فيما هو تالٍ.

فإذا كان مصلوح في البيت الأول رد على ما ورد عند حماسة، فإن البيت الثاني: (إليك يزجيها على نأي داره) جاء تفصيلا وسردا وبيانا للبيت الأول كذلك، سوى أنه يلاحظ أن البيت الثاني، على الرغم من أنه تفصيل للبيت الأول، إلا أنه في الوقت ذاته مجمل للأبيات التي تليه. كما يمكن أن البيت الثالث: (قؤول على عرش القصيد متوج) تفصيل آخر، كما في البيت السابق، أو هو تفصيل التفصيل. وعلى هذا فالبيت الأول إجمال والثاني والثالث تفصيل، وهذه الأبيات تفصيل لما هو في البيت الرابع من مساجلة حماسة الأولى، وتمثل هذه الأبيات الثلاثة ملمحا ينحبك به هذا الجزء من أبيات المساجلة.

يأتي البيت الرابع ليمثل ربطا استدراكيا من خلال أداة النداء (يا)، وقد أدى هذا الاستنتاج إلى أن مصلوحا أخذ يشكي لحماسة ما ألمَّ به وما يكابده على جهة العموم، وإن كان لم يشر إلى التفصيل، وقد لمح حماسة هذا، فجاء رده عليه: على أنني راج لقاء يضمنا بأرض بها النيل العظيم يجودها، وفي هذا اللقاء يكون التفصيل لما ورد في هذه المساجلة، ويبدو أن مصلوحا انتبه إلى ما ألمح إليه حماسة في بيته، فجاء موافقا له، مما جعله يختم مساجلته ردا على مساجلة حماسة الثانية، بالبيت ذاته؛ دلالة على التطابق في الرأي.

غير أن اللافت للنظر إذا كان لقاء يضم حماسة ومصلوحا حول تفصيل ما ورد هنا عاما؛ معنى هذا أن تفصيلا سيكون لما ورد هنا موجزا ، فهل يمكن اعتبار. بناء على هذا الأساس . أن ذلك اللقاء تفصيل لما ورد في مساجلة حماسة؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فيمكن أن نقع في إشكالية أخرى، وهي إذا كان ما سيرد في ذلك اللقاء تفصيلا، غير أن اللقاء كلام ليس بشعر، والمساجلة شعر، فكيف يكون الكلام غير الشعري تفصيلا لما هو شعري ؟! فضلا عن تباين المقامات.

بيد أن الذي يبقى ظاهرا، وإن تباينت المقامات واختلفت الأشكال الفنية الكلام، أن العلاقات تبقى بين هذه القضايا مسبوكة محبوكة، وعلى هذا قلت في موضع سابق: إن هذه المساجلات ينبغي أن تطبع مع التعليقات؛ لأنها مفسرة وموضحة لا كما صنع د. محروس بريك حين طبع بعض المساجلات دون أن يذكر ما يلي؛ الأول: مكان نشرها، والثاني: حين لم ينشر التعليقات المفصلة والمفسرة لها، والثالث: حين لم ينشر كل المساجلات؛ لأنه لا يمكن فصلها عن بعضها. وبناء على هذا الاستنتاج يمكن القول إن اللقاء تفسير وتفصيل لما في المساجلة، وعلى هذا فما أورده مصلوح موجزا لما كان يكابده ويعانيه وما سيرد في ذلك اللقاء تفصيل لما ورد موجزا. غير أن فيه تفصيلا وإن كان عاما، فقد استغرقت شكوى مصلوح أبياتا ستة رادا على مساجلة حماسة الأولى، وتحديدا على بيته الرابع، جعل

البيت الأول والثاني تفصيلا لما ورد في القضية الثانية في مساجلة حماسة الأولى، وبناء عليه وقبل أن أبدأ في تفصيل ما جاء موجزا عند مصلوح أشيربداية إلى تقسيم قضايا المساجلة كما يلي:

.القسم الأول: الشعر: يرتبط بما ورد في مساجلة حماسة الأولى: (البيت الرابع).

.القسم الثاني: الشكوى.

.القسم الثالث: إجمال لما في القسم الثاني، وسيأتي تفصيله في ذلك اللقاء.

أعود تارة أخرى لأرى أن القسم الثاني عند مصلوح: (الشكوى) جاء موجزا عاما؛ ففي بدايته: (من البيت الثالث حتى البيت الثامن): أجدَّك لا تنبث دفينا أودعته، وهنا يذكر أن حماسة لمح ما يكابده ويعانيه، وقد جاء موجزا، غير أنه أورده مفصلا لما لمحه حماسة، ثم في البيت الذي يليه يفصل البيت الأول: الثالث من المساجلة الأولى من القسم الثاني، فيأتي البيت الرابع تفصيلا لما ورد في البيت السابق، وهو: تكابد من عمري سنين خوادعا ..، وأن حصاده فيه نزريسير، ثم يأتي البيت الثالث من القسم الثاني للحديث عن أسباب كل هذا وأن غربته لم تكن بيده، ويشير إلى ما كان يكابده ويعانيه في موطنه، فما كان منه إلا أن هاجر؛ لأن ما تعرض له كان من الصعوبة بمكان، بحيث لا يمكن أن تتعامل مع الضباع والعملّس ومعروف أنه اللئيم الماكر، ثم يختم بالبيت الأخير: (السادس من القسم الثاني) بالقسم (تالله)، وأنه يخاف أن يموت ولا يستطيع أن يعيد ذلك العمر. ولما طال الحديث في القسم الثاني ختم ببيت مجمل لما سبق، وسيأتي تفصيله في لقاء يجمعهما، وسيكون تفصيلا لما ورد في القسم الثاني من هذه المساجلة.

وإذا كنت قسمت مساجلة مصلوح إلى ثلاثة أقسام، فإن القسم الأول جاء في بيتين، والثاني جاء في ستة أبيات، والبيت الأخير جاء منفردا، وبناء على هذا الاستنتاج يمكن وضع عنوان لهذه المساجلة: (الشكوى)، على الرغم من أن هنالك بيتين ذكرهما مصلوح ردا على القضية الثانية في مساجلة حماسة الأولى.

8 / 2 / 0 : أشكال أخرى للربط:

<u>8 / 2 / 1 : السبك المعجمي:</u>

1. التكرار:

أ. التكرار الخالص:

. أبا حاتم: (البيتان: 4، 6).

.القوافي: (البيتان: 1، 2).

ب .التكرار الجزئي[1]:

.تذوده، يذودها: (البيتان: 4 ، 5).

ج .شبه التكرار[2]:

.دمعة، خلعة: (البيتان: 6، 7).

.برودها، فريدها: (البيت الأول).

---

1 ينظر تعريفه : د. أشرف عبد البديع: سورة الجن نموذج للتضافر بين أبنية السبك و أبنية الحبك، ص 38.

2 ينظر: السابق، ص 41.

.در، داره: (البيتان: 1، 2).

.لبيدها، وليدها: (البيتان: 2، 3).

. يرودها، يذودها: (البيتان: 1، 4).

.وقيدها، معيدها: (الأبيات: 6، 8).

د. تكرار التوازي:

.زهير القوافي واحدا ولبيدها، توقد، بكل شرود لا ينادى وليدها:(البيتان: 2،3).

. حتى ليس يخبو وقيدها، يخب بها خطوي ويبقى جديدها: (البيتان: 6، 7).

هـ. تكرار المعاني: وهو أن تتكرر لفظة ومعناها، مما يشير إلى التداخل بين المعاني الذي يؤدي إلى الربط بين هذه المعاني المتداخلة في مواضع عدة.

.على نأي داره، ما تراخت منيتي: (البيتان: 2، 8).

<u>7/2/2 : المصاحبة المعجمية:</u>

أ. التضاد:

.توقد، يخبو: (البيت السادس).

××××

.بحر الطويل: عروضه مقبوضة.

. استخدام هاء الوصل وهاء الخروج في كل المساجلات.

يلاحظ أن التكرار بأنواعه، والمقابلة بما فيها من تنوع داخل أبيات المساجلة الواحدة، تمثل ربطا بين سائر أبياتها، خاصة أن التكرار تحديدا، تنوعت صوره داخل الأبيات إلى حد كبير مما يحكم الربط بين أبياتها. فضلا عن الوزن الشعرى.

××××

<u>9/0 : من أشكال الربط في المساجلة الثالثة:</u>

<u>9/1 : حبك النص: الإجمال والتفصيل:</u>

تكونت المساجلة من (أحد عشر) بيتا، يمكن تقسيمها كما يلي:

. الأول: رد على الشعر عند مصلوح الأولى: (البيت الأول).

. الثاني: وصف لكلام مصلوح: (الأبيات: 2: 7).

. الثالث: رد على شكوى مصلوح: (الأبيات: 8 : 11).

بدأ حماسة مساجلته الثانية (الثانية في الترتيب) بالحديث عن الشعر، ثم أخذ يفصل الحديث عنه، فاستغرق ثلاثة أبيات، وقد قسمتها إلى بيت رئيس والبيت الثاني والثالث تفصيل، وفعل حماسة في مساجلته هنا ردا على مصلوح، وبدأ بالحديث عن الشعر الذي استغرق ثلاثة أبيات عند مصلوح، واستغرق عند حماسة الأبيات الستة الأُوَل، غير أن الفارق بينهما أن حماسة استغرق في وصف الشعر حتى وصل القسمان الأول والثاني في مساجلته إلى ستة أبيات، وهو ما مثَّل ثلاثة أبيات عند مصلوح، وعلى هذا فقد جاءت معالجة حماسة لتمثل الضعف .

كما أن قضية الشعر في المساجلة بينهما تميزت بميزة التدرج؛ فقد بدأ حماسة متحدثا عن قضيتين في مساجلته الأولى، إلا أنها لم تكن القضية الأولى بل الأخرى، واستغرق الحديث عنها بيتا واحدا: (البيت الرابع) من مساجلته الأولى، ثم توسع مصلوح فبلغ الحديث عن الشعر ثلاثة أضعاف، ثم زاد فبلغ الضِّعف عند حماسة، وهكذا رأينا التدرج في الحديث عن الشعر، ويبدو أنه مبني على تدرج من نوع آخر في عدد الأبيات؛ فقد جاءت المساجلة الأولى لحماسة مكونة من خمسة أبيات: (البيت الرابع: الشعر)، في حين جاءت مساجلة مصلوح الأولى في رده على مساجلة حماسة في ثمانية أبيات، بينما جاءت مساجلة حماسة الثانية ردا على مصلوح مكونة من أحد عشر بيتا. وهكذا نرى وجوه التقارب من حيث: الوزن العروضي والتدرج في عدد الأبيات وكم الحديث عن الشعر. ومن ثم نلاحظ التوسع في الشعر يعطي تفصيلا ينسجم مع ما استظهرته من إجمال وتفصيل.

أوردت أن بيت حماسة الأول (البيت الرابع من المساجلة الأولى) يمثل الركيزة الأساسية؛ إذا يرتبط ارتباطا مباشرا مع مساجلات مصلوح، كما يعد موجزا لهذه المساجلة، خاصة أننا نرى أن الأبيات التالية تفسير وتفصيل له، على ما يوضحه التقسيم السابق. وجاء البيت الأول إجمالا لما تلاه من حديث عن الشعر، فالقسم الثاني: (الأبيات 2 : 6)، تفصيل وتكميل لما في البيت الأول، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأبيات الثلاثة الأولى في مساجلة مصلوح. وإذا كان مصلوح قد شكى وباح، فإن القسم الثالث على الرغم من أني جعلته في التقسيم السابق واحدا، إلا أنه يمكن أن يُقسَّم إلى سيمات لغوية أقل؛ إذ يرتبط البيت الثامن من المساجلة: (فداؤك نفسي من هموم تواطأت) بما أورده مصلوح وصدره: (أبا حاتم من للمُعنَّى يذودها ... وما يليه من ذلك القسم)، غير أن إشارة مصلوح وردت إجمالا، خلافا لما أورده حماسة تفصيلا، وعلى الرغم من هذه المفارقة إلا أن كليهما يمكن أن يتسم بسمة العموم، على ما أشرت إليه.

وإذا كان البيت الأول مجملا، على ما أوردت، فإن القسم الثاني تفصيل وحديث عن مهارة مصلوح في اختيار الكلمات: (حتى دنت له في غير جهد يرى له)، دلالة على التمكن. وبناء عليه، إذا كان البيت الأول مجملا، فإن البيت الثاني مفصل للبيت الأول والبيت الثالث تفصيل للبيت الثاني، وهكذا يتدرج الارتباط في هذا القسم الثاني كما يلي:

.القسم الأول: عام يرتبط بما قبله وما بعده، فيرتبط بما قبله، على النحو الذي أستظهرته، ويرتبط بما بعده؛ أن القسم الثاني: (التفصيل)، يمكن أن يقسم إلى أقسام داخلية، كما يلي:

.القسم الأول: تفصيل المجمل: (للبيت الأول): البيت الثاني من المساجلة.

.القسم الثاني: تفصيل التفصيل: (للبيت الثاني): البيت الثالث من المساجلة.

وعلى هذا يمكن تقسيم أبيات المساجلة من منظور آخر؛ فإذا كان مصلوح تناول الشعر في ثلاثة أبيات، فإنها وردت لدى حماسة في ستة أبيات، ومن ثم، فالتقسيم المقترح أن تقسم الأبيات الستة الأولى كما يلي:

.القسم الأول: الشعر المرتبط بمصلوح، وتمثله: (الأبيات: 1 : 3)، ثم تقسم تقسيما آخر حسب المجمل والمفصل، على ما أوردته أعلاه.

.القسم الآخر: الشعر المرتبط بحماسة، وتمثله: (الأبيات: 4 : 7)، ويمكن تقسيمه هكذا:

. القسم الأول: الوصف: (البيتان: 4 ، 5).

. القسم الثاني: التفصيل: (البيتان: 5، 6).

وهكذا ترتبط الأبيات فيما بينها ارتباطا وثيقا بحيث تؤدي كل منها إلى التي تليها. ثم يأتي القسم الثالث: (رد على شكوى مصلوح)؛ إذ حاول التثرية عنه، ومن ثم فالبيت: (فداؤك نفسي من هموم تواطأت ...)، مثَّل نقلة نوعية في البنية اللغوية في المساجلة، وعلى هذا عددناها محورا أساسيا، غير أن هذا التقسيم عام؛ أي أنه يمكن أن يقسم إلى وحدات لغوية تتكئ على روابط بين بنية هذه المحاور من ناحية، كما تظهر العلاقة بينها وبين المساجلات الأخرى من ناحية أخرى. وبناء على هذا يقسم هذا المحور، على أساس العلاقات الكامنة خلف هذه المساجلات. كما يلاحظ أن هذه العلاقات يمكن أن تقسم إلى علاقات خارجية وعلاقات داخلية.

القسم الآخر: (من الشعر) وهو: (الأبيات: 4 : 7)، ويظهر هذا التقسيم جوانب الارتباط بين القسم الثاني من هذه المساجلة، وإذا كان الحديث عن الشعر لدى حماسة بلغ سبعة أبيات، فإن التقسيم السابق، يشير إلى أن حماسة رد على مساجلة مصلوح، غير أنه قسَّم محور الشعر إلى قسمين، الأول: المتعلق بمصلوح: (الأبيات: 1 : 3)، والثاني: المتعلق بحماسة ذاته، وتمثله الأبيات: (4 : 7)، وهذا التقسيم يظهر جوانب الارتباط الذي يظهر مدى انحباك بنية المساجلة، كما يظهر من العلاقات الوثيقة بين هذه المساجلات. وما يتعلق بتقسيم أبيات حماسة من القسم الثاني من التقسيم العام للمساجلة، فإنه يظهر أنها تبتدئ بالبيت الرابع وتنتهي بالبيت الخامس، غير أن البيت الأول: (الخامس في هذا القسم) جاء مجملا، والأبيات: (4 : 7) يمكن تقسيمها كما يلي:

. القسم الأول: الوصف: ويمثله البيت الأول هنا، والرابع من المساجلة.

. القسم الثاني: الإجمال: هو البيت الخامس هنا، والرابع في المساجلة.

. القسم الثاني: التفصيل: (البيتان: 6، 7).

و أبدأ في تقسيم رد حماسة على سعد: (فداؤك نفسي). أما القسم الثالث والأخير وهو التثرية، ورد حماسة على مصلوح، فقد استغرق: (الأبيات: 8 : 11)، وهو تقسيم عام أوردته في تقسيم المساجلة، غير أني أنظر إليه من جهة أخرى، وهو أن هذا المحور يُقسَّم على النحو الآتي:

. القسم الأول: إجمال: فداؤوك نفسي: ويمثله: (البيت الثامن).

. القسم الثاني: تفصيل بالوصف: (الأبيات: 9 : 11).

قلت إن بداية البيت الثامن يمثل تحولا، بحيث يمثل جزءا أساسيا من المساجلة، ويرتبط في الوقت ذاته بما أورده مصلوح في المساجلة الأولى. فإنه جاء ردا على شكوى مصلوح وهو بيت قائم بذاته ومجمل، وبناء عليه فالأبيات التي تليه جاءت مفصلة له؛ فإذا كان البيت الثامن الأول في هذا القسم، جاء موجزا، والبيت التاسع: (بعدت ولم تبعد ...) جاء مفصلا، خاصة أن الحديث لا يزال مرتبطا بسعد، أو بتعبير آخر؛ يعد هذا البيت تثرية عن سعد، وتكملة للبيت الأول الذي هو تثرية كذلك، غير أن هذا البيت فيه تفصيل زيادة على ما ورد في البيت الأول. ويأتي البيت العاشر بيان لجوانب أخرى، ليست حاضرة لا في البيت الثامن ولا البيت التاسع ولا العاشر، وعلى هذا فإن كل بيت من البيتين: (التاسع والعاشر) تفصيل للبيت الثامن الذي هو بداية القسم الثاني. ويبدو أن حماسة قد استشعر

أنه لن يستطيع أن يفصل أكثر من هذا، وأن الحديث بينه وبين مصلوح لم ينته، فختم ببيت يشير إلى ما استنتجته، وقال: (على أنني راج لقاء يضمنا ...)، ويؤكد هذا الملحظ أن حماسة كتب في التعليقات: أخي الأعز أحس ببعض ما تعني، وأعلم أنك تحملت الكثير، وقد كان هذا باديا عليك غير خاف لكل من لديه قدر من الشعور بالإحساس بالآخرين، فكيف من يحبك ونشأ في حماك وتعلم منك وتأثر بك وحاول أن يترسم خطاك؟ أسأل الله القدير أن يقدر لك الخير حيث تكون وأن يبسط نفسك ويثبت فؤادك ويرطب قلبك ويبارك لك في العلم والأهل والولد، واسلم دائما لمحبيك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. من الذي يلهج لسانه بذكرك والثناء عليك. م. حماسة. انتهى 9. 12. 2013. فرد عليه مصلوح قائلا: شكري لك لا ينقضي، أراك قريبا إن شاء الله، ويكون بيننا من العبارة عن ذات الصدر ما يكون. 9.12. 2013.

وبناء عليه، ألا تعد هذه التعليقات بيانا واستكمالا لما ورد في المساجلات؟ وعلى الرغم من ذلك فإن التعليقات جاءت مجملة، مقارنة بما سيقال حين اللقاء، وهي في الوقت ذاته مفصلة مقارنة بما ورد في المساجلات، وإلا فلماذا كتب حماسة تعليقه ورد مصلوح عليه؟ وعلى هذا يمكن القول بأن هنالك تدرجا ظاهرا في الحديث؛ فقد جاءت الشكوى من مصلوح في الشعر مجملة، وقد أدى هذا بحماسة أن يرد عليه على المنوال ذاته لمصلوح، لكن الأمر جاء أيضا مجملا، مما استدعى كلا منهما أن يعلقا، وفي التعليق توضيح وبيان لما جاء مجملا في المساجلات، وعلى الرغم من هذا التفصيل في التعليقات، إلا أنه كان يحتاج إلى تفصيل آكثر جعله مصلوح حين يجمعهما لقاء، ومن هنا فاللقاء أكثر تفصيلا من النزلتين السابقتين:

.المساجلة: الشعر: (مجمل).

.التعليق: نثر: (حماسة ومصلوح): مجمل ومفصل.

.اللقاء: نثر: تفصيل التفصيل مقارنة بالحالتين السابقتين.

ومن ثم تتضح العلاقة بين الشعر والنثر، أو بتعبير آخر بين المساجلات وبين التعليقات.

<u>9 / 2: أشكال أخرى للربط:</u>

<u>9 / 2 / 1 : السبك المعجمي:</u>

1. التكرار:

أ. التكرار الخالص:

الشعر: (البيتان: 1، 4).

ب. التكرار الجزئي:

.تخيرها، يخير: (البيت الثاني).

.يجود، يجودها: (الأبيات: 4، 11).

. قلت، قولتي: (البيت السادس).

.أنشودة، نشيدها: (البيتان: 5، 6).

ج. تكرار المعنى:

.يخير، يفلي: (البيت الثاني).

.نسخن كلامي، قلت / قولتي: (البيتان: 5،6).

.دار، منزل: (البيت العاشر).

.شحطت، ناء، بعيدها: (البيت العاشر).

د. توازي المباني:

.وما قولتي إلا بقلبي نشيدها: (البيت السادس).

.وقلبي دواة والحنين وريدها: (البيت السابع).

.فأنت لدار العلم فينا عمودها: (البيت الثامن).

. بنبض قلوب تستقيم عهودها: (البيت التاسع).

.سواء علينا أن دنا بك منزل: (البيت العاشر).

وأن شحطت داروناء بعيدها : (البيت العاشر).

ه. شبه التكرار:

. لبيدها، يبيدها: (البيتان: 3،4).

.عمودها، عهودها: (البيتان: 8، 9).

.قولتي، بقلبي: (البيت السادس).

.لبيدها، يبيدها: (البيتان: 3،4).

.عمودها، عهودها: (البيتان: 8، 9) .

<u>9 / 2 / 2 : المصاحبة المعجمية:</u>

أ. التضاد:

.دنا، شحطت، ناء، بعيدها: (البيت العاشر).

.شحطت، ناء: (البيت العاشر).

.بعدت، ولم تبعد: (البيت التاسع).

. دنت، بعدت: (البيتان: 3، 9).

ب. علاقة الجزء بالجزء:

.دار، منزل / أرض بها النيل العظيم يضمنا: (البيتان: 10، 11).

××××

<u>10 / 0 : من أشكال الربط في المساجلة الرابعة:</u>

<u>10 / 1 : حبك النص: الإجمال والتفصيل:</u>

تكونت هذه المساجلة من (أحد عشر) بيتا، تقسم على النحو الآتي:

.القسم الأول: الشعر: (الأبيات: 1: 4).

.القسم الثاني: تفصيل الشكوى الواردة في مساجلة مصلوح: (الأبيات: 5 : 8).

.القسم الثالث: تفصيل التفصيل: الشكوى: (البيتان: التاسع والأخير).

هذا هو مفتاح المساجلة وقضاياها على ما هو وارد فيها؛ فإذا كان البيتان الأول والثاني جاءا للرد على تميز حماسة في هذا الفن، وتأكيد لما أروده د. سعيد شوارب عقب وفاة حماسة، حين كتب قصيدة

بعنوان: (مرايا): ميلاد نوع جديد من المساجلات[1]. وهذه القصيدة كان يقصد بها أن تكون من شعر المساجلات، على حد قوله: وإن كان حماسة لن يعود ليكمل المباراة من جديد، وينجح في النهاية كعادته، لتكون النتيجة لصالحه؛ وهذا هو اسم قصيدة كتبتها له اعترافا بتفوقه الذى كان ينكره دائما رحمه الله. تم نشرها من قبل د. نورا حماسة في 11 مارس 2016، ويبدو أن النوع الجديد الذي يعنيه د. سعيد شوارب أنه يكتب لصديق على أن يكتب له الصديق ردا، وعلى الرغم أن حماسة قد توفي إلا أنه كتب، وينتظر الرد على الرغم من اعترافه بأمرين، الأول: أنه لن يعود، والثاني: تميز حماسة واعترافا بتفوقه الذي كان ينكره دائما.

كان هذا موجزا لأشكال الربط العام بين المساجلتين، وأبدأ الآن في بيان الربط التفصيلي للمساجلة من ناحية، وبين العلاقات الرابطة مع المساجلات من ناحية أخرى؛ فإذا كان القسم الأول: (الشعر) يرتبط ارتباطا وثيقا بالشعر الوارد في مساجلات حماسة ومصلوح السابقة، فإن تدرج الحديث عن الشعر الذي شغل حيزا قليلا في مساجلته الأولى، وتوسع مصلوح فزاد الأمر قليلا. وعلى هذا فالعلاقات الرابطة بين هذه المساجلات من حيث الحديث عن الشعر ظاهرة، كما أن كل لقطة من كل مساجلة تضيء جانبا ليس موجودا في الأخرى، وعلى هذا فهي مجتمعة تعطي صورة كلية لما بين الشاعرين.

أما القسم الثاني من هذه المساجلة: (تفصيل الشكوى)، فيمكن الحديث عنه من حيث علاقته بالمساجلة الأولى لحماسة، وأعني تحديدا القسم الثالث: (الأبيات: 4 : 5)، وبناء على ذلك الحوار الذي دار بين حماسة ومصلوح في التعليقات، جاء القسم الثاني في هذه المساجلة؛ ليرتبط ارتباطا وثيقا بالقسم الثالث من مساجلة مصلوح الأولى، على ما أوردناه ثمَّ، وإذا كان القسم الثالث في مساجلة مصلوح الأولى استغرق بيتين، فإن تفصيل الشكوى هنا استغرق ستة أبيات: (5 : 10)، وإذا كانت الشكوى في مساجلة مصلوح مجملة، فإن ما جاء هنا تفصيلا لما ورد هنالك ولما ورد في التعليقات التي أشرت إليه أعلاه؛ لأني عددتها قسما قائما بذاته، على النحو الوارد أعلاه من التقسيم. ثم ختم بما ختم به حماسة مساجلته الثانية، وكأنهما يتفقان على أن هذا يحتاج إلى تفصيل ليس موضعه مقام الشعر، بل يحتاج إلى لقاء، وتمثل هذه نقطة لقاء بين الشاعرين، خاصة أن مصلوحا ختم بذات البيت الذي ختم به حماسة مساجلته الثانية والثالثة في ترتيب المساجلات.

---

1 على الرابط:

http://www.hamassa.com/2016/03/11/%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%AF-%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%B4%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%A8-%D9%85%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%AF-%D9%86%D9%88%D8%B9-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D9%85/

10 / 2 : أشكال أخرى للربط:

10 / 2 / 1 : السبك المعجمي:

1. التكرارو أنواعه:

أ. الخالص:

. الأرض، بأرض: (البيتان: 4، 11).

ب. شبه التكرار:

.صعيدها، يصيدها، حصيدها: (الأبيات: 6، 7، 11).

.يعودها، يجودها: (البيتان: 1، 11).

.نجودها، يجودها: (البيتان: 1، 11).

تجافيت، تجاوب: (البيت السابع).

.زرعا، نزر: (البيت السادس).

ج. شبه التكرار:

.نجودهما، يجودهما: (البيتان: 1، 10).

.حصيدها، صعيدها، يصيدها: (الأبيات: 6، 7، 8).

.زرعا، نزرٌ: (البيت السادس).

.نجودها، كبودها: (البيتان: 5 ، 6).

.تجافيت، تجاوب: (البيت السابع).

.يعيدها، عهودها: (البيتان: 8،9).

د. تكرار التوازي:

. يصيدها، حصيدها: (البيتان: 2، 8).

.كبودها، بوكرها: (البيتان: 5، 8).

.بوكرها، يعودها: (البيتان: 8، 11).

.يعودها، يجودها: (البيتان: 10، 11).

.نجودها، يجودها: (البيتان: 4، 11).

هـ. تكرار: المعنى:

.خطو، تطوي.

10 / 2 / 2 : المصاحبة المعجمية:

أ. علاقة الكل بالجزء:

.سجل الأرض، دار: (البيتان: 4، 7).

ب. التضاد:

.وئيدا، سراعا: (البيتان: 1، 3).

××××

11 / 0 : من أشكال الربط في المساجلة الخامسة:

11 / 1 : حبك النص: الإجمال والتفصيل:

تكونت المساجلة من: (أبيات عشرة)، يمكن تقسيمها كما يلي:

.القسم الأول: الشعر: تفصيل التفصيل: (الأبيات: 1 : 8).

.القسم الثاني: الإشارة إلى شكوى مصلوح: إجمال: (البيت التاسع).

.القسم الثالث: الخاتمة ودلالتها: (البيت العاشر).

إذا نظرنا إلى التقسيم وجدنا ثمانية أبيات تتناول الشعر، وبيتا إشارة: (إجمال) وبيتا خاتمة، وبناء عليه فإنها تفصيل لما ورد في مساجلة مصلوح الثانية والرابعة في ترتيب المساجلات.

يبدو أن علاقة المساواة في المقابلة كانت حاضرة في ذهن الشاعرين؛ فإذا كان مصلوح تناول الشعر في بيتين، وهو ما جعلته القسم الأول هنالك، فإن القسم الأول في هذه المساجلة استغرق ثمانية أبيات، وكأن حماسة لحظ أن مصلوحا أجمل في هذا القسم ففصله في مساجلته التالية: (محل البحث هنا). وعلى العكس فصَّل مصلوح في الشكوى: (البيت التاسع)، ويؤكد هذا الملحظ أن حماسة جعل فاصلا عقب البيت الثامن دلالة على أن موضوعها مختلفة عن سابقتها، مما جعل حماسة يجعل بيتا واحدا: (العاشر) للرد على مصلوح، وحدد فيه بيان التفصيل، كما فعل كل منهما في المساجلتين السابقتين. و أقول إن هذه المساجلة والمساجلة السابقة لمصلوح تعدان مساجلة واحدة؛ لأن كلا فصلت جانبا أُجمل في الأخرى، فإذا جاز لنا أن نضع الأبيات الثمانية الأولى من مساجلة حماسة هذه عقب البيتين الأوليين من مساجلة حماسة الثانية، ما اختل المعنى، وتعد في هذه الحال تفسيرا وتفصيلا لها، وكذلك إذا جعلنا البيت التاسع من هذه المساجلة: (القسم الثاني) مع القسم الثاني من مساجلة مصلوح الثانية، التي شغلت: (الأبيات: 2: 8)، ومن ثم تكون ردا موجزا، خاصة أنهما قد أنهيا هذا الأمر في التعليقات عقب مساجلة مصلوح، على ما أشرت إليه، ويبدو أن هذا كان حاضرا في ذهن حماسة؛ فلم يشأ أن يطيل، ولم يشأ أن يتركه كلية؛ فجاءت الإشارة إليه مجملة. وختم ببيت ليس كما في المساجلتين السابقتين له ولمصلوح، بل غير في البنية اللغوية، وإن كان يحمل المعنى ذاته. وإذا كانت المساجلتان يمكن أن تعدان واحدة، فهل لنا أن نقدم تقسيما لأشكال الربط بينهما؟ و إيجازا لما سبق سأجعلها كما يلي:

.القسم الأول: الشعر:

.مصلوح الإجمال: (الأبيات: 2 : 8).

.حماسة: التفصيل: (الأبيات: 1 : 8).

.القسم الثاني: الشكوى:

.مصلوح: التفصيل: (الأبيات: 2 : 8).

.مصلوح تفصيل التفصيل: (البيتان: التاسع والأخير).

.حماسة: الإيجاز: (البيت التاسع).

.القسم الثالث: الإغلاق: (تنوع في بنية اللغة).

وبناء على هذا تستقيم القسمة وتستبين، إلا أن شيئا بدا في القسم الثاني أعلاه؛ أن يبدأ بالإجمال وينتهي بالتفصيل، على ما هو وارد في القسم الأول، غير أن حديثا دار في التعليقات، أشرت إليه في مساجلة سعد الثانية، وعلى هذا لم يستطع حماسة أن يغض الطرف كلية، ومن هنا جاءت الإشارة إليه خاطفة، غير أن المتابع للسياقات بين الشيخين، يستطيع أن يفهم لماذا جاءت القسمة مقلوبة؟!

ومن ثم: ألا تعد هاتان المساجلتان قصيدة واحدة؟ بل يمكن القول إن قضية الشعر التي نالت حظا موفورا منهما، جاءت تفصيلا لذلك البيت الذي ذكره حماسة في البيت الرابع من المساجلة الأولى، وعلى هذا فالمساجلة الأولى لحماسة إجمال، والثانية لسعد والثالثة لحماسة تعدان قصيدة واحدة، ومن ثم تبقيان تفصيلا لما ورد في مساجلة حماسة الأولى. ونعود الآن لبيان جوانب التفصيل والربط داخل بنية المساجلة فيما يستقبل من حديث.

يمكن أن نضع عنوانا لهذه المساجلة، وهو: المُفَصِّلَة، ويتضح ذلك بشكل كبير من خلال التقسيم السابق، حيث جاءت من خلال تقسيمين أساسيين، الأول: الشعر، وهو القسم الرئيس، والثاني: الإشارة إلى شكوى سعد، ومن ثم، فإن ما ورد عنه من شعر يمثل تفصيلا لما ورد في مساجلة مصلوح الثانية؛ فإذا كان مصلوح قد وصف قوافي حماسة بالحسان وبالصافنات الجياد في السرعة، وقبل ذلك قال إنه أتعب من جاء بعده، واستغرقت هذه أربعة أبيات من المساجلة التي تكونت من أحد عشر بيتا؛ أي أقل من النصف وهو يصف شعر حماسة، وترتب على هذا أن جاء حماسة وضاعف حتى استغرق منه تفصيل ما أورده مصلوح الضعف؛ أي استغرق ثمانية أبيات من عشرة. ولهذا إن وضعنا لها عنوانا فسيكون: (التفصيل أو الرد) ففي الرد تفصيل.

وما يلاحظ على الأبيات الثمانية أنها جاءت على منوال ما ذكره مصلوح، سوى أن حماسة زاد الضعف، كما قلت؛ فإذا كان مصلوح قدَّم وصفا من جانبه لشعر حماسة، فإن حماسة صنع الصنيع ذاته في وصفه لشعر مصلوح؛ فقد وصفه بأن قوافيه تسبي العقول ومحكمات، وهي من الغيد الحسان تفردا، وينشدها عشاقها ويعيدونها، ولو نزلت جرداء لاخضر عودها، وتعنو لها أذن امرئ القيس ويختال الشنفرى وهكذا، أفلا تعد هذه الأوصاف من مصلوح وحماسة تكميلا لبعضها؟ بمعنى آخر هل إذا جمعنا الأوصاف مجتمعة تكمل كل منها الأخرى وتعطي أوصافا مختلفة؟ وهكذا جاء وصف مصلوح لشعر حماسة في أبيات أربعة من أحد عشر بيتا، وعلى هذا يمكننا اعتبار مساجلة سعد الثانية والسابقة هنا تشتمل على جانبين:

<u>الأول</u>: رد على البيت الرابع من مساجلة حماسة الأولى، وعلى هذا فرد مصلوح جاء شارحا ومفصلا لما عند حماسة في مساجلته الأولى الذي جاء موجزا.

<u>الثاني</u>: الشكوى لدى مساجلة مصلوح بلغت مبلغا عظيما، حيث اشتملت على الأبيات: (6 : 11)، وبناء عليه هل يمكن أن نضع عنوانا لهذه المساجلة؟ الشكوى، ولم أذكر الشعر في مساجلته؛ لأن الشعر عنده تفصيل لما في المساجلة الأولى لحماسة، وإنما جاءت الشكوى لصديق وما أَلَمَّ به من مرارة وألم وحزن دفين، ولما كانت الشكوى جديدة جعلتها عنوانا لها.أما مساجلة مصلوح، بناء على الطرح

السابق، فجعلناها تشتمل على الشعر والرد على حماسة بإيجاز، فهي شارحة ومفصلة لمساجلة سعد الثانية. ويمكن تقسيم مساجلة مصلوح الأولى كما يلي:

.الأول: الشعر.

.الثاني: الشكوى.

.الثالث: الشكر.

أما تقسيم مساجلة حماسة الثانية فكما يلي:

.الأول: الشعر.

.الثاني: رد على شكوى مصلوح.

وأما مساجلة مصلوح الثانية فقد اشتملت على:

.الأول: الشعر.

.الثاني: وصف الحالة: (الشكوى).

في حين جاءت مساجلة حماسة الثالثة والأخيرة لتشتمل على:

.الأول: الشعر.

.الثاني: رد على شكوى مصلوح في مساجلته الثانية.

.الثالث: الوعد باللقاء.

وعلى هذا وجدنا المساجلات تركز بشكل على الشعر وعلى الشكوى في مرتبة ثانية، وبناء عليه يمكننا دمج المساجالات الخمس في قصيدة واحدة، وهي تشتمل على قضيتين:

.الأولى: الشعر: وقد جاء على النحو الآتي:

.القسم الأول: (البيت الرابع): المساجلة الأولى.

.القسم الثاني: (الأبيات: 1 : 3): المساجلة الثانية.

.القسم الثالث: (الأبيات: 1 : 6): المساجلة الثالثة.

.القسم الرابع: (الأبيات: 1 : 4): المساجلة الرابعة.

.القسم الخامس: (الأبيات: 1 : 8): المساجلة الخامسة.

بلغ مجموع أبيات الشعر (اثنين وعشرين) بيتا من مجموع أبيات المساجلات التي بلغت (أربعة وأربعين) بيتا، بما يناهز النصف.

.الثانية: الشكوى والبوح:

.القسم الأول: (الأبيات: 4 : 6) : المساجلة الثانية.

.القسم الثاني: (الأبيات: 8 : 10): المساجلة الثالثة.

.القسم الثالث: (الأبيات: 5 : 10): المساجلة الرابعة.

.القسم الرابع: (البيت التاسع): من المساجلة الخامسة.

بلغت أبيات الشكوى (ثلاثة عشر) بيتا من مجموع (أربعة وأربعين) بيتا، هو مجمل نصوص المساجلات، كما يلاحظ أنها تمثل ما يقارب نصف أبيات الشعر، وعلى هذا فجاءت أبيات الشعر والشكوى، بناء على هذا، لتمثل (خمسة وثلاثين) بيتا من المجموع الكلي، منها (أربعة) أبيات تتعلق

باللغات في مساجلة حماسة الأولى، على ما أوردت، يتبقى (ستة) أبيات، ما بين الإغلاق والوعد بالتلاقي بينهما.

ومن هنا نلاحظ أن تدرجا قائما في الأقسام الخمسة الخاصة بالشعر، فالقسم الأول في المساجلة الأولى يعد مجملا لكل الأقسام الأخرى، والقسم الثاني من المساجلة الثانية تفصيل لما ورد في المساجلة الأولى، والقسم الثالث تفصيل لما ورد في القسم الثاني، والثاني مجمل لما ورد في القسم الثالث، والثالث للقسم الثاني مفصل وللقسم الرابع مجمل، والرابع مجمل للقسم الخامس الذي يعد تفصيلا لكل الأقسام السابقة. وعلى هذا يمكن إعادة التقسيم في إطار المجمل والمفصل كما يلي بإيجاز:

. البيت الأول من المساجلة الأولى: مجمل.

. الأبيات: (2 : 3): من المساجلة الثانية مفصلة للبيت السابق، وهي أيضا مجملة لما يليها.

. الأبيات: (1 : 6): من المساجلة الثالثة مفصلة للأبيات السابقة، وهي كذلك مجملة لما يليها.

. الأبيات: (الأبيات: 1 : 4): من المساجلة الرابعة مفصلة وشارحة للأبيات السابقة، وهي أيضا مجملة لما يليها.

. الأبيات: (الأبيات: 1: 8): من المساجلة الخامسة مفصلة لما سبقها من أبيات خاصة بالشعر، بل كل الأبيات.

<u>11 / 2 : أشكال أخرى للربط:</u>

<u>11 / 2 / 1 : السبك المعجمي:</u>

1 . التكرار:

أ. التام:

. سعد: (الأبيات: 2، 9، 10).

ب : التكرار الجزئي:

. ينشدها، نشيدها: (البيتان: 5، 8).

ج . شبه التكرار:

. غيدها، جيدها، بيدها: (الأبيات: 3، 4، 5).

. يعيدها، بيدها: (البيتان: 5،6).

د . تكرار التوازي:

. طريدها، جيدها: (البيتان: 1، 4).

. يستزيدها، نشيدها: (البيتان: 7، 8).

. تليدها، بريدها: (البيت الأول).

. يعيدها، بعيدها (البيتان: 6، 10).

<u>11 / 2 / 2 : المصاحبة المعجمية:</u>

أ . التضاد:

. تعلو، تهبط: (البيت السادس).

.جرداء، تخضر: (البيت السادس).

.يبدئ، يعيدها: (البيت الخامس).

وبناء على ما سبق، ومن خلال الأرقام المتداخلة التي تظهر بين هذه الأنواع من سبك وحبك بنية نصوص المساجلات، أنها تمثل شبكة من العلاقات المتداخلة بين أبنية ظاهر النص وعالمه، ويمكن أن يلاحظ ذلك من خلال الأرقام الظاهرة التي تمثل السبك المعجمي والمصاحبة المعجمية، وبين العلاقات الدلالية الرابطة التي يمثلها الإجمال والتفصيل داخل بنية المساجلة وفيما بين المساجلات مع بعضها.

<u>12 / 0 : استنتاجات:</u>

<u>12 / 1 : الاستنتاج الأول:</u>

تجدر الإشارة إلى أن ما استظهرته داخل بنية المساجلة الواحدة من السبك المعجمي والمصاحبة المعجمية والعلاقات الدلالية يمكن أن يكون بين أبنية نصوص المساجلات، وأن نظرة واحدة فيما ورد فيما يتعلق بهذه الملاحظات ستجدها ماثلة ظاهرة فيما بينها، ولن أفرد لها مساحة على سطح القرطاس، خاصة أن النظر في أمر هذه الأنواع من وجوه التكرار بأنواعه والتضاد وعلاقة الجزء بالكل وعلاقة الجزء بالجزء، والتفصيل والإجمال على ذلك النحو الذي استظهرته ... إلخ بين هذه المساجلات ظاهر يستطيع الناظر فيه أن يستنتجه في سهولة ويسر، وإن إعادتها تارة أخرى فيها من التكرار الممقوت، ومن أراد التثبت فليعد إليها فيما ورد أعلاه ومقارنتها، وسيجد صدق ذلك.

<u>12 / 2 : الاستنتاج الثاني:</u>

يمكن القول إن ما تم استخلاصه من الوجوه الأخرى للربط داخل المساجلات الخمس، بناء على إحصاء، وهو ما يعطي تصورا عن الأشكال الأخرى التي تربط بين أبنية ظاهر النص وعالمه. وعلى هذا أستطيع أن أستخلص قواعد الربط للأنواع الواردة في نص المساجلات كما يلي:

1. السبك المعجمي: يتوزع في المساجلات بوجه عام كما يلي:

. التكرار الخالص: يربط بين الأبيات المتوالية والأبيات المتباعدة.

. التكرار الجزئي: يربط بين الأبيات المتقاربة والمتباعدة. وهو أوسع إلى حد ما؛ إذ الربط فيه يتجاوز البيت والبيتين.

.شبه التكرار: يربط بين الأبيات المتوالية أكثر، وبين والمتباعدة وداخل البيت الواحد أقل. وهو أضيق مقارنة بالتكرار التام؛ إذ الربط فيه على مستوى البيت والبيتين، وإن تباعدا.

. تكرار التوازي: يربط بين الأبيات المتوالية. ويتنوع فيه الربط داخل البيت الواحد، وهو الأغلب، بين البيتين، وهو يمثل سمة، ثم ما بين الأبيات المتباعدة، وهو ما يمثل سمة أقل. ويتوزع انتشاره داخل المساجلة من الأوسع إلى الأقل كما يلي:

. داخل البيت الواحد.

.بين البيتين المتواليين.

.بين الأبيات الأبيات المتباعدة.

.تكرار الترادف / المعنى: يربط بين الأبيات المتباعدة والمتقاربة.

2. المصاحبة المعجمية: وتتوزع في المساجلات الخمس كما يلي:

. التضاد ربطه أضيق، إذ هو على مستوى البيت، وقليل خارجه.

. علاقة الجزء بالكل: يربط بين الأبيات المتوالية، ووجوده قليل في المساجلات.

. الربط عن طريق تكرار الوزن العروضي.

. الربط من خلال الإجمال والتفصيل: وهو الأكثر داخل المساجلات وفيما بينها.

يلاحظ أن السبك المعجمي والمصاحبة المعجمية تحديدا، التي وردت في المساجلات لم ترد على وتيرة واحدة؛ بمعنى أن أنواع التكرار المذكورة أعلاه، لم ترد كلها في المساجلات بدرجة واحدة، وإنما تفاوتت فيما بينها، ولم يرد من المصاحبة المعجمية إلا التضاد وعلاقة الجزء بالجزء وعلاقة الكل بالكل اللذين لم يردا إلا قليلا كما هو ظاهر أعلاه في نص المادة المحللة.

. التكرار أوسع مقارنة بالتضاد، خاصة أنه يرد في مواضع مختلفة.

وبعد، ألا يمكن أن تعد هذه المساجلات قصيدة واحدة، كما وضعتها في عنوان مادة الدراسة؟ وهذا يسهم في بيان أشكال الربط بينها؛ أنها لحمة واحدة منسبكة لغتها منحبكة بنيتها، وهل يمكن أن نضع لها عنوانا آخر؟ الإجمال والتفصيل في مساهمة حماسة ومصلوح؛ خاصة أنه يمثل فيها سمة جوهرية؛ يشمل القضيتين الأساسيتين: (الشعر والشكوى) وبيانهما يقع ضمن الإجمال والتفصيل، فإذا كان عنوان هذا البحث عاما، فإن العنوان المقترح خاص.

وأخيرا؛ هل بلغت هذه الورقة الغاية التي نهت إليها؟ وهل كشفت الواجهة عن جانب من الجوانب الإنسانية عند حماسة؟ لو كان حماسة بيننا اليوم، فماذا عساه أن يكون فاعلا؟ الإجابة عن كل هذه الأسئلة وغيرها عندك أيها القارئ الكريم. وختاما: هنالك دين له يطوق عنقي! أفأكون بهذا وفيَّت بعضه؟ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) صدق الله العظيم.

المراجع:

1. أشرف عبد البديع: (دكتور):

. سورة الجن نموذج للتضافر بين أبنية السبك و أبنية الحبك، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، إصدار خاص،2006.

. إعادة النظر في بعض مفاهيم النصية، مجلة جسور (القاهرة)، الإصدار السابع، يناير، 2019، ص ص 205 : 234.

2. حسن بوح: (دكتور):

. المحاورة مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، الطبعة الأولى، 2012.

3. سعد مصلوح: (دكتور):

. نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج 10، عدد 1، 2، القاهرة، 1991.

4. محمود الربيعي: (دكتور):

. صديقي محمد حماسة مات مكتمل الهيئة، موفور الكبرياء، مجلة فكر و إبداع، ص ص 579 : 583.

- <u>ملاحظة:</u>

لم أستطع أن أحدد رقم عدد وتاريخ إصدار مجلة فكر و إبداع لمقالة د. الربيعي تحديدا دقيقا، ولهذا أذكر الرابط الذي عليه المقالة فيما يلي:

http://www.hamassa.com/wp
-content/uploads/2018/01/%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D9%82%D9%8A-
%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%B3%D8%A9-
%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%83%D8%AA%D9%85%D9%84-
%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8A%D8%A6%D8%A9-
%D9%85%D9%88%D9%81%D9%88%D8%B1-
%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%A1.pdf

فهرس الكتاب

****

الفصل الثالث: من أشكال الربط في المساجلات الشعرية الإلكترونية: من مساهمة حماسة ومصلوح:

****